
دراسات
في تاريخ
الجزيرة العربية
قبل الإسلام
تأليف
د. روضة سحيم حمد آل ثاني
جامعة قطر - قسم التاريخ
جبران
جامعة اليرموك - قسم التاريخ
جامعة قطر - قسم التاريخ
Bibliotheca Alexandrina
0180024

دراسات
في تاريخ
الجزيرة العربية
قبل الإسلام

الرقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية

(١٩٩٨/٢/٢٢٨)

رقم التصنيف : ٩٥٦,٠١

المؤلف ومن هو في حكمه : نعمان جبران، روضة ال شافعي

عنوان الكتاب : دراسات في تاريخ الجزيرة العربية قبل الاسلام

الموضوع الرئيسي : ١- التاريخ والجغرافيا

٢- الجزيرة العربية - تاريخ قديم

بيانات النشر : مؤسسة حمادة

* تم إعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

مؤسسة حمادة للخدمات الجامعية

اربد الأردن تلفاكس ٢٧٠١٠٠ - ص.ب ١٢٤٨

دراسات في تاريخ الجزيرة العربية قبل الإسلام

تأليف

د. نعمان محمود جبران
جامعة اليرموك - قسم التاريخ
جامعة قطر - قسم التاريخ

د. روضة سحيم حمد آل ثاني
جامعة قطر - قسم التاريخ

1998

قائمة المحتويات

الفصل الثالث: الساميون والعرب

الفصل الرابع: اليمن

الفصل الخامس: الحجاز

الفصل السادس: الانباط وتدمر

الفصل السابع: الغساسنة والمناذرة

الفصل الثامن: الحياة الاجتماعيه

الفصل التاسع: الحياة الدينيه

مقدمه:

ان الوعي والحاجة الى معرفة ماضينا وتطور المجتمع العربي عبر عصوره ومراحله المختلفه، لم يعد امراً خاصاً او حكراً على المثقفين والمفكرين من أبناء هذه الأمه، وهو أمر يستدعي ان يكون موضوعاً عاماً من حيث معرفته او الحصول على معلومات عنه، ذلك ان أفراد المجتمع العربي أياً كانت مواقعهم وأياً كانت اتجاهاتهم وانتماءاتهم يرون خللاً في حاضر مجتمعهم، هذا الخلل في جانب والايجابيات في جانب لا يمكن فهمها او تجاوزها الا بمعرفة واعية لماضي هذه الأمة، هذه المعرفة التي تساعد على فهم الحاضر والتخلص من سلبياته بنفس القدر التي تفتح الباب واسعاً للولوج الى المستقبل مؤمنين ان امتنا ترتكز على تاريخ حضارات وتفاعل.

ان دراسة تاريخ العرب قبل الاسلام لا يجوز ان ينظر اليها على انها دراسة لماضٍ انتهى بل هي دراسة لمرحلة من مراحل تطور هذا المجتمع، اذ كيف لنا ان نفهم التطور في الاسلام ودولته من جميع المناحي مقطوعاً عن جذوره السياسية الدينية والاقتصادية والاجتماعية، بل كيف لنا ان نقدر عظمة الاسلام ودولته وانجازاتها اذا لم نعد لنفهم البيئة البشرية والحضارية التي ولد الاسلام فيها ونقلها نقلته الثورية في المجالات كافة، بل كيف لنا ان نفهم كل ذلك اذا نظرنا الى تاريخ العرب قبل الاسلام على أنه تاريخ جهل وتخلف واقتتال وبداوه وتاريخ بعيد عن الحضارة بمقاييسها المختلفة. من هذه المنطلقات جاء هذا الكتاب ليشير الى جوانب من حياة العرب قبل الاسلام العرب في بداوتهم وما تحويه من قيم واعراف ومعارف ايجابية وكذلك ما تحويه من مواطن خلل رئيسه نجدها احياناً طاغية على الايجابيات، كما جاء

هذا الكتاب ليشير الى عرب قبل الاسلام في مجتمعات مستقرة تبنت نظماً سياسية واقتصادية ساوت بل وضاهت ما عرف عند بعض الامم والاقوام الأخرى ضمن نفس السياق التاريخي زمناً برغم الاختلاف بين البيئات الطبيعة المختلفة، كما جاء هذا الكتاب ليعالج جوانب اجتماعية ودينية لعرب قبل الاسلام بغض النظر عن طبيعة حياتهم الاقتصادية المرتبطة ببيئة المكان والحيز الجغرافي، هادفين من وراء ذلك أن نوصل القارئ لامكانية الحكم على صحة او عدم صحة صيغة التحامل المألوفة على تاريخ العرب قبل الاسلام تلك الصيغة التعميمية عند البعض والتي لم ترفي هذا التاريخ الا صبغة البداوة والجهالة واصبح العربي رديف الصحراء بل واصبح دين الاسلام عند البعض من المغرضين دين الصحراء. ان هذا الكتاب جاء ليعالج جوانب تدخل ضمن الرد على مثل هذه الادعاءات.

ان ما ذكرناه لا يعني ان هذا الكتاب جاء لتمجيد فترة تاريخ العرب قبل الاسلام الى حد اعتبارها من خلال مقياس واحد (النسب العربي) والخصائص والخصال العربية العصر الذهبي للعروبه وان ما وجد في هذا المجتمع كان تعبيراً عن عبقرية عربيه من خلال اللغه والشعر، والبطوله وغير ذلك وانما هو محاولة لرؤية الاشياء المجتمعيه كما كانت سلباً وايجاباً ضمن ظروف ومعطيات الزمان والمكان كإطارين للحدث والتطور التاريخي والانسان كفاعل ومؤثر ومتأثر بهذا الحدث بدرجات متفاوته، كما أن ذلك لا يعني ان هذا الكتاب جديد في بابه بل هو محاولة لتبسيط وايجاز الاحداث ايجازاً غير مخل وابعاداً لها عن التطويل الممل، وهو بذلك يستكمل بعض ما كتب مستفيداً من اكبر قدر مما كتب ومتابعاً لآخر ما كتب عربياً عن هذا التاريخ.

وقد حاولنا في هذا الكتاب ان نضع القارئ في اطار هذا التاريخ العربي في

جزيرته العربية وعلاقاتها البينية وعلاقاتها الخارجية.

وبذا جاء هذا الكتاب حاوياً لفصول (دراسات) متعددة شملت، جغرافيه الجزيرة العربية، مصادر دراسة تاريخ العرب قبل الاسلام، الساميون والعرب، ثم تاريخ اليمن بدوله المختلفة، كما جاء فصل ليتحدث عن تاريخ عرب الشام والعراق الأنباط والتدمريون والغساسنة والمناذرة، وجاء فصل خاص عن الحجاز بيئته وسكانه ومدنه مكه ويثرب واختتم هذا الكتاب بالحديث عن جوانب من الحياة الاجتماعية والدينية. جاء بعضها مختصراً، ولكننا نزعم انها محاوله هدفنا من ورائها تقديم الفائده وآملين ذلك.

ولا يفوتنا هنا ان نشير الى ان المؤلفين لهذا الكتاب قد افادوا من خبرة اساتذة أجلاء حببوا لهم تاريخ العرب قبل الاسلام وافادوهم ففي جامعة اليرموك كان الفضل للاستاذ الدكتور لطفي عبد الوهاب يحيى والاستاذ الدكتوريوسف غوانمة وقسم التاريخ اذ عهدوا بتدريس مادة تاريخ العرب قبل الاسلام للدكتور نعمان جبران لطلبة البكالوريوس وطلبة الدراسات العليا لسنوات عدة مما افاد منه الباحث بشكل رئيس ودفعه للكتابة في هذا المجال، وفي قطر كان الفضل للأستاذ الدكتور احمد بدر (رئيس قسم التاريخ) والاستاذ الدكتور محمد حرب فرزات (أستاذ التاريخ القديم) والدكتور ابراهيم الجندي (استاذ التاريخ اليوناني). اذ شجعوا ومعهم قسم التاريخ الدكتوره روضه سحيم آل ثاني والدكتورنعمان جبران على تدريس مقرر تاريخ العرب القديم والكتابه فيه. مما زاد الفائدة وعمقها ودفع بنا (د. نعمان جبران ود. روضه سحيم حمد آل ثاني) لتأليف هذا الكتاب.

والله نسأل ان نكون وفقنا بتقديم صورة متواضعه عن هذا الموضوع الهام والكبير والذي ندرك أنه سيبقي بحاجة الى المزيد من البحث والدراسة والتمحيص

خاصه وان مصادر هذا التاريخ – كما اشرنا عند الحديث عن مصادر تاريخ العرب قبل الاسلام – مصادر متنامية ومتعددة ومتباينه.

والله الموفق والمعين.

د. نعمان محمود احمد جبران

د. روضة سحيم حمد آل ثاني

١٩٩٨/٢/٢٥

الفصل الاول

جغرافية بلاد العرب:

الفصل الاول

جغرافية بلاد العرب:

١. الموقع والاقسام:

تقع جزيرة العرب في المنطقة الجنوبية من آسيا الغربية حيث تعتبر اقصى منطقة من هذه القارة في هذا الإتجاه، وهي المنطقة التي لم تدخلها المدنية النهرية، وهذا بطبيعة الحال يختلف حين يقصد ببلاد العرب المفهوم الجغرافي الأوسع حيث تواجد الجنس العربي، وأياً كان فان الجزيرة كانت هي المركز والنواة التي انطلقت منها موجات عربية في فترات مختلفة من التاريخ لتجعل محيطها عربياً بحيث اتسع مفهوم بلاد العرب ليشمل مناطق بلاد الشام ومصر وبلاد الرافدين وشمال افريقيا وهذا التوسع كان من إنجازات آخر الموجات البشرية التي خرجت من الجزيرة مع بدايات تشكل الدولة الاسلامية.

إن الحديث هنا سيقتصر على رسم حدود واقسام جزيرة العرب، هذه البلاد التي عرفت عند الكتاب الكلاسيكيين باسم Arabia وهذه المنطقة وصفت بانها شبه جزيرة كما عرفت بانها جزيرة، وكان السبب وراء الإختلاف بين الدراسين واستخدامهم لمصطلحي جزيرة «وشبه جزيرة» يرجع إلى الإختلاف حول توضيح الحدود الشمالية لهذه الرقعة الجغرافية، ولتوضيح ذلك، فان من استخدموا مصطلح شبه الجزيرة جعلوا حدودها كما يلي:

يحد هذه الرقعة الجغرافية غرباً بحر القلزم (البحر الاحمر)، ويحدها شرقاً بحر عمان والخليج العربي، ويشكل المحيط الهندي حدها الجنوبي في حين أن بادية

الشام تشكل حدها الشمالي، وهي بذلك محاطة بمسطحات مائية من جهات ثلاث وتصح عليها تسمية شبه جزيرة[١]، وفريق آخر يرى أن يطلق على هذه الرقعة الجغرافية اسم جزيرة العرب إنطلاقاً من أن الحد الشمالي يبدأ من نقطة على البحر المتوسط من غزة جنوب فلسطين ليمر خط هذا الحد جنوبي البحر الابيض وشرق الاردن الى دمشق والفرات متجهاً جنوباً حتى ينتهي عند الخليج العربي[٢]، وبالتالي فان الحد الشمالي يصبح حداً مائياً وبذا تصح تسمية هذه الرقعة الجغرافة باسم جزيرة، وهناك راي آخر حول تسميتها بالجزيرة على إعتبار أن هذه المنطقة تشبه جزيرة بشرية يتحدث سكانها اللغة العربية وتحدها (غير الحدود البحرية) مجموعات بشرية تتحدث بلغات أخرى، وهكذا يقول ياقوت في معجمه: تسمى جزيرة العرب لأن اللسان العربي فيها شائع وإن تفاضل».[٣] وعليه فان كلا التسميتين لازالتا في الاستخدام في الدراسات الحديثة.

ومن الحدود التي رسمت للجزيرة العربية فانها تأخذ الشكل الرباعي غير المنتظم يبلغ طوله من الشمال الغربي حتى الجنوب الشرقي ٢٢٠٠كم ويبلغ عرضه ١٢٠٠كم، وتبلغ مساحتها مايقرب من ربع مساحة القارة الأوروبية بأكملها أو ثلث مساحة الولايات المتحدة الامريكية. وبلاد العرب تشكل هضبة مرتفعة لا يقل إرتفاع أي جزء فيها عن ١٥٠٠ قدم عن سطح البحر، وهذه الهضبة تنحدر إنحدارين أحدهما نحو الغرب والآخر نحو الشرق، ويبدأ الإنحداران من سلسلة جبال السراة التي تمتد من جنوب سوريا في الشمال الى اليمن في الجنوب موازية لساحل البحر الأحمر وقريبة منه، هذه السلاسل الجبلية التي اعتبرها البعض بأنها العمود الفقري لهذه الرقعة الجغرافية، ويصل اقصى ارتفاع لها ١٢,٠٠٠ قدم في اليمن وانحدار الأرض من هذه القمم الشامخة هو انحدار تدريجي في الاتجاه الشرقي بينما يكون الانحدار شديداً في الاتجاه الغربي[٤].

ومن ذلك فان مناطق الجزيرة يمكن تقسيمها الى:

١- سلسلة الجبال والمناطق المرتفعة، واهمها كما سبقت الإشارة سلسلة جبال السراة، وكذلك جبال شمر، والجبل الأخضر في عمان، ثم المناطق المرتفعة في نجد أو الهضبة الوسطى.

٢- منطقة الدارات: وهي المناطق السهلية التي تأخذ شكلاً قريباً من الإستدارة وتحوي قدراً من المياه الجوفية، إلى جانب مساحات واسعة لامتدادات مقفرة، ومن المناطق التي تكثر فيها الدارات بادية السماوة غرب العراق وبادية الشام.

٣- المناطق الصحراوية: وهي أكبر الأقسام مساحة في الجزيرة العربية وتقسم الى ثلاث مناطق:

أ- النفوذ، وهي مساحات لإمتداد صحراوي، ويبلغ امتداده من واحة تيماء إلى الشرق حوالي ٤٥٠كم، وعرضه من واحة الجوف الى جبل شمر بنجد حوالي ٢٥٠كم، وطبيعة هذه المنطقة رغم قلة مياهها الا أن الرطوبة فيها كافية لإنبات بعض الأعشاب الصحراوية في بعض فصول السنة، ومن نباتاتها الأثل والطرفاء والكينا[٥] وفي هذه المنطقة كانت تمر القوافل التجارية في الجزيرة العربية في اتجاهات من الشمال الشرقي الى الشمال الغربي.

ب- الدهناء: وعرفت ايضاً بالأرض الحمراء، وهي تغطي في امتدادها من النفوذ شمالاً حتى الربع الخالي مسافة ٦٠٠ ميل وأرضها غالباً مستوية صلبة مليئة بالحصباء ورمالها متموجة، واتخذت هذه المنطقة تسميات مختلفة، فالقسم الذي بين شرقي اليمن وحضرموت يسمى صيهد (رملة السبعتين حالياً) وهذا يشمل منخفض انكساري رملي واسع يمتد غرباً من مأرب على مسافة ٢٠٠ميل ويستمر ممتداً الى الشرق حتى وادي حضرموت، وفي هذا المنخفض تصب العديد من الأودية مثل وادي اذنة، الجوف، بيحان، مرخه، المعشار، وعرمة. والقسم الآخر بين شمالي حضرموت وشرقها يسمى الأحقاف، والقسم الذي شمالي مهرة يسمى دهناء، ويمكن اطلاق تسمية الربع الخالي على هذه

المناطق جميعها، وهذا القسم بقي مجهولاً ولم يدرس بشكل كافي، وان كانت المملكة العربية السعودية قد أولته اهتماماً خاصاً حيث عملت الجامعات السعودية ومنها جامعة الرياض على القيام برحلات وحفريات حيث اكتشفت مدينة الفاو في الشمال العربي من الربع الخالي على بعد ٢٨٠كم من نجران[٦].

جـ- الحرار (الحرات): جمع حرة، وهي توجد على امتداد المنطقة الغربية من الجنوب قرب باب المندب حتى مناطق حوران في سوريا. وهي أراضي ذات حجارة سوداء، يقول عنها ياقوت «حجارة سوداء نخرة كانها أحرقت بالنار» [٧] وهي بالفعل تشكل أفواه براكين هامدة، وبعضها الآخر ناتج من تفتت الحمم البركانية او اللافة (اللابه)، فإذا كانت تشكل فوهة لبركان أخذت الشكل المستدير وحينها تسمى حرة، وإن أخذت الشكل المستطيل فتسمى الكراع أو اللابه.

وبالإجمال فان مناطق الحرات عرفت بخصبها لأنها ذات تربة غنية بالمعادن ونسيج هذه التربة يسمح بالتهوية: ومن الحرات المشهورة بالخصب حرة خيبر[٨]، وكذلك الحرات حول المدينة المنورة مثل حرة واقم شرقي المدينة، وحرة الوبرة غربي المدينة وحرة شوران جنوبي المدينة[٩].

٢. اقسام الجزيرة العربية:

ما سبق ان ذكرناه من أقسام للجزيرة شاملة سلاسلها الجبلية وداراتها وصحرائها، نجده بشكل أخر عند الكتاب الكلاسيكيين امثال ايراتو سثنس Eratosthenes (٢٧٦-١٩٤ ق.م) وبطليموس (ت ١٤٠م)، حيث قسم هؤلاء وغيرهم الجزيرة العربية إلى أقسام ثلاثة، حيث جاء هذا التقسيم مكملاً لتقسيم سابق كان يجعل جزيرة العرب تقسم الى قسمين، قسم البادية في الشمال، وهو

القسم الذي يمتد بين مشارق الشام الى حدود نجد والحجاز، والقسم الثاني هو قسم الحاضرة في الجنوب ويشمل سائر جزيرة العرب ومنها نجد والحجاز واليمن، وهذين القسمين يأخذان طبيعة حياة السكان وتأثرهم بالبيئة فهم في القسم الشمالي اهل بادية ويعتمدون حياة التنقل وفقاً لما تفرضه طبيعة المنطقة، في حين أن القسم الجنوبي وفر بيئة طبيعية سهلت عمليات الاستقرار فاعتبر سكانها أهل حاضره.

وعند اليونان والرومان أضيف إلى هذين القسمين قسم ثالث، حتى أصبحت الجزيرة العربية وفقاً لآرائهم مقسمة الى:

١- بلاد العرب الصخرية Arabia Petra

وهي تماثل الاطراف الشمالية الغربية من الصحراء، ويدخل ضمن نطاقها منطقة البتراء في الأردن والتي كانت عاصمة لدولة الانباط.

٢- بلاد العرب الصحراوية Arabia Deserta

وهي القسم الأكبر من بلاد الجزيرة العربية، وتشمل المناطق الداخلية ما بين البتراء ومنطقة ما بين النهرين، وهي المنطقة التي سبق ان اشرنا الى تقسيماتها وصحراواتها (النفوذ، الدهناء، والحرات).

٣- بلاد العرب السعيدة: Arabia Felix

أو العربية الميمونة أو المباركة، وهي التي تشمل اليمن القديم والذي كان يضم في نظر الدراسات الكلاسيكية كل جنوب الجزيرة العربية أو أراضي اللبان والمر، أو أنها المنطقة التي لم تكن خاضعة لنفوذ اي من الامبراطوريات القائمة آنذاك الفارسية والرومانية، وذلك مقارنة مع العربية الصخرية والتي كان لها حدود ممتدة تخضع لسيطرة الامبراطورية الرومانية، والعربية الصحراوية التي كان أجزاء منها يخضع لسيطرة الامبراطورية الفارسية[١٠].

وإذا أخذنا بعين الاعتبار آراء الجغرافيين والمؤرخين العرب والمسلمين حول

تقسيم هذه المنطقة الجغرافية (جزيرة العرب) فاننا نرى أنهم قسموها إلى أقسام خمسة، ومن تتبع هذه الاقسام نرى انها تقتصر على تقسيم المنطقة الثالثة من تقسيم الكتاب الكلاسيكيين، أي أن هذه التقسيمات الخمس تتعلق ببلاد العرب السعيدة او الميمونة، وهذه الاقسام الخمس، هي:

١- منطقة التهائم (جمع تهامة): وتشتمل تهامة الحجاز، تهامة عسير، وتهامة اليمن، وهي بمجموعها تشكل السهول الساحلية في أطراف الجزيرة من الناحية الغربية، وتمتد من أقصى الجنوب في اليمن إلى أقصى الشمال عند خليج العقبة، وهي في قسمها الجنوبي أكثر اتساعاً مما هو عليه الحال في قسمها الشمالي.

وإسم تهامة مأخوذ من الانخفاض الواقع بين ساحل البحر والمرتفعات ولذلك فهي تسمى ايضاً بالغور، وهي منطقة شديدة الحرارة مقارنة بما يحيط بها شرقاً وغرباً. وقد عرف إسم تهامة في النقوش اليمنية القديمة حيث وردت بصيغ (تهمت)، وتهتم[11]، واشار الدكتور لطفي عبد الوهاب إلى أن الكلمة ربما جاءت من لفظ عبري لكلمة «تيهوم» او من كلمة تيامتو والتي تعني البحر باللغة البابلية، وفي كلا الحالين فان مفهوم الكلمة لا يخرج عن الاشارة الى مناطق منخفضة واقعة على البحر تمتاز بشدة الحرارة وشدة الرطوبة[12]. ويمكن ان تعتبر مدينة زبيد، مكة، ينبع، جدة، الحديبيه، تبوك من ضمن المدن الواقعة في هذه المنطقة.

٢- منطقة الحجاز: وهي المنطقة الواقعة إلى شرق التهائم (السهول الساحلية) وتمتد من أيلة العقبة إلى اليمن أو المنطقة التي تمتد فيها سلسلة جبال السراة التي تخترق الجزيرة العربية من شمالها إلى جنوبها. وعن تسمية هذه المنطقة بالحجاز هناك العديد من الآراء والاجتهادات، منها أن كلمة حجاز عربية صرفة وهي تعني الحد الفاصل، ولكن هل المقصود ان منطقة الحجاز كانت تحجز بين منطقتين، او انها (الحجاز) كانت تحتجز عن غيرها بسلسلة

من الجبال، ولتوضيح ذلك هناك من يقول إن الحجاز يقصد به جبل السراة لانه حجز بين الغور (تهامة) وهو هابط وبين نجد وهو ظاهر، وهناك من يرى أن بلاد الحجاز سميت كذلك لانها محاطة بالجبال فهي محتجزة عن غيرها، وفريق آخر يرى ان المنطقة سميت حجازاً لانها حُجزت بالحرات الخمس التي حالت بينه وبين عالية نجد[١٣]، والحجاز وفق هذه الآراء المختلفة هو المنطقة الوسطى بين شمال الجزيرة وجنوبها حيث يحجز بين اليمن والشام، واعتبرت مدينة مكة قاعدة لبلاد الحجاز. ويطلق على القسم الجنوبي من الحجاز اسم عسير (الحجاز الجنوبي)، ويرتفع في الحجاز وغربي الجزيرة سلسلتان متوازيتان من الجبال تمتدان من الشمال الى الجنوب أعلاها في الشمال ويقل الارتفاع تدريجياً كلما اتجها جنوباً.

ومنطقة الحجاز حازت على اهمية بالغة لعدد من الاعتبارات، منها انه كان طريقاً للقوافل التجارية والتي كانت تسير من الجنوب الى الشمال أو العكس ما بين صنعاء والعلا والعقبة، كما انها منطقة فيها العديد من الاودية مثل وادي الحمض، وادي القرى، وادي وج، وتكثر فيه الاحواض الارسابية والسهول الفيضية الصغيرة القيعان الشهيرة بالزراعة[١٤] كما ان هذه المنطقة حازت على شهرتها بقواعدها الهامة قبل الاسلام وبعده مثل مكة، والمدينة، الطائف سواء أكان ذلك لاهميتها الدينية او الاقتصادية.

٣- منطقة نجد: ونجد تعني ما غلظ أو شرف من الارض، وهي هنا الأرض المرتفعة التي تفصل بين تهامة واليمن جنوباً وبين العراق والشام شمالاً، فمنطقة نجد تمتد من الحجاز غرباً إلى البحرين شرقاً ومن بادية الشام شمالاً الى اليمن جنوباً، وهو بذلك من أوسع اقاليم الجزيرة العربية، وقد قسمه العرب الى قسمين، هما: نجد العليا وهي ما ولى الحجاز وتهامة، ونجد السفلى وهي ماولي العراق[١٥]، وتشتهر هذه المنطقة بوجود عدد من الاودية

منها وادي الدواسر، وادي حنيفة ولكن اهما وادي الرمة الذي يبدأ قريباً من المدينة المنورة ويمر بالقصيم ثم يتجه الى شط العرب[١٦]، وهذه الاودية تمتلئ بالمياه في موسم المطر مما يجعلها صعبة الاجتياز، ولكنها بعد ذلك تصبح مكاناً صالحاً للرعي والاقامة، وبل تعتبر هذه المنطقة من اصح بلاد العرب واجودها هواءً وذلك مقارنة بمنطقة التهائم او المناطق الصحراوية.

٤- العروض: وهي تسمى أحياناً باليمامة، واحياناً اليمامة جزء منها، وان كان البعض يعتبر اليمامة من اقسام نجد، ومنطقة العروض تغطي الامتداد الجغرافي الذي يبدأ من الأطراف الشرقية لليمن ويستمر في إتجاه شرقي شمالي حتى يصل إلى البحرين، فاذاً هي المنطقة الواقعة بين نجد واليمن، وبذا فهي تتصل بالبحرين شرقاً وبالحجاز غرباً. وكما قلنا تسمى احياناً اليمامة لأن اليمامة كانت من أشهر مدنها. ومن مدن منطقة العروض الهامة بتاريخها واقتصادها مدينة أجرا او هجر، ومدينة جرهاء ولعلها مدينة العقير والتي ذكرت عند المؤرخ اليوناني اغاثر خيداس واشار الى انطلاق طرق تجارية منها تصل الى البتراء[١٧]، ومنطقة العروض كانت من المناطق المأهولة بعديد من القبائل مما يدل على ان المنطقة كانت غنية بمواردها. ومن مناطق العروض ايضاً عُمان، والمنطقة بكاملها تخترقها العديد من الاودية ولعبت دوراً هاماً في العلاقات التجارية بين مدن الخليج العربي وبلدان الشرق الاقصى في العصور القديمة والوسطى[١٨] ومن القبائل التي استوطنت في مناطق العروض المختلفة طسم، جديس، عبد القيس، بكر بن وائل وتميم.

٥- اليمن: وهي تشمل الزاوية الغربية الجنوبية من الجزيرة وهي التي عرفت في الكتابات الكلاسيكية ببلاد العرب السعيدة أو الخصبة أو الميمونة، و ذلك من التسمية اليونانية Arabia Eudameon والتسمية اللاتينية Arabia Felix[١٩]، واليمن بموقعها تتحكم في المدخل الجنوبي للبحر الاحمر -باب

المندب- وتطل على بحر العرب، واعتبرها الأقدمون تشمل القسم الجنوبي من الجزيرة العربية بشكل كامل لتكون حدودها شمالاً نجد والحجاز وشرقاً خليج العجم ومضيق هرمز وجنوباً خليجي عمان وعدن، وغرباً البحر الاحمر، وهذه الحدود تختلف باختلاف الفترات الزمنية حيث نجد حدودها بعد ذلك شمالاً الحجاز وشرقاً الاحقاف والصحراء العربية الكبرى المسماة بالدهناء والربع الخالي وجنوباً خليج عدن وغرباً مضيق باب المندب[٢٠].

واختلف الاخباريون العرب في سبب تسمية اليمن بهذا الإسم فتارة يجعلون ذلك لموقعها على يمين الكعبة، وتارة أخرى نسبة إلى شخص يمن بن أقطن بن عابر بن شالح الذي يعود نسبه الى سام بن نوح، وتارة لانها أرض خير وبركة[٢١].

وتشبه اليمن في تضاريسها تضاريس الحجاز بشكل إجمالي، ففيها سلسلتان من الجبال خارجية قريبة من الساحل وداخلية، وبينهما عدد من السهول ووراء السلسلة الخارجية إلى البحر تقع تهامة أو الأراضي الساحلية المنخفضة، بينما تقع وراء السلسلة الداخلية هضبة تمتد حتى سفوح الجبال المتاخمة للصحراء الداخلية، وتصلح بجبالها الخارجية لزراعة مزروعات متعددة منها شجرة البن. واليمن بحكم طبيعتها وموقعها المتحكم بالطرق التجارية البرية والبحرية، أو بطبيعة تكوينها الجغرافي ومناخها وكميات الامطار الموسمية التي ادت الى نشاط زراعي مزدهر، نتيجة لذلك قامت في اليمن العديد من الدول[٢٢] سيأتي الحديث عنها لاحقاً.

ويعد هذا الإستعراض الموجز لموقع الجزيرة وتقسيماتها الجغرافية المختلفة، سنتحدث بشكل موجز عن مناخ الجزيرة وبعض جوانب الحياة النباتية والحيوانية في هذه المنطقة.

٣. المناخ:

من خلال دراسة أقسام جزيرة العرب جغرافياً تبين أن الجزء الأكبر من مساحتها هو عبارة عن صحاري أو أراضي قاحلة، ولذا يغلب على مناخها الجفاف. وتشير الدراسات الجيولوجية الى ان الجفاف بدأ يطرأ على الجزيرة العربية منذ العصر الحجري الحديث بشكل تدريجي الى ان وصل الى حالة قريبة مما تعيشه هذه المنطقة حالياً والذي لم يتغير منذ سبعة آلاف سنة تقريباً[٢٣].

ونظراً للطبيعة الجغرافية للجزيرة العربية فأمطارها قليلة وتتوزع في فصلي الخريف والشتاء في المناطق الشمالية، في حين أن الجزء الجنوبي أمطاره موسمية في فصل الصيف، ولندرة الامطار في مناطق الجزيرة نجد أن من اسمائه (المطر) عند العرب «الغيث» لانه يأتي اليهم بالإغاثة من الإقفار وسنوات المحل والجفاف، كما ارتبط التعلق عندهم بالمطر واهميته بما عرف من صلاة الإستسقاء أو الإستمطار[٢٤]. ومما يجدر ملاحظته ان الجزيرة العربية محاطة بمسطحات مائية ولكنها لم تغير من جفاف هذه المنطقة، ويمكن إرجاع هذا الجفاف مع وجود هذه المسطحات المائية وفق رأي الدكتور لطفي عبد الوهاب إلى العوامل التالية:

١- أن المسطحات المائية الممثلة بالخليج شرقاً والبحر الأحمر غرباً لا يشكلان الا مسطحات مائية ضيقة مقارنة بالبحار الداخلية (البحر الابيض والبحر الاسود) ولذا فإن اثرهما غير كافي لكسر حدة الإمتدادات الصحراوية الواسعة.

٢- ان المحيط الهندي رغم ما يوفره من كمية بخر هامة، إلا أن رياح السموم الحارقة (السهام او الهفوف) تحول في كثير من الاحيان دون تحويلة الى أمطار.

٣- وجود المناطق المرتفعة بمحاذاة السواحل أو على مقربة منها شكلت مصدات للرياح المحملة بالسحاب[٢٥].

ورغم قلة الأمطار وتذبذبها فان أبناء الجزيرة العربية ومنذ القدم حرصوا على الإستفادة القصوى منها، أو التقليل من أخطارها حين تشكل في بعض المواسم خطراً يتمثل بالسيول الجارفه، وإن انتشار ظاهرة السدود في جنوبي الجزيرة وشمالها يدل على هذه الاهتمامات، سواء أكان ذلك في سد مأرب المشهور في اليمن، او السدود والبرك على سفوح الجبال وحواف الوديان، وقد أثبتت الحفريات الأثرية عن وجود العديد من السدود في شمال ووسط الجزيرة علاوة على جنوبها[٢٦].

وقد أثرت ظروف المناخ في الجزيرة العربية على الحياة النباتية وتنوعها من منطقة إلى أخرى، بحيث نجد أن من أهم نباتات واشجار الجزيرة كان شجرة النخيل التي انتشرت في مناطق متعددة وتعددت طرق الاستفادة منها فاستفاد منها العربي في غذائه على ثمرها أو إطعام حيواناته من نوى ثمارها، ونظراً لأهمية النخل في تاريخ العرب فقد تعددت أنواعه وأسمائه وتعددت أنواع الأطعمة التي تصنع منه، بل قيل أن العربي كان يكتفي بالأسودين الماء والتمر، كما ان النخيل من مصادر الثروة بل وكان أحد مقاييسها، واشتهرت مناطق المدينة وخيبر بالتمر، ويتضح ذلك من خلال الشعر العربي وكمثال على شهرة خيبر بذلك قال الشاعر حسان بن ثابت:

فانا ومن يهدي القصائد نحونا كمستبضع تمراً الى اهل خيبرا[٢٧].

ومن الأشجار الأخرى في الجزيرة العربية أشجار البخور واللبان على السواحل الجنوبية للجزيرة العربية وهذه الأشجار شكلت مادة رئيسية من مواد التجارة في العصور القديمة نظراً للاهمية الدينية والطبية لها. كما وجدت أشجار الأثل والطلح والإراك[٢٨]، كما اشتهرت مناطق اخرى بزراعات مثل الحنطة في اليمن والطائف، حيث كان يصدر منها لمدن الحجاز وبخاصة إلى مكة، وكذلك الشعير الذي كان يزرع تحت أشجار النخيل، كما عرفت مناطق اخرى زراعات مثل زراعة الكرمة التي اشتهرت بها الطائف ايضاً.

وإلى جانب ذلك كانت الصحراء موطناً لنباتات صحراوية وأعشاب تعقب

مواسم المطر وكانت تشكل مورداً هاماً للرعي والحياة الحيوانية.

وبالإجمال فان الانتاج من الزراعات المختلفة لم تكن لتكفي حاجة سكان الجزيرة في معظم الأحيان مما جعلها تستورد حاجياتها من المناطق المجاورة وخاصة من بلاد الشام.

ونظراً لطبيعة المناخ والطبيعة الجغرافية للمنطقة نجد ان ذلك ينعكس على الثروة الحيوانية، وكان على رأس القيمة في هذه الحيوانات الجمل والذي يستطيع ان يتعايش مع الظروف المناخية للمنطقة، ولذا حظي باهتمام بالغ عند العرب للإستفادة منه في جميع مناحي الحياة، كدابة للحمل والأسفار البعيدة، ويستفاد من لحومها وألبانها وجلودها وأوبارها، وعد الجمل أيضاً من مقاييس الثروة وهو يؤخذ به كمهر للعروس وبه تدفع ديات القتلى. ووجدت حيوانات اليفة اخرى مثل الخيول والبغال والحمير وان كان الحصان اعلاها شأناً، حيث كان يستخدم للأغراض العسكرية وللمهارات الرياضية ورمزاً للوجاهة والثراء بل ولا زال كذلك إلى يومنا هذا.

وهناك حيوانات برية متنوعة وجدنا صداها في ممارسة الصيد كما وجدناها في اسماء القبائل وفي النواحي الدينية كطواطم[٢٩].

هذا وسيأتي الحديث عن بعض الزراعات في الجزيرة من خلال الحديث عن اليمن والحجاز وغيرها في الفصول اللاحقة.

هوامش الفصل الاول

(١) أمين، احمد: فجر الاسلام، دار الكتاب العربي، لبنان، ط ١٠، ١٩٦٩، ص٦.
علي، جواد: المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، حـ٣، ص٣٥٩.
يحيى، لطفي عبد الوهاب: العرب في العصور القديمة، دار المعرفة، الاسكندرية ١٩٨٦، ص٩١.

(٢) زيدان، جورجي: العرب قبل الاسلام: منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٧٩، ص٣٨.
الشامي، احمد عبد الحميد: في تاريخ العرب والاسلام، مطابع سجل العرب، ١٩٧٨، ص٧.
الواسعي اليماني، عبد الواسع بن يحيى: تاريخ اليمن، فرجة الهموم والحزن، منشورات مكتبة اليمن الكبرى، ط٢ ١٩٩٠، ص١١٠.

(٣) يحيى: العرب في العصور القديمة، ص٨٩.

(٤) عاقل، نبيه: تاريخ العرب القديم وعصر الرسول، دار الفكر، ١٩٧٥، ص١٩
يحيى، العرب في العصور القديمة، ص٩٢.

(٥) اوليري، دي لاسي: جزيرة العرب قبل البعثة، ترجمة موسى علي الغول، منشورات وزارة الثقافة، عمان، ١٩٩٠، ص٢٠.
سالم، السيد عبد العزيز: تاريخ الدولة العربية، دار النهضة العربية، بيروت ١٩٧١، ص١٤.
يحيى: العرب في العصور القديمة، ص٩٢

(٦) الجرو، اسمهان سعيد: موجز التاريخ السياسي القديم لجنوب شبه الجزيره العربية (اليمن)، مؤسسة حمادة للنشر، اربد، ١٩٩٦. ص١٣-١٤.
يحيى: العرب في العصور القديمة، ص٩٣. اوليري: مرجع سابق، ص٢٠.
عاقل: تاريخ العرب القديم، ص١٩.

(٧) ياقوت، ابو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي: معجم البلدان، دار صادر، بيروت ١٩٥٦، حـ٢، ص٢٤٥.

(٨) الشريف، احمد ابراهيم: مكه والمدينة في الجاهلية وعصر الرسول، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٦٧م، ص٦.

(٩) العلي، صالح احمد: خطط المدينة، مجلة العرب، الرياض، ١٣٨٧هـ، ص١٠٨٧.

(١٠) Sprenger, A: Die Alte Geographie Arabien, Amesterdam, 1875, P. 8-9.

الجرو: مرجع سابق، ص١٦، يحيى: العرب في العصور القديمة، ص٩٨-١٠٠.

العمري، حسين عبد الله وآخرون: في صفة بلاد اليمن عبر العصور، دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٩٩٠م، ص٢٤٢.

(١١) حمزه، فؤاد: قلب جزيرة العرب، الرياض، ط٢، ١٩٦٨، ص١٧-١٨.

الجرو: مرجع سابق، ص٩، الشامي: مرجع سابق، ص١٠-١١.

(١٢) يحيى: العرب في العصور القديمة، ص١٠١.

(١٣) العلي، صالح احمد: تحديد الحجاز عند المتقدمين، مجلة العرب، الرياض ١٣٨٨هـ، ص٢.

البكري، ابو عبد الله بن عبد العزيز: معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواقع، تحقيق مصطفى السقا، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٢، ص١١.

الوهيبي، عبد الله: الحجاز كما حدده الجغرافيون العرب، مجلة كلية الآداب، جامعة الرياض، م١، ١٣٩٠هـ ص٥٣-٥٤.

ياقوت: مصدر سابق، حـ٢، ص٢١٩.

(١٤) محمدين، محمد محمود: الزراعة والري في الحجاز في العصر النبوي وعصر الخلفاء الراشداين، في: دراسات تاريخ الجزيرة العربية، الكتاب الثالث، الجزء الثاني، مطابع جامعة الملك سعود ١٩٨٩، ص٣١٦.

(١٥) يحيى: العرب في العصور القديمة، ص١٠٣.

(١٦) وهبه، حافظ: جزيرة العرب في القرن العشرين، مطبعة لجنة التأليف

والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٣٥، ص٢٢.

(١٧) فهد، توفيق: قطر ونواحيها في الجغرافية القديم-مؤتمر دراسات تاريخ شرق الجزيرة العربية، الدوحة ١٩٧٦، حـ١، ص٢٩.

(١٨) الشامي: مرجع سابق، ص١٧-١٨.

(١٩) يحيى: العرب في العصور القديمة، ص١٠٢.

(٢٠) الواسعي اليماني: مصدر سابق، ص١٢.

(٢١) عبد المجيد اليماني، تاج الدين عبد الباقي: بهجة الزمن في تاريخ اليمن، تحقيق عبد الله محمد الحبشي، محمد احمد الشيباني، دار الحكمة اليمانيه ١٩٨٨، ص١٧.

المجاهد الشماصي، عبد الله بن عبد الوهاب: اليمن الانسان والحضاره، دار الهناء للطباعة، ١٩٧٢، ص١٨.

Ropert, t, Playfair: AHistory of Arabia Felix of Yemen, Amesterdam, 1970, P. 1.

(٢٢) الجرو: مرجع سابق، ص٦٥، اوليري: مرجع سابق، ص٢٢-٢٣.

(٢٣) ابو العلا، محمود طه: جغرافية المملكة السعودية، القاهرة ١٩٧٢، ص١٤٤.

(٢٤) يحيى: العرب في العصور القديمة، ص١٠٦.

(٢٥) يحيى: نفسه، ص١٠٦.

(٢٦) الراشد، عبد العزيز: الآثار الاسلامية في الجزيرة في عهد الرسول والخلفاء الراشدين، في: دراسات تاريخ الجزيرة العربية، الكتاب الثالث الجزء الثاني، ١٩٨٩م، ص١٥٥-١٦٧.

(٢٧) محمدين: مرجع سابق، ص٢٣٨.

بشير، ابراهيم بشير: الطعام في الحياة الاقتصادية والدينية والاجتماعية في العصر النبوي وعصر الخلفاء الراشدين، في: دراسات تاريخ الجزيرة العربية، الكتاب الثالث، الجزء الثاني، ١٩٨٩. ص٢٥٥-٢٥٨.

(٢٨) يحيى: العرب في العصور القديمة، ص١١٢-١١٣.

(٢٩) حتي، فيليب وآخرون: تاريخ العرب، دار غندور للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط٨، ١٩٩٠م.

الفصل الثاني

مصادر دراسة تاريخ الجزيرة القديم

الفصل الثاني

مصادر دراسة تاريخ الجزيرة القديم

مقدمة:

نظراً لاهمية جزيرة العرب وموقعها وتأثيرها وتأثرها بمحيطها الجغرافي، ونظراً لاهيمة هذه المنطقة بسكانها في تاريخ الانسانية فان مصادردراسة تاريخ هذه المنطقة كانت مصادر متعددة متباينة متنامية، فهي متعددة لانها -هذه المصادر- جاءت من شعوب متعددة الاعراق والديانات والمستويات الحضارية ووفق نظرة وتعامل هذه الشعوب مع الجزيرة العربية سواء اجاءت هذه النظرة والتعامل بشكل مباشر، او غير مباشر وحول كيفية هذا التعامل سلماً كان او حرباً، كما انها متعددة ما بين مصادر كتابية او آثاريه نقشية الى مصادر دينية يهودية ونصرانية واسلامية.

ومصادر دراسة تاريخ هذه المنطقة هي مصادر متنامية لان ما يكشف عن مصادر لتاريخ الجزيرة او اجزاء منها امر متطور بحسب زيادة الفعاليات المهتمة بهذا الامر سواء ما كان متعلقاً بالرحلات الكشفية وما يصدر عنها أو عمليات التنقيب الآثارية، هذا التنامي في الكشف عن تاريخ هذه المنطقة لا زال يعد بالشيء الكثير، وعليه فان ما كان يعرف من مصادر عن تاريخ الجزيرة العربية في بداية القرن الحالي هو قطعاً مختلف من حيث الكم والاهمية عما نعرفه الان والذي سيكون

مختلفاً بما سيتم الكشف عنه لاحقاً، وهنا لا بد من الاشارة الى ان ما يتم العثور عليه من آثار ونقوش يعتبر هاماً بحد ذاته ولكن اهميته تتنامى بعد دراسته وحل رموزه.

واما كون هذه المصادر متباينة فذلك عائد بطبيعة الحال لهذا التعدد والتنامي الذي سبق الاشارة اليهما، فالكثير من معطيات المكتشفات الآثارية لا زالت موضع جدل ونقاش واختلاف في الاجتهادات بين جمهور المهتمين بهذه المصادر. كما ان مصادر تاريخ هذه المنطقة تبدو متباينة من حيث الاهتمام بها ومن خلال النظرة لهذا التاريخ وخاصة حين ينظر اليه على انه تاريخ العصر الجاهلي، بما يأخذ مصطلح الجاهلية من تفاوت في التفسير والتقييم، وربما كان هذا ما جعل جورجي زيدان يقول «ليس في تواريخ الامم الراقية اسقم من تاريخ العرب قبل الاسلام»[1]. وقد يكون قوله هذا صحياً في بعض جوانبه اذا ما قورن هذا التاريخ ومدى الاهتمام به من قبل ابناء العروبة والاسلام باهتمامهم بتاريخ الاسلام ودوله في العصور المختلفة، او اذا نظر الى المبالغات والمتناقضات في المرويات عن هذا التاريخ، لكن مما يبشر بالخير تنامي الاهتمام العلمي الجاد بهذا التاريخ في الجامعات ومعاهد العلم العربية، واخذ العرب لدور بارز في مجال الاكتشافات الآثارية، مما يوحي بان جوانب كثيرة وهامة من هذا التاريخ هي الآن في دائرة الضوء مما سيجلي الكثير من جوانبها ويحل الكثر من غموضها.

واياً كانت معرفتنا بهذا التاريخ، او نظرتنا اليه الا انه لا ينفك ان يكون جزءاً هاماً من مكوناتنا الحضارية بسلبياته وايجابياته، وأياً كانت مصادر دراسة هذا التاريخ والآراء حولها فانها لا تخرج عن دائرة اهمية تاريخ هذه المنطقة في صنع التاريخ الحضاري الانساني عبر عصوره المختلفة، وعلى اية حال فان الدارس لتاريخ الجزيرة العربية القديم لا بد له ان يعتمد في معلوماته على حزمة من المصادر المتنوعة، وهذا ما سنشير لبعضه ايجازاً فيما يلي:

١. القرآن الكريم:

وميزة هذا المصدر على ما عداه الدقة وعدم المبالغة وعلى الرغم من ان القرآن الكريم ليس كتاباً تاريخياً بالمعنى المفهوم لكتب التاريخ، الا ان ما ورد فيه من امثلة ذكرت في جوانب منها للعظة والعبرة اعطت الدارس نماذج حياة العرب وغيرهم من الشعوب قبل الاسلام، ورغم محدودية الاخبار والقصص التاريخي في القرآن الكريم الا ان هذه المحدودية تمتاز بميزة قلما تتوافر في المصادر الاخرى الا وهي ان هذه المعلومات قطعية لا يرقى اليها الشك. وقد اشار القرآن الكريم لجوانب مختلفة من حياة الامم السابقة لظهور الاسلام[٢]. وان الكثير مما ذكره القرآن الكريم قد ايدته الاكتشافات الحديثة، وهنا يعود القرآن ليكون المصدر الاهم.

ففي القرآن الكريم اشارات للعرب البائدة كالاشارة الى اقوام عاد وثمود[٣]، وفيه اشارات اقرب الى تاريخ الاسلام وهي اشارات لاحداث ذات صبغة عسكرية كالحديث عن غزو الاحباش للحجاز ضمن ما عرف بعام الفيل وغزوة ابرهة[٤]، وفيه اشارات اقتصادية كالحديث عن التجارة في الجزيرة العربية او محيطها[٥] وترد فيه اشارات عن العلاقات بين اتباع الديانات المختلفة وحالات الاضطهاد كما هو الحديث عن حادثة الاخدود واضطهاد الحاكم الحميري ذو نواس لنصارى نجران[٦]، وترد فيه اشارات لطبيعة المناطق وغناها كالحديث عن اليمن وجناته وسد مأرب[٧] ومكة وطبيعتها وفقرها في نواحي معينة مع تبيان اهميتها الدينية.[٨] كما ورد في القرآن الكريم اشارات ذات اهمية بالغة في دراسة طبيعة المجتمعات قبل الاسلام كعادة وأد البنات، زواج المقت، تعدد الزوجات، والثارات والعصبيات القبلية، وفي القرآن الكريم تفصيل للجوانب المتعلقة بالجوانب الدينية كالحديث عن عبادة الاصنام ومظاهر الطبيعة، وإشارة للديانات المجوسية واليهودية والنصرانية، كما هو الحديث عن الصابئة والحنفية وغيرها من الظواهر والمعتقدات.

٢. الحديث الشريف:

وهو المعتبر في المرتبة الثانية من مصادر الشريعة الاسلامية، وفي الحديث الشريف وتفاسيره ذكر لما كان قائماً قبل الاسلام من نظم اقتصادية ورؤى دينية، وانماط تفكير سياسي ونظم حياة اجتماعية[٩]، وعلى الرغم من ان الحديث جاء تدوينه متأخراً نسبياً الى حوالي القرن الثاني الهجري الا ان ذلك لا يقلل بشيء من اهميته، ذلك ان تدوينه وجمعه كان مترافقاً مع نمو علم خاص به يكفل الدقة لاعتماده على الاسناد ووضع مقاييس ومعايير تبين مدى دقة رواية الحديثة وأمانة الراوي، ومن اهم كتب الحديث المعتبرة في هذا المجال صحيح البخاري (ت ٢٧٥هـ) وصحيح مسلم (ت ٢٦٢هـ) وسنن ابي داود (ت٢٧٥هـ) وسنن الترمذي (ت ٢٧٩هـ)[١٠].

٣. التفسير:

ويأتي ترتيبه من حيث الأهمية والمكانة بعد القرآن الكريم والحديث الشريف، وعلم التفسير علم قديم النشأة في تاريخ الاسلام حيث تعود بداياته الى عهد الرسول (ص) والصحابة من بعده، ومهمة التفسير شرح ما ورد في القرآن الكريم وما أشكل فهمه، وهي بذلك تقدم وصفاً مفهوماً لحياة العرب في عصر الجاهلية ولقد حظي علم التفسير بعناية المسلمين من الصحابة حتى ظهرت مجموعة من كتب التفسير التي يعول عليها منها:

جامع البيان في تفسير القرآن – للطبري (ت ٣١٠هـ)

تفسير القرآن الكريم – لابن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)

انوار التنزيل وأسرار التأويل – للبيضاوي (ت ٦٨٥هـ)

مفاتيح الغيب – للرازي (ت ٦٠٦هـ).

٤. كتب السيرة والمغازي:

وان كان يفهم أنها مخصصة لسيرة الرسول (ص) ومغازيه، الا أن اهتمامات أصحاب كتب السيرة والمغازي شملت جوانب من حياة العرب قبل الاسلام، مهد بعضهم بها للدخول في السيرة او المغازي[١١]، ومن الاسماء الهامة في هذا الحقل أبان بن عثمان بن عفان (ت ما بين ٩٥-١٠٥هـ) وابان يمثل بكتابته مرحلة هامة ونسقاً مميزاً إذ انه بدأ حياته محدثاً ثم اهتم بكتابه المغازي والسيرة.

وهناك ايضاً الجهود التي قام بها عروة بن الزبير (ت ٩٤هـ). ويعتبر أول من وضع كتاباً في المغازي، الا ان هذا الكتاب لم يصل إلينا وان كانت الاشارات اليه والمنقولات عنه قد وردت عند ابن اسحق، الواقدي، الطبري، وتعتبر كتابة عروة هامة لانها تمثل مرحلة متقدمة على طريق الكتابة التاريخية ذلك ان اهتمامه تعدى فترة حياة الرسول وما فيها من أحداث لتغطي جوانباً من الاحداث في عهد الخلفاء الراشدين.

وكذلك نجد الأمر يأخذ بعداً آخر عند الزهري (ت ١٢٤هـ) اذ انه الى جانب الحديث عن المغازي وسيرة الرسول وسع نطاق بحثه ليشمل جوانب من تاريخ العرب قبل الاسلام وجوانب أخرى من التاريخ الاسلامي في عهد الخلفاء الراشدين[١٢].

ومن بين اشهر كتب السيرة هو الذي تم تدوينه على يد محمد بن اسحق (ت ١٥١هـ) هذه السيرة التي يقال انها الفت بناء على طلب من الخليفة العباسي المنصور[١٣]، ويعتبر كتاب ابن اسحق من اهم المؤلفات في هذا المضمار ذلك لانه جاء ثمرة مفهوم أوسع من مفهوم أسلافه ومعاصريه عن سيرة الرسول (ص) لأنه لم يقدم تاريخ وسيرة الرسول (ص) فقط وانما قدم تاريخ الرسالة، وكتابه يقسم الى ثلاثة اجزاء،

أ. المبتدأ: وهو الجزء الذي يبحث في التاريخ قبل الاسلام بمداه الابعد منذ بدء الخليقة وحتى البعثه النبوية.

ب. المبعث ويتحدث هذا الجزء عن حياة الرسول (ص) في مكة والهجرة ويعتمد في هذا الجزء على روايات مجموعة من الشيوخ منهم الزهري (ت ١٢٤هـ).

حـ. المغازي: وهذا الجزء يبحث في تاريخ النبي والدعوة الاسلامية في المدينة بما فيها غزواته وحروبه مع القبائل المشركة وحتى وفاة الرسول (ص)، ومن هذه الاقسام الثلاثة كان القسم الاول هو الاكثر عرضة للنقد وذلك لانه اعتمد على روايات وهب من منبه وبعض نصوص التوراة، ومن الملاحظ على سيرة ابن اسحق ما تضمنته من الاشعار على عادة رواة الاخبار وايام العرب، وقد وجه نقد أخر لهذه السيرة باعتبار ان مؤلفها مُتهم بالاعتزال والتشيع ورواية بعض الامور التي يصعب تصديقها، رغم ذلك فانه يعتبر من المصادر الرئيسية لتاريخ العرب في جاهليتهم[١٤].

وكتاب ابن اسحق لم يصلنا بل وصلت فقرات منه عن طريق تلخيص المؤرخين وتنقيحهم واهم ذلك ما وصلنا عن طريق ابن هشام الذي نقح سيرة ابن اسحق بعد ان خلصها من الاشعار المنحولة والاخبار الضعيفة وخاصة ما تعلق بالجزء الاول المسمى المبتدأ.

ومن الكتب الهامة في هذا المجال سيرة ابن هشام (ت ٢١٨هـ) وتزداد اهمية سيرة ابن هشام لاعتماده على سيرة ابن اسحق (ت ١٥١هـ) وفي سيرة ابن هشام اشارات هامة لعبادات العرب قبل الاسلام[١٥] واصبح بعد ذلك ابن هشام وسيرته اشهر من سيرة ابن اسحق واشهر من المؤلف نفسه.

ومن الاعلام الهامة في هذا المجال ايضاً محمد بن عمر الواقدي (ت ٢٠٧هـ) صاحب كتاب «المغازي» الذي يبحث في غزوات الرسول وسراياه خلال الفترة المدنية مراعياً في ذلك التسلسل الزمني وهو دقيق في استعمال الاسناد وفي تحقيق تواريخ الحوادث، ورغم ما اتهم به من ميول علوية الا ان الغالب على كتاباته الدقة والبعد عن التحزب والعصبية[١٦].

وقد قاد هذا الاهتمام بالحديث النبوي الشريف والسيرة والمغازي الى الدخول الى مجال ارحب هو مجال الكتابة التاريخية بمعناها الواسع زماناً ومكاناً.

٥. كتب التاريخ والجغرافية:

بدءاً لا بد من الإشارة على ان تدوين الكتب التاريخية وخاصة ما تعلق منها بتاريخ العرب في جاهليتهم قد بدأ في العصر الأموي، وهذا قاد الى اهتمام بالكتابات عن تاريخ العرب القديم لتبيان الصلات العربية – العربية سواء داخل جزيرة العرب او خارجها، كما ركز البحث على علاقات هؤلاء العرب بغيرهم من الامم الاخرى سواء أكانت هذه العلاقات سلمية تجارية ام عدائية عسكرية، على ان هذه الكتابات يؤخذ عليها احتوائها على الكثير من القصص والاساطير التاريخية اضافة الى انها جاءت في كثير من اخبارها مطبوعة بالنظرة الاسلامية الى عصر ما قبل الاسلام، وان كنا هنا لا نستطيع ان نشير الى تطور مراحل الكتابة التاريخية عند العرب او استقصاء الكتب التاريخية الا اننا نشير الى عدد منها على سبيل التمثيل لا الحصر:

١. عبيد بن شرية الجرهمي: (ت ٧٠هـ)

كان يعتبر من حكماء الجاهلية، وهو من اصول يمنية، وجاء الى دمشق حاضرة الامويين بناء على طلب من الخليفة الاموي الاول معاوية بن ابي سفيان وكان احد اهداف حضوره لدمشق رغبة الخليفة في سماع ما لديه من قصص واخبار العرب القديمه، وقد تم بعد ذلك وبناء على طلب الخليفة الاموي تأليف كتاب الملوك واخبار الماضين وقد طبع مع كتاب التيجان وملوك حمير تحت اسم: اخبار عبيد ابن شرية في اليمن واشعارها وانسابها وهذه الكتابات هي اقرب الى المسامرات من كونها كتابات تاريخية بالمعنى الدقيق، علاوة على ان الكتاب والمؤلف بقيا موضع شك[١٧].

٢. **وهب بن منبه:** (ت ١١٠هـ).

وهو في اصوله فارسي العرق يمني المستقر، كان في بداية امره من اتباع الديانة اليهودية ثم اعتنق الاسلام، جاءت معظم كتاباته مركزة على اخبار اليمن، وقد اخذ البعض بمروياته وقصصه مما اثر على وجود عناصر المبالغة والاسطورة في عدد كثير من الكتابات اللاحقة لعصر وهب ابن منبه[١٨]، ووهب بن منبه متأثر برواياته بالروايات النصرانية وبالموروثات الفارسية[١٩]، وله من المؤلفات:

كتاب المبتدأ وهي في التاريخ القديم يعود فيه منذ بدء الخلق، وقد استعان على ذلك بما كان لديه من معرفة بلغات عدة حسب قول المسعودي، وينسب اليه ايضاً كتاب المغازي وهنا نجد ان وهب اعطى للمغازي بعداً اوسع مما هو معروف حيث شملت حياة النبي (ص) جميعها اضافة الى حديثه عن سلسلة الرسالات والرسل كمقدمة لحديثه عن حياة الرسول محمد (ص)، ومن هذا الكتاب عثر على قطعة من مجلد واحد من ورق البردي وهو مخطوط لا يزال محفوظ في هايدلبرج - المانيا، ويعود تاريخها الى سنة ٢٢٨هـ[٢٠].

ومما يقال عنه انه روى الحديث ولكن لم يؤخذ منه الكثير خوفاً لانه من اهل الكتاب اليهود فضلاً عن نسبه الفارسي.

٣. **الكلبي: محمد بن السائب** (ت ١٤٦هـ/ ٧٦٣م)،

وابنه هشام بن محمد الكلبي (ت ٢٠٤هـ/ ٨١٩م) وهما بالاصل من علماء منطقة الكوفة وكان الوالد محمد بن السائب من علماء الانساب وكان يجمع انساب القبائل كل قبيلة كوحدة مستقلة، وقد سار ولده هشام على منهجه وهما معاً يشكلان في كتاباتهما منهجاً قريباً من منهج الكتابة التاريخية السليمة.

وكان هشام من المهتمين بجمع الاخبار عن الحيرة حيث كتب معتمداً على وثائق الكنائس وعلى مواد فارسية مترجمة[٢١]، وله في كتب الانساب النسب الكبير، والجمهرة في النسب، نسب فحول الخيل في الجاهلية والاسلام، ومن الكتب الهامة

الاخرى والتي تعنى بالامور الدينية عند العرب قبل الاسلام، كتاب «الاصنام» ويعتبر مصدراً لا غنى عنه لكل من يتصدى للحديث عن ديانة العرب قبل الاسلام.

وقد تعرض ابن الكلبي للنقد وخاصة فيم يتعلق بروايته للحديث، الا ان نقاده لم يغفلوا الاشارة الى انه كان حافظاً اخبارياً علامة[٢٢] وقد ترك بمولفاته أثره في العصور اللاحقة حيث الف البعض على منوالها وتناولها البعض الآخر بالتلخيص[٢٣].

٤. **الهمذاني: الحسن بن يعقوب** الملقب «لسان العرب» والمعروف ايضاً بابن الحائك،

وهو يمني من مواليد مدينة صنعاء ٢٨٠هـ/٨٩٢م وتوفي بمنطقة ريده شمال صنعاء في تاريخ غير محدد (ما بين ٣٣٤، ٣٣٨هـ، ٣٦٠هـ)[٢٤]. ركز دراساته على تاريخ اليمن وجغرافيتها الطبيعية والبشرية، على ان تركيزه في كتاباته عن اليمن لا يعني بأنه لم يكن عالماً موسوعياً فمؤلفاته تشير الى سعة اطلاعه وتنوع اهتماماته التي شملت ميادين الانساب، الشعر والفلسفة والفلك وعلم الحيوان، وكان الهمذاني على معرفة بخط المسند القديم مما جعله يقدم لنا معلومات عن تاريخ اليمن القديم لا نجدها عند غيره حيث يقول مدللاً على اعتماده على مصادر مكتوبة «قرأت زبر حمير ومساندها الدهرية» ويقول «ان انساب الملوك في اليمن كانت مزبرة في خزائن حمير»[٢٥] ومن مزايا الهمذاني انه كان يرتحل ويزور المناطق التي يكتب عنها وللهمذاني مؤلفات عديدة لم يصلنا الا بعضها ومن اهمها اجزاء من كتاب الاكليل تحدث فيها عن انساب العرب والعجم وحمير ويشير الى محافد اليمن وقصورها والى لغة حمير وكتاباتها، وكتاب آخر هو صفة جزيرة العرب وهو يعطي وصفاً هاماً للجغرافية الطبيعية والبشرية لجزيرة العرب، وكتاب الجوهرتين العتيقتين ويتحدث فيه عن المعادن وخاصة الذهب والفضة وما يتعلق بهذين المعدنين تعديناً وصياغة[٢٦]، مما يحسب للهمذاني ذكره من اخبار متعلقة بتاريخ اليمن وآثارها والتي جاءت سابقة للمكتشفات الآثارية والرحلات الاوروبية في العصر الحديث.

٥. الطبري: ابو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ/ ٩٢٣م)

سبق ان اشرنا الى كتابه في التفسير «جامع البيان في تفسير القرآن» وهذا الكتاب كان سابقاً في التأليف على كتابه التاريخي المشهور «تاريخ الرسل والملوك» وقد تجمعت للطبري ظروف ووسائل جعلت كتابته التاريخية اكثر نضجاً من كتابات غيره حيث عاش في بيت علم ويسار كما اتيحت له فرصة الارتحال في طلب العلم حيث ارتحل من آمل في طبرستان ليزور الري وبغداد والكوفة والبصرة والشام ومصر حيث أتيحت له فرصة الالتقاء باهل العلم الموزعين في هذه الامصار، وقد اثر الجانب الفقهي في ثقافته على اسلوبه في الكتابة التاريخية خاصة فيما يتعلق بالاسانيد ونقدها. وبالاجمال فان كتابه في التاريخ شامل لاطراف من الحديث واللغة والادب والسيرة اضافة الى المغازي وتراجم الرجال وغير ذلك[٢٧].

والطبري في كتابه «الرسل والملوك» من المؤرخين العالميين، ويبدأ كتابه بلمحة عن الدلالات التي تدل على حدوث الزمان، ثم ينتقل للحديث عن آدم والرسل والانبياء من بعده حسب ترتيبهم في التوراة، ثم يشير الى ملوك فارس والامم الاخرى، حتى مجيئ الاسلام، وقد جمع الطبري في مؤلفه بين منهجين من مناهج الكتابة التاريخية فهو اتبع منهج الكتابة الافقية الموضوعية وهو المنهج الذي كان ملائماً للقسم الاول من كتابه من بدء الخليقة في حين استخدم المنهج الحولي (العموي) للقسم الاسلامي من كتابه حيث يرتب الاحداث على اساس السنوات بدءاً من السنة الاولى وحتى سنة ثلاثمائة واثنين للهجرة، وكتابه مليئ بالاخبار السياسية والدينية والاقتصادية والاجتماعية للعرب قبل الاسلام وجزء كبير من هذه الاخبار اعتمد فيها على ما ورد عند عبيد بن شريه ووهب بن منبه وغيرهما، ويبقى كتابه لا غنى عنه لدراسة تاريخ العرب قبل الاسلام ولتاريخهم في القرون الثلاثة الاولى من الاسلام. ومن اهمية هذا المؤلف ومنهجه انه قُلد من الآخرين في العصور اللاحقة[٢٨].

٦. المسعودي: ابو الحسن علي بن الحسين (٣٤٥هـ/ ٩٥٤م):

ويمثل المسعودي في كتابته النظرة العالمية في التاريخ من حيث ترابط الافكار والاديان وتوحد الانسانية احداثاً ومصائر رغم تعدد الشعوب واختلاف الازمان. وقد الف المسعودي العديد من المؤلفات[٢٩] نشير الى بعضها:

- كتاب أخبار الزمان ومن ابادة الحدثان من الامم الماضية والاجيال الخالية والممالك الدائرة» ووضع هذا المؤلف في اصله في ثلاثين مجلداً لم يصلنا منه سوى جزء واحد هو الاول وموجود الآن في مكتبة فينا، ووصلتنا إشارات عنه في مؤلفات المسعودي الاخرى ويعتبر كتاب «اخبار الزمان.....» من اول الكتب التي الفها المسعودي، وينتهي به الى سنة ٣٣٢هـ واشتمل الكتاب على العديد من الموضوعات، وبين اهم ذلك حيث قال انه بين فيه «هيئة الارض ومدنها وعجائبها وبحارها واغوارها وجبالها وانهارها... وذكرت شأن المبدأ واصل النسل وتباين الاوطان. وتباين الناس في التاريخ القديم واختلافهم في بدئه واوليته.... واخبار الملوك الغابرة والمم الداثرة والقرون الخالية والطوائف البائدة على مر سيرهم... الى ما في تضاعيف ذلك من اخبار الانبياء والرسل والاتقياء الى ان افضى الله... برسالته محمداً نبيه»[٣٠].

- كتاب مروج الذهب ومعادن الجوهر، وهو من قسمين الاول وهو الهام فيما يتعلق بتاريخ العرب قبل الاسلام والتاريخ القديم بشكل عام، ويبدأ فيه الحديث منذ بدء الخليقة ثم يتحدث عن قصص الانبياء، وتشير لمعلومات جغرافية عن الارض والبحار وتاريخ الامم القديمة، والقسم الثاني والذي يتحدث فيه عن تاريخ الاسلام والقسمين يقدمان معلومات عن القبائل والعادات والاديان.

وقد انتهى من تأليف الكتاب في سنة ٣٣٦هـ، وقد اتبع المسعودي اسلوب عرض الخبر والواقعة بايجاز وبساطة بعد تحري الاخبار الموثوقة، ويقول عن منهجه في هذا الكتاب «ليس الغرض من هذا الكتاب وصف اقاويل المختلفين والاخبار عن كلام المتنازعين، اذا كان كتاب خبر لا كتاب بحث ونظر»[٣١].

ومن كتبه الاخرى كتاب التبيه والاشراف والذي يشير فيه الى معلومات جغرافية وفلكية. وهو آخر الكتب التي الفها المسعودي وانتهى به الى سنة ٣٤٥هـ ومجموع مؤلفات المسعودي تشكل سنداً رئيساً لكل من يتصدى بالكتابة عن تاريخ العرب والمسلمين، وهو عالم موسوعي وعلم من اعلام الفكر العربي الاسلامي في عصر نضجه اي في القرن الرابع الهجري (العاشر للميلاد). وللتدليل على اهمية المسعودي نأخذ ما قاله عنه الدكتور نقولا زيادة، اذ يقول: «إذا اردنا ان نصنفه على نحو ما نصنف اهل العلم والفكر لحرنا في امره، فهو ليس رحالة ولا مؤرخاً ولا جغرافياً ولا فلكياً ولا طبيباً ولا محدثاً ولا فقيها، لكن كل هذه مجموعة معاً مصقولة في بوتقة الاختبار بعد ان اضفت عليها الرحلة سعة الافق وسعة الصدر الكثير من العمق في التفكير والدقة في التعبير»[٣٢]، وكانت مصادر معرفته تعتمد على الرحلات والاتصال المباشر بالعلماء، والمصادر المكتوبة الخاصة بالديانات والشعوب المختلفة.

٦. الشعر:

يعتبر الشعر العربي من المصادر التي لا غنى عنها لمعرفة الكثير من جوانب حياة العرب في عصورهم قبل الاسلام، ورغم اهمية هذا المصدر العربي الاصيل الا انه بقي والى حد كبير دونما عناية مركزة من قبل جمهور المؤرخين المحدثين ليستخلصوا منه اضاءات لجوانب الحياة المختلفة للعرب في الجاهلية، وربما كان هذا الامر هو الذي جعل الدكتور ناصر الدين الاسد وهو من المهتمين بدراسة الشعر الجاهلي يقول: «ان مصادر الحقبة الجاهلية لا يجوز ان تحصر في كتب التاريخ وحدها، بل لا بد من تضافر الجهود لاستخراج المادة التاريخية والجغرافية والادبية من دواوين شعراء الجاهلية.....»[٣٣] ورغم وجاهة هذا الرأي واهمية هذه الدعوة وخاصة انها تأتي ممن يعرف الشعر الجاهلي ومصادره معرفة تامة، الا ان الشعر العربي على اهميته ومركزيته في حياة العرب لكونه» فهو (الشعر) للعرب ديوانهم

يخلّدون فيه مآثرهم ويسجلون فيه اخبارهم وهو علمهم الذي ليس لهم علم اصح منه[٣٤]، او «كان العرب لا يهنئون الا بغلام يولد او شاعر ينبغ او فرس تنتج»[٣٥]، نقول رغم هذه الاهمية الا ان الشعر العربي يعاني من قضايا تحد من اهميته كمصدر موثوق للتاريخ ومن هذه القضايا الريبة التي تدور حول الشعر المنسوب الى العرب في العصور القديمة كالاشعار التي تنسب الى زمن عاد وثمود وطسم وجديس، وتتعمق هذه القضية اهمية اذا اخذنا بالآراء القائلة بقصر عمر الشعر نسبة الى تاريخ العرب، حيث ان الجاحظ يجعل عمر هذا الشعر لا يزيد عن مائه وخمسون سنة قبل الاسلام، حيث يقول: «واما الشعر فحديث الميلاد صغير السن اول من نهج سبيله وسهل الطريق اليه امرؤ القيس ومهلهل بن ربيعة فاذا استظهرنا الشعر وجدنا له الى ان جاء الاسلام خمسين ومائة عام واذا استظهرنا بغاية الاستظهار فمائتي عام»[٣٦] وعليه فاقدم الشعراء امرؤ القيس وطرفة بن العبد وعبيد بن الابرص وعمرو بن قميئة والمتلمس والمرقشان.

وقضية اخرى يخبرنا بها دارسوا الشعر والادب الا وهي قضية النحل والانتحال والوضع، فالنحل نسب القصيدة الى غير قائلها، والانتحال ان ينسب الشاعر قصيدة لنفسه وهي ليست له، والوضع هو الكذب وقد نبه لهذه العيوب في الشعر محمد بن سلام في كتابه طبقات فحول الشعراء، ابن هشام في كتابه السيرة النبوية»[٣٧]، واذا اضيف الى ذلك ما يوصف به الشعر العربي والشعراء من المبالغة، رغم كل هذه القضايا التي اعتبرت من المحددات لاستخدام الشعر كمصدر لتاريخ العرب، نقول رغم ذلك فان الشعر العربي يبقى مصدراً لا غنى عنه اذا ما درس جيداً امكن استخلاص معلومات عن جوانب الحياة المختلفة للعرب قبل الاسلام، وعن التركيبة القبلية وعلاقات القبائل ببعضها وبمحيطها سلماً وحرباً، كما يمكن ان تستخلص منه اشارات لعادات حميدة واخرى سيئة، ومنه نعرف الكثير عن ايام العرب، واسواق العرب، كما انه مهم لمعرفة ودراسة لهجات القبائل، واشارة بسيطة وموجزة تفيد بكيفية توظيف الشعر كمصدر لحياة العرب قبل الاسلام، الدراسة التي تشير الى

وسائل الزينة واشكالها عند العرب قبل الاسلام، ونشير هنا الى دراسة الدكتور يحيى الجبوري بعنوان «الزينة في الشعر الجاهلي»[٣٨]. ودراسات اخرى عن الحياة والموت في الشعر الجاهلي[٣٩] والله والانسان في الشعر الجاهلي[٤٠].

وعلى نسقها يمكن ان تأتي مجموعة من الدراسات تشمل جوانب مختلفة لحياة العرب مستخلصة من الشعر العربي القديم شريطة تضافر جهود مجموعة او مجموعات من الباحثين في حقول اللغة والادب والتاريخ.

كما ان الشعر يقدم لنا وصفاً لا يخلو من الدقة عن الجوانب المختلفة للحياة الدينية للعرب قبل الاسلام ولنا ان نستشهد في هذا المجال بما ورد من اشعار وظفها لهذا الغرض ان الكلبي في كتابه الاصنام[٤١]. واياً كان الموقف من الشعر وقضاياه الفنية فان الدارس لاشعار الشعراء الجاهليين يخرج بحصيلة معلومات تفيد في معرفة تاريخ العرب قبل الاسلام.

ولو قصرنا الامر هنا على دراسة نماذج من شعر امرئ القس (ت ٥٦٠م) وعلقمة الفحل (ت ٥٦١م) والنابغة الذبياني (ت ٦٠٤م) وطرفة بن العبد (ت ٥٦٥م) وعنترة العبسي (ت ٦١٥م) وعمر بن كلثوم (ت حوالي ٦٠٠م) وامية بن ابي الصلت (ت ٦٢٤م)، لخرجنا بحصيلة معلومات تغطي جوانب هامة من الحياة الاجتماعية والدينية والاقتصادية، علاوة عن معلومات تتعلق بالعلاقات بين القبائل العربية تحالفاتها وحروبها، كما ترد في اشعارهم معلومات عن العلاقات بين الغساسنة والمناذرة من جهة وبين الروم والفرس من جهة اخرى، كما يتبين من خلال اشعارهم مواقف من الاحداث الخطيرة التي تعرضت لها جزيرة العرب ونلمح ذلك في شعر بعضهم من موقف تجاه الغزو الحبشي لليمن واستنجاد سيف بن ذي يزين بالقوة الفارسية للتخلص من سيطرة الاحباش[٤٢].

٧. النقوش:

مما لا شك فيه ان النقوش الكتابية الاثرية تعتبر من المصادر الهامة لدراسة التاريخ بابعاده الزمانية والمكانية، واذا قصر ذلك تحديداً على اهمية النقوش لدراسة تاريخ العرب القديم نجد ان هذه الاهمية تزداد حين نقارن اهمية النقوش بما وصل الينا من مصادر اخرى عن تلك الفترة كالكتابات التاريخية والشعر وغيرها، على أن ذلك لا يمنع من ان هذه المصادر النقشية تعاني من مشكلات قد تحد من الإفادة منها، فالنقوش المكتشفة على كثرتها وتعدد مناطق العثور عليها عانت من مشكلة قراءتها وتحليلها لأن هذا مرتبط بفهم دقيق للغات التي كتبت بها هذه النقوش.

وأما القول تدليلاً على اهميتها بانها مصادر محايدة فهو أمر يجب ان يؤخذ بقدر كبير من الحذر إذ أنها أقل عرضة للتزوير ولكنها لا تخلو منه، وليس بالضرورة ان يكون النقش وإن كان معاصراً ناطقاً بالحقيقة لأن ذلك يرتبط بكاتب النقش وصاحب النقش، وعليه فان النقوش مصدر هام ولكنه بحاجة الى مزيد من الدرس والتحليل.

وكما سبق ان اشرنا في ديباجة الحديث عن مصادر دراسة التاريخ العربي القديم من القول من أنها مصادر متعددة متباينة متنامية فان هذا يصدق بشكل دقيق على النقوش كمصدر لتاريخ العرب قبل الاسلام، وعليه فاننا لن نستطيع هنا الاتيان على ذكر مفصل لتطور اكتشاف النقوش ودراستها وسنكتفي بالتمثيل لمجموعات نقشية تهم موضوع البحث، ومنها:

أ. النقوش الآشورية:

جاءت اخبار عن جزيرة العرب وسكانها في نقوش أشورية متعددة منها النقش الذي يعود الى عهد الملك سرجون الثاني (٧٢١-٧٠٥ق.م) وتاريخ النقش يعود الى عام ٧١٥ ق.م ويشير الى صدام عسكري مع بعض القبائل العربية مثل قبائل ثمودي وابادي[٤٣]، ونقش أخر يعود الى عهد اسر حدون (٦٨٠-٦٦٩ ق.م) يفهم منه عن

المحاولات التي جرت لإخضاع منطقة دومة الجندل واشارات لآلهة هؤلاء الاقوام والتي تعرضت للأسر من قبل القوة الغازية، كما تفيدنا الكتابات الاشورية عن مواضع القبائل العربية في منطقة شمال الجزيرة العربية[٤٤]

كما ان النقوش الاشورية المختلفة ترد بها إشارات ذات دلالات هامة فيما يتعلق بتاريخ الممالك العربية الجنوبية وتحديداً مملكة سبأ وعلاقاتها مع اشور في عهد سرجون الثاني الذي تلقى هدايا من الملك السبئي «اتي امر»، عبارة عن ذهب واحجار كريمة وخيول، وكذلك إشارة لعلاقات سبئيه مع اشور في عهد سنحاريب حيث زار وفد سبأي بلاد اشور سنة ٦٨٥ ق.م[٤٥]، فمثل هذه الاشارة تقدم لنا معلومات سياسية واقتصادية كما انها تفيد في وضع تسلسل تاريخي لحكام اليمن مقارنة بمعاصريهم من حكام الدولة الاشورية.

ب. النقوش العربية القديمة:

وهي تشمل النقوش التي عثر عليها في الجزيرة العربية او خارجها، وجاءت هذه النقوش بخطوط مختلفة منها ماكتب بخط المسند، الآرامي، النبطي وفروعه وما كتب بالخط العربي.

١. النقوش اليمنيه

ومن اهم هذه النقوش تلك التي عثر عليها في اليمن التي تسمى بالمسند او الخط الجنوبي العربي وهو مشتق من اللغة السامية ويتكون من ٢٩ حرفاً، وقد عثر على مجموعات من هذه النقوش تزيد على عشرة الألف نقش وجدت منقوشة على الصخور والحجارة والطين المحروق وجذوع الاشجار او على شكل نتوءات مصبوبة على صفائح معدنية، ومعروف ان لغة هذه النقوش ظلت سائدة بمختلف لهجاتها حتى القرن الثالث الميلادي، وقد تمكن علماء الساميات[٤٦] من فك رموزها ومعرفة ابجديتها، وممن ساهم في هذا المجال في الفترة ما بين (١٨٧٠-١٨٨٠ العالم الالماني جزينوس Gesenius واميل روديجر، A. Rodiger[٤٧]، رغم ان هذه اللغة كما سبق ان

اشرنا عند حديثنا عن الهمذاني قد كانت معروفة لديه، حيث اشار في كتابه الاكليل بالقول: «ان انساب الملوك في اليمن كانت مزبرة في خزائن حمير» ويقول: «قرأت زبر حمير ومساندها الدهرية»[٤٨].

والنقوش اليمنية لا زالت موضع دراسة وتحليل من قبل العديد من الدارسين الأوروبيين والأمريكان والعرب، وقد قدمت هذه النقوش معلومات شملت جميع جوانب الحياة في بلاد اليمن وعلاقاتها، فهي قدمت معلومات عن النواحي الدينية وطقوسها ومعابدها، وكذلك عن الحياة الإقتصادية والإجتماعية والإدارية، بل ان ما اكتشف وما درس من هذه النقوش كان كفيلاً بجعل المهتمين بتاريخ اليمن يعيدون النظر فيما كان يعتبر الى فترة قريبة معلومات دقيقة، وخاصة ما تعلق منها بالتسلسل التاريخي لدول اليمن، إذ أن دراسة هذه النقوش جعلت سبأ أقدم دول اليمن وهذا ما سنشير اليه لاحقاً عند الحديث عن دول اليمن. كما انه من المفيد الاشارة في هذا المجال الى إسهامات بعض الدارسين العرب في دراسة واكتشاف هذه النقوش، ومنهم على سبيل المثال خليل يحيى نامي من علماء النقوش العرب وكان مما اكتشفه مجموعة من النقوش في مناطق شمال صنعاء، ونشر دراسات عنها عامي ١٩٥٤، ١٩٥٩[٤٩] وكذلك الباحث المصري أحمد فخري[٥٠] والدكتور محمود الغول والذي كان ضمن دراساته عن النقوش اليمنية تبيان العلاقة بين اليمن وغزة[٥١]، ومن اليمن محمد عبد القادر بافقيه والذي نشر العديد من الكتب والدراسات من خلال معطيات النقوش في المناطق المختلفة من اليمن[٥٢]، ويوسف عبدالله الذي نشر من ضمن ابحاثه بحثاً عن نقش القصيدة الحميرية[٥٣] وغيرهم كثير. ولا زالت هذه الدراسات تطالعنا بين الفترة والأخرى بما هو جديد ومثير حول تاريخ اليمن القديم وعلاقاتها الدولية. على ان ذلك يجب ان لا يحجب حقيقة علمية وهو ان العديد من المستشرقين الاوروبيين قد كانوا سباقين لمثل هذه الدراسات من خلال رحلاتهم المنظمة والمدعومة الى جنوب الجزيرة العربية مثل رحلة كارستن نيبور التي نبهت الدارسين لاحقاً لوجود نقوش يمنية، وكذلك العالم الالماني ستيزن U. E. Seetzen والفرنسي توماس جوزيف ارنو

وتابعهم علماء إنجليز وأمريكان سنشير اليهم عند Thomas Joseph Arnoud الحديث عن الرحلات الكشفية والأثرية.

ويضاف الى النقوش اليمينة تلك النقوش التي عثر عليها في مناطق مختلفة من الجزيرة العربية والمناطق المحيطة بها ومن الأمثلة الهامة في هذا الصدد.

٢. النقوش الثمودية:

تعتبر النقوش الثمودية من المصادر الهامة لدراسة تاريخ العرب القديم وازدادت اهمية هذه النقوش نظراً للفترة الزمنية التي تغطيها، حيث يرى البعض أنها تغطي ما بين القرن الخامس قبل الميلاد وتستمر حتى القرن الرابع والخامس بعد الميلاد[٥٤]، كما انها هامة بتوزيعها الجغرافي حيث عثر على مجموعات منها في مناطق المملكة العربية السعودية والأردن وسوريا واليمن، ويعود اكتشاف هذه النقوش بداية الى مجهودات العالم اميل روديجر E. Rodiger منذ عام ١٨٣٧م، ثم اتبعت ممجهوداته باكتشافات جديدة قام بها علماء من مختلف الجنسيات من ابرزهم جوسان وسافينياك عام ١٩٠٩-١٩١٠ حيث جمعا نقوشاً من منطقة تبوك والعلا، ثم بدأ العلماء والمعاهد العلمية العربية بالاهتمام بهذه النقوش، ومن المجهودات البارزة للعلماء العرب في هذا المجال ما قام به الدكتور محمود الغول في ١٩٦٦م، ومجهودات الدكتور عبد الرحمن الطيب الانصاري منذ ١٩٧٠م حيث ساهم واشرف على العديد من المواسم والمشاريع للمسح الاثري في مناطق المملكة العربية السعودية[٥٥] وقد قدمت هذه النقوش معلومات ثرية فيما تتعلق بجوانب الحياة المختلفة للقبائل العربية قبل الاسلام ومناطق سكناها ونظمها الاجتماعية وتقسيماتها القبلية الى جانب النواحي الدينية[٥٦].

٣. النقوش الصفوية:

عرفت بهذه التسمية نسبة الى منطقة في جنوب شرق سوريا وهي جبل الصفاء، على ان ذلك لا يعني باي حال من الاحوال بأن النقوش الصفوية اقتصرت على هذه

المنطقة، فالإكتشافات الأثرية المتوالية أظهرت للوجود نقوشاً صفوية في الأردن، لبنان، فلسطين، العراق وأعالي الحجاز[٥٧]. والنقوش الصفوية يرجعها بعض الدارسين لتغطي الفترة الواقعة ما بين القرن الاول ق.م لتستمر حتى القرن الرابع للميلاد، ويرجع زمن اكتشاف هذه النقوش الى القرن التاسع عشر وتحديداً الى عام ١٨٥٧م حيث اكتشف سيرل جراهام Cyril Grahamm هذه النقوش في منطقة الصفا على الرغم من انه لم يستطع تحديد ماهية هذه النقوش ثم تتابعت الجهود حتى أثمرت جهود العالم جوزيف هاليفي Joseph Halevy عام ١٨٨٢م حيث جمع بعض النقوش واستطاع معرفة بعض الحروف وهو أول من اطلق على هذه النقوش اسم النقوش الصفوية[٥٨] كما ساهم لانكستر هاردنج في معرفة النقوش الصفوية منذ عام ١٩٥٠م-١٩٧٦م حيث نشر العديد من النقوش الصفوية من الاردن والعراق ولبنان[٥٩]، وبدأت الجامعات العربية الاهتمام بهذه النقوش واجريت العديد من الدراسات عليها حيث نشرت دراسات عن النقوش الصفوية من مناطق العراق نشرها عادل ناجي ١٩٦٢م وفؤاد سفر نشر مجموعة من النقوش الصفوية من العراق ايضاً عام ١٩٦٤، ونشر فوزي زيادين نقشاً صفوياً من الاردن عام ١٩٨٠[٦٠]، وأخر الدراسات عن النقوش الصوفية حسب علمنا هي دراسة لنيل درجة الماجستير في جامعة اليرموك قام بها الطالب امجد ملكاوي. وقدمت هذه النقوش معلومات أشارت الى جوانب الحياة الدينية واسماء المعبودات الخاصة بهذه القبائل.

٤. نقوش اخرى:

منها نقش ام الجمال الأول والمكتشف في منطقة جنوب حوران في المملكة الأردنية الهاشمية حالياً ويعود تاريخ هذا النقش الى سنة ٢٥٠م.

ونقش النمارة الذي عثر عليه العالم الفرنسي رينيه دوسو في بلدة النمارة من اعمال حوران في بلاد الشام ويعود تاريخه الى سنة ٣٢٨م، وهو يمثل شاهد قبر الملك اللخمي امرئ القيس بن عمرو ابن عدي (٢٨٨-٣٢٨م) والنقش مكتوب بحروف

نبطية[٦١] وهناك نقش زيد التي تقع بين قنسرين ونهر الفرات جنوب شرق مدينة حلب ويعود تاريخه الى ٥١٢م، ونقش حران الذي عثر عليه في خرائب كنيسة في منطقة حوران جنوب دمشق ويعود تاريخه الى ٥٦٨م، ونقش ام الجمال الثاني في الأردن ويعود تاريخه الى القرن السادس للميلاد، ونقش اسيس جنوب شرق دمشق وعثرت عليه بعثة ألمانية ١٩٦٥م. ويؤرخ بتاريخ ٤٢٣م[٦٢].

وهكذا نجد ان مجموع هذه النقوش الآشورية واليمنية والعربية الشمالية تغطي فترة تتراوح ما بين القرن السابع قبل الميلاد والى نهاية القرن السادس الميلادي، وهذا ما يعطيها اهمية بالغة كمصدر لتاريخ العرب القديم، الا ان الامل معقود على متابعة دراسة هذه النقوش ونشر نتائجها.

٨. التوراة والتلمود:

والتوراة هي كتاب العهد القديم وهي مجموعة من الأسفار يعود تاريخها ما بين القرن العاشر وأواسط القرن الخامس قبل الميلاد، ورأي آخر يجعلها تعود الى الفترة ما بين منتصف القرن الثامن والقرن الثاني قبل الميلاد[٦٣]، وقد ورد في التوراة في اسفارها المختلفة إشارات الى العرب حيث ذكرت أسماء بعض القبائل ودول جنوب الجزيرة، كالإشارة الى سبأ وحضرموت والإشارة إلى رحلة ملكة سبأ (بلقيس) الى فلسطين الى الملك سليمان في القرن العاشر قبل الميلاد[٦٤]. واسفار العهد القديم (التوراة) تقسم الى ثلاثة اقسام هي:

الأسفار التاريخية والنبوءات والآدب، والأسفار التاريخية هي التي تسمى عادة التوراة (الشريعة) وهي الأسفار الاثنا عشر الأولى باستثناء سفر راعوث[٦٥]. ومما يجدر ذكره هنا أن الشك في صحة التوراة قديم، فمنذ ايام الرومان آثار مرقيون بعض الشك حول هذا الموضوع وفي القرن الثاني عشر كان الباحث اليهودي ابن عزرا ممن اثاروا الريبة والشك في صحة نسبة التوراة الى موسى من حيث

تأليفها،[٦٦]، وتوالت الدراسات ملقية بالشك حول صحة التوراة، ومن هؤلاء الدارسين توماس هوبز في القرن السابع عشر، وباروخ سبينوزا ١٦٣٢-١٦٧٧م الذي تناول سفر التكوين بالتحليل، وخلص الى القول أن هذا السفر لا يمكن ان يكون من عمل مؤلف فرد ثم القى الشك على أسفار التوراة بأكملها، ومن العلماء الآخرين الذين اهتموا بالموضوع الفرنسي جاك استروك (القرن الثامن عشر) ومن بعده شخصيات أخرى مثل فلها وزن وباكون وغيرهم، هذه الدراسات اثبتت ان التوراة محرفة باشكال مختلفة وفي فترات مختلفة.

وهنا لا بد من التفريق بين التوراة التي أشار اليها القرآن الكريم في مواضع مختلفة بلغت ١٨ إشارة (٦ مرات في آل عمران، ٧ مرات في سورة المائدة، ومرة واحدة في سورة التوبة، الأعراف، الفتح، الصف، الجمعة).

والقرآن الكريم فرق بين هذه التوراة التي نزلت على موسى وهي صادقة تدعو للخير والهداية، والتوراة التي حرفها اليهود وهي التي بين أيديهم اليوم، والتي كتبت في فترات مختلفة لتوافق أهواء وأطماع وطباع اليهود، حيث حرف اليهود التوراة بأنواع مختلفة. منها تحريف التبديل، وتحريف الزيادة، وتحريف النقص، وتحريف التأويل وتحريف المعنى[٦٧]، وعلى ذلك فان الأخذ من هذه التوراة المحرفة في المجالات المختلفة يجب أن يتم باقصى درجات الحذر، وهذا ما اشار اليه ابن حزم الاندلسي (ت ٤٥٦هـ) عند حديثة عن الأنساب والأخذ عن التوراة حيث يقول: «والذي في التوراة من ان قحطان بن عامر بن شالخ بن ارفخشد بن سام بن نوح عليه السلام، فقد بينا في كتابنا الموسوم بـ «الفصيل» يقين فساد نقل التوراة، عندما ذكرنا مافيها من الكذب الظاهر، الذي لا مخرج منه، وانها مصنوعة مولدة، ليست التي أنزل الله تعالى على موسى -عليه السلام- البتة»[٦٨]، وعليه فان الاخذ من التوراة وإن وجب أن يتسم بالحذر وجب أن يرافق ذلك مبدأ المقارنة بين ما ورد في التوراة وغيرها من المصادر لكي يحقق الدارس قدراً من المعقولية، المصداقية لمنقولاته عن التوراة، وقد عانى التاريخ العربي القديم والإسلامي مما أُدخل فيه وعليه من مرويات التوراة دون

تحقيق وتمحيص دقيقين. وهذا ينطبق ايضاً على التلمود بقسميه الفلسطيني والبابلي والذي يعتبر مكملاً لأحكام التوراة وقد دون فيما بين اواسط القرن الثالث الميلادي واواسط القرن السادس الميلادي.

ومن ضمن الكتابات اليهودية التي ترد فيها اشارات عن تاريخ جزيرة العرب ما كتبه المؤرخ اليهودي يوسيفوس فلافيوس (٣٧-١٠٠م) والذي الف في تاريخ حروب اليهود منذ استيلاء انطيو خوس ابيفانوس حاكم سورية (١٧٤-١٦٤ ق.م) على القدس سنة ١٧٠ ق.م الى استيلاء طيطس على القدس عام ٧٠م وتضمن هذا الكتاب أخباراً عن العرب وخاصة عن الأنباط[٦٩]

٩. المصادر الكلاسيكية:

وهي المصادر التي كتبت في الفترة اليونانية والرومانية، ويتحدث العديد منها عن الجزيرة العربية بمناطقها المختلفة ويشيرون الى نواحي اقتصادية وسكانية، والجزء الاكبر من معلوماتهم عن الجزيرة العربية جاءت من خلال روايات التجار أو من خلال مرافقة بعضهم للجيوش، ورغم ان جزءاً هاماً من هذه المعلومات تختلط بها الأسطورة مع الوقائع إلا أنها تبقى مُفيدة في رصد جوانب من تاريخ العرب القديم، ومن هذه المصادر:

اخليس او ايسكيلوس اليوناني (٥٢٥-٤٥٦ ق.م) ويعتبر اقدم من ذكر العرب من المؤرخين اليونانيين، وقد أثرت كتابته فيمن أتى من بعده، ومنهم المؤرخ اليوناني ذائع الصيت هيرودتس Herodotus (حوالي ٤٨٤-٤٢٨ ق.م) ولقب بأبي التاريخ، وهذا المؤرخ الذي كتب في اواسط القرن الخامس ق.م، ولد في احدى المدن اليونانية التي كانت تنتشر على طول الساحل الغربي لآسيا الصغرى، أو في المنطقة التي تقع، من جهة، على نحو الامتداد الغربي للامبراطورية الفارسية التي كانت تمثل الحضارة الشرقية، بينما تطل على الجهة الاخرى على بحر إيجة الذي يمثل بداية العالم

اليوناني نحو الغرب بكل ما لهذا العالم من توجه حضاري مغاير للتوجه الحضاري الشرقي، كما أنه عاش في الفترة التي عاصرت الآثار المباشرة لأول صدام محدد بين الفرس واليونان (٤٩٠ و ٤٨٠ ق.م) وعاش فترة التوجس الذي ساد العلاقات بين هذين العالمين، وقد اثر ذلك في كتاباته حيث توجه فيها للتعرف على شخصية العالمين المتصارعين ليضع يده على أسباب الصراع بينهما، ولذلك نراه يترجم ذلك في كتابه الذي اعطاه عنواناً Historiae (التحقيقات)[٧٠]، وفي كتبه أشار لبلاد العرب وخاصة انه زار مصر، ورسم خريطة لبلاد العرب، وذكر انتاجية مناطق الجزيرة العربية كإنتاج اللبان، المر، القرفة، الدار صيني وغيرها وبين الصعوبات التي تواجه من يريد الحصول على هذه المنتجات رغم ان ذلك لم يخلو من قصص أسطورية في هذا المجال[٧١]، على الرغم من ان كتاباته تختلف عن الآخرين في ان جزءاً منها جاء عن مشاهدة وخبرة مباشرتين من خلال رحلاته.

ومنهم ايضاً ثيوفراستوس ٣٧١-٢٨٧ ق.م ورغم ان كتابه كان عن النبات الى أنه اشار الى بلاد العرب الجنوبية وإنتاجياتها كما أشار لمعلومات جغرافية سياسية بما يتعلق بالإشارة الى سبأ وقتبان وحضرموت[٧٢].

وايراتوستنس ٢٨٦-١٩٤ ق.م وقد قسم بلاد العرب، الى عربية سعيدة (جنوبية) وعربية قفراء (شمالية)، وأشار لطبيعة المنطقتين كما اشار الى سكان القسم الشمالي من العربية السعيدة، حيث أشار إلى شعوب معين وسبأ وقتبان وحضرموت وحدد مواقعها وأشار الى عواصمها[٧٣] ومنهم ايضاً سترابو Strabo (٦٤ ق.م - ١٩م) وله مؤلف هام هو كتاب الجغرافيا والمكون من سبعة عشر جزءاً، أفرد فصلاً من الجزء السادس عشر للحديث عن مناطق العربية الجنوبية، وقدم في كتابه معلومات عن الحملة الرومانية على بلاد اليمن وهي حملة إيليوس جالوس ٢٤ ق.م بحيث اعتبرت معلوماته هي المصدر الوحيد عن هذه الحملة، كما أشار الى ان الذين يسكنون شمال الجزيرة هم الأنباط وأشار الى المعينيين والقتبانيين في جنوب الجزيرة العربية وأشار إلى سيطرة فارسية على قبائل عربية في مناطق الحجاز[٧٤].

ومن المصادر الكلاسيكية الهامة ايضاً كتاب التاريخ الطبيعي لمؤلفه جالوس بلينوس الثاني (ت ٧٩م) وفيه وصف لبلاد العرب وخيراتها، ومما قال فيه عن العرب: «العرب أغنى أمم العالم نظراً لتدفق الثروة - من روما وفارس - عليهم، وتكديسها بين أيديهم». ويقول: «إن المعينيين يملكون أرضاً خصبة يكثر فيها النخيل والأشجار، وأن السبأيين كانوا أعظم القبائل ثروة بما تنتجه غاباتهم الغنية من أشجار البخور... وما ينتجون من العسل وشمع العسل[٧٥].

ومن المصادر الكلاسيكية والهامة ما عرف باسم كتاب الطواف حول البحر الاريتيري من القرن الثالث الميلادي تقريباً وهو لمؤلف مجهول يغلب الظن انه بحار أو رحالة يوناني، وقد اعطى معلومات هامة عن التجارة البحرية وسيطرة سكان اليمن عليها، كما أنه أشار إلى مناطق سكنى الثموديين حيث قال: انهم كانوا يقيمون على ساحل صخري لا يصلح لسير السفن[٧٦].

١٠. المصادر المسيحية:

قدمت هذه المصادر معلومات ذات قيمة عن جزيرة العرب وسكانها، فشملت معلوماتهم عن العلاقات بين القوى الموجودة في جنوب الجزيرة العربية، كما اشارت الى العلاقات بين الغساسنة والمناذرة، وكذلك الى علاقات الاحباش بالجزيرة العربية. ومن هذه المصادر:

١. **المؤرخ الفلسطيني يوسيبيوس** Eusebios (٢٦٠-٣٤٠م) والمعروف باسم اوزيب القيصري -

ومعروف ان هذا المؤرخ عاش في نهاية العصر الروماني وبداية العصر البيزنطي، وقضى أغلب حياته في مدينة قيصرية الفلسطينية، وكانت اتجاهاته دينية منذ البداية، وعاصر فترة الإضطهاد التي تعرض لها المسيحيون في فلسطين ما بين اعوام ٣٠٣م و ٣١٠م، وعين اسقفاً لمدينته سنة ٣١١م، وقد كان لكل لذلك اثر في

كتاباته التاريخية التي شملت على تاريخ العرب وطبغرافية فلسطين، ومن كتبه الهامة كتاب التاريخ الكنسي Ecclesiastica، وكتاب «القواعد الزمنية وخلاصة التاريخ العام للهيلنيين والبربر» الذي بدأ فيه منذ حوالي ٢٠١٦ ق.م حيث طرح فيه معلومات عن تاريخ الاقوام المعروفين لديه من الالف الثاني قبل الميلاد الى أيامه، وترجم هذا الكتاب الى اللاتينية على يد سان جيروم والذي أكمله حتى عام ٣٧٨م[٧٧].

٢. زوسيموس اليوناني (٤٠٠-٤٤٣م)

والذي اشار في كتاباته الى العرب وعلاقاتهم بامبراطورية الروم والبيزنطيين[٧٨]

٣. المؤرخ شمعون الأرشامي،

مؤلف رسائل الشهداء الحميريين وفيه استعرض لما تعرض له نصارى اليمن وخاصة منطقة نجران من إضطهاد على يد الحاكم الحميري ذو نواس[٧٩].

٤. المؤرخ البيزنطي بروكوبيوس (ت ٥٦٥م):

وكان مؤرخاً للقائد البيزنطي بليزاريوس حيث بدأ حياته مرافقاً له حيث كان كاتماً لسره منذ سنة ٥٢٧م ورافق بليزاريوس سنوات عدة في فارس وشمال إفريقية وصقلية ورجع سنة ٥٤٢م الى بيزنطة حيث عمل منذ ذلك التاريخ متفرغاً للكتابه، وانجز عملاً هاماً هو كتاب «تاريخ الحروب، "وله كتاب" الحروب الفارسية والحروب القوطية"، ومن خلال مولفاته أشار إلى العلاقات بين دولتي الغساسنة والمناذرة، كما اشار إلى جنوب الجزيرة العربية حيث تعرض لغزو الاحباش لليمن[٨٠].

٥. كوزماس انديكو بليوستيس:

ألف في الفترة الواقعة ما بين ٥٣٥م و ٥٤٧م كتاب «الطبوغرافية المسيحية لجميع العالم» والمهم في كتابه أنه جاء بناء على معلومات جمعها من معرفته المسيحية ومن رحلاته في البحر المتوسط، البحر الاحمر، والخليج العربي والهند وسيلان، كما أنه كان في أدوليس (زيلع) في الوقت الذي كان فيه الأحباش يعدون العدة لغزو بلاد

اليمن، ووردت في كتابه معلومات غايرت ما ورد عند هيرودتس عن الحيوانات الخرافية التي تحرص اشجار اللبان والمر في اليمن[٨١].

وهناك اعمال كثيرة أخرى نذكر منها كتاب التاريخ الكنسي لمؤلفه إيفا جروس ويغطي الفترة الزمنية ما بين ٤٣١م – ٥٣٦م، وكذلك كتابات اجاثياس ومنها الكتاب الذي عرف باسم "تاريخ بيزنطة" ويغطي الفترة الزمنية ٥٥٣-٥٥٩م والذي يعتبر تكملة لتاريخ بروكوبيوس، وقدمت هذه المؤلفات معلومات فيما يتعلق بالعلاقات الدولية آنذاك وخاصة ما يتعلق بالجزيرة العربية، كما أشارت للاهمية الاقتصادية للجزيرة العربية.

١١. الرحلات الكشفية والتنقيبات الاثرية:

لقد قدمت الرحلات الكشفية معلومات هامة عن جزيرة العرب، ولكن هذه المعلومات لم توثق وتدرس بشكل واضح الا بعد القيام بعمليات تنقيب آثارية في المناطق المختلفة من الجزيرة العربية وربطها بدراسة آثارية مقارنة مع المناطق المجاورة. وايا كان السبب الذي حدى بالاوروبيين للاهتمام بهذه المنطقة وآثارها فهو بلا شك يحقق مجموعة من الأهداف الدينية والاقتصادية والسياسية والعلمية، ومن المعلوم ان الاهتمام بمنطقة الجزيرة العربية وآثارها يعود الى القرن الثامن عشر. وكان الاهتمام بدءاً مركزاً على منطقة اليمن، وبمرور الزمن وتزايد الاكتشافات شمل الاهتمام كافة مناطق الجزيرة العربية. وتوصلت الرحلات الكشفية العلمية والتنقيبات الأثرية وما اجرى عليها من دراسات الى فك رموز المسند والى معرفة الحروف الهجائية للغة الثمودية والصفوية مما اضاف بعداً معرفياً جديداً لتاريخ المنطقة.

ونظراً لتعدد هذه الرحلات واستمرارها ونظراً لاستمرار عمليات التنقيب الاثارية فسنكتفي هنا بالاشارة الى بعض المجهودات الكشفية والآثرية في جنوب الجزيرة العربية وشمالها.

١. في جنوب الجزيرة العربية (اليمن):

حظيت اليمن باهتمام الدارسين في مختلف فروع المعرفة الإنسانية بعد ان لفت الانظار لغنى التاريخ اليمني العالم كارستن نيبور الذي كان ضمن بعثة[٨٢] ارسلها ملك الدنمارك سنة ١٧٦٢م مهمتها القيام بأبحاث جغرافية وأخرى تتعلق بالكتاب المقدس، وقد زارت البعثة العديد من المناطق، وقد صدر كتاب لنيبور بعد عودته الى كوبنهاجن وصدر سنة ١٧٧٢م بعنوان «وصف بلاد العرب» وقسمه الثاني «وصف بلاد العرب والمناطق المجاورة»[٨٣].

وما قدمته هذه البعثة من خلال كتابات نيبور تكمن في أنه نبه العلماء الى إمكانيات واسعة للعمل في نقوش وآثار اليمن من خلال إشارته لوجود نقوش لا يمكن قراءتها، وأهمية أخرى هي الخريطة التفصيلية التي وردت في كتابه وبها تحديد لمواقع كانت غير معروفة، ومنها خريطة هامة لعُمان بقيت مرجعاً حتى عام ١٨٣٥، كما انه اشار الى الشارقة والبحرين (اوال) والقطيف وقطر والكويت (القرين).

ثم هناك رحلة الصيدلاني الفرنسي Thomas Arnoud الذي جاب اليمن سنة ١٨٤٣م. والذي نقل معه من صنعاء ست وخمسون نقشاً، نشرت جميعاً سنة ١٨٤٥م، واهمية رحلته العلمية اضافة الى وصف سد مأرب ومعبد المقة (القمر)، تكمن في ان النقوش التي جمعها كانت المادة التي حظيت بأهتمام العلماء لفك رموز الخط العربي الجنوبي المسند والذي اطلق عليه بدءاً «الكتابة الحميرية» ثم تتالت الجهود حيث تمكن العلماء من تقسيم هذه الحروف الى ثلاث مجموعات هي، الحروف الحميرية والمعينية والسبئية، ثم اتبعت هذه الخطوة بخطوات شملت ترجمة النقوش المكتشفة والتعليق عليها ضمن ما عرف «مدونة النقوش السامية Corpus Inscriptionum Semiticarum » ما بين ١٨٨٩ - ١٩٣٢م[٨٤]، ومما لا شك فيه ان مجهودات توماس ارنو قد سبقت بمجهودات أخرى، من قبل علماء آخرين مثل الالماني سيتزن ١٨١٠م الذي أشار الى خمسة نقوش من منطقة صنعاء أوصلها

لاوروبا، أما هو فقد لقي مصيره المحتوم في اليمن سنة ١٨١١م. وكذلك ما قام به كل من ولستد Wellsted وهينز Haines الانجليزيان في الأعوام ما بين ١٨٣٥-١٨٣٨ من اكتشاف نقوش حصن الغراب التي يرجع تاريخها الى سنة ٥٢٥م اضافة الى اكتشاف مواقع اخرى مثل اطلال مدينة نقب الهجر في وادي ميفعة.

وبعد مجهودات ارنو يمكن الاشارة الى مساهمات كل من الفرنسي توماس هاليفي الذي وصل نجران وصنعاء سنة ١٨٧٠م واكتشف ٦٨٦ نقشاً من ٣٧ موقعاً، والنمساوي ادوارد جلازر الذي قام بأربع رحلات الى اليمن ما بين ١٨٨٢ و ١٨٩٤م كانت حصيلتها الفي نص، وبفضل هذه الحصيلة الوافرة من النصوص تمكن العلماء من التعرف بشكل أكثر على خصائص اللغة العربية الجنوبية القديمة ومقارنتها بغيرها من اللغات السامية، كما أفسح المجال لمزيد من المعرفة عن طبيعة العلاقات الداخلية والخارجية لليمن ساهم بأن صدرت عن الاكاديمية الفرنسية مدونة جديدة للنقوش السامية ما بين ١٩٢٨ - ١٩٥٠م(٨٥).

ومنها كذلك رحلة الالماني هيرمان بورشارت Herman Burchardt المولود في برلين ١٨٥٧م والذي زار الشرق منذ ١٨٩٢م حتى وفاته في اليمن ١٩٠٩م، زار خلال وجوده في الشرق مناطق في سوريا، العراق، إيران وشرق الجزيرة العربية واليمن، وما وصلنا من نتائج رحلاته يتضح من خلال محاضرة ألقاها في الجمعية الجغرافية في برلين ونشرت عام ١٩٠٦م بعنوان: شرق الجزيرة العربية من البصرة الى مسقط اعتماداً على رحلات شخصية»(٨٦).

ثم تتابعت الجهود العلمية للكشف عن المزيد من آثار اليمن ودعم هذا العمل بالبعثات التي قامت باعمال التنقيب الآثاري في اليمن بدءاً من عام ١٩٣١م وكان ذلك على يد العالمين الالمانيين ڤوت فيسمان Von Wissmann وكارل راتجنز Carl Rathjens، ونشرت نتائج حفرياتهما الاثرية في موقع شمال صنعاء سنة ١٩٣٤م حيث كشف عن آثار معبد تعود الى القرن ٣ ق.م(٨٧). ومن البعثات الآثارية الهامة

البعثة الامريكية لدراسة الإنسان، التي ترأسها العالم وندل فيلبس Wendeel Phillips سنة ١٩٥٢م وقد تمكنت البعثة من اكشاف الفناء الأماني لمعبد المقه (الاله القمر)، ثم هناك مجهودات العالمةالفرنسية جاكلين بيرن التي قدمت على رأس بعثة الى اليمن عامي ١٩٧٤-١٩٧٥م[٨٨].

وبعد هذا العرض الموجز لبعض الرحلات والبعثات الاوروبية لدراسة تاريخ الجزء الجنوبي من الجزيرة العربية، لا بد من الإشارة الى المجهودات العربية في هذا المجال والتي شملت تسجيل ملاحظات عن مواقع يمنيه مختلفة من خلال المشاهدة والرحلات كما شملت دراسات متعمقة لنقوش وآثار يمنية.

منها بعثة جامعة القاهرة سنة ١٩٣٦م والتي ترأسها العالم الجغرافي سليمان حزين وكان من اعضائها د. خليل نامي عالم النقوش، وقد كان من نتائج دراسة واعمال التنقيب التي قامت بها البعثة نشر أبحاث تتعلق بالخطوط التجارية في الجزيرة العربية في العصر الروماني، وبحث آخر عن التغيرات المناخية التي ادت الى الهجرات من جنوب الجزيرة الى شمالها في العصور القديمة، ونشر حوالي ٨٩ نقشاً صدرت في كتاب «نقوش سامية قديمة من جنوب بلاد العرب وشرقها»[٨٩]. وفي نفس الوقت كان يزور اليمن صحفي سوري هو نزيه مؤيد العظم الذي زار الحجاز واليمن اولاً برفقة الامريكي شارلز كرين سنة ١٩٢٦/ ١٩٢٧م ثم توالت زيارته على اليمن بعد ذلك واصدر عن حصيلة رحلاته ومشاهداته كتاباً بعنوان «رحلة في بلاد العرب السعيدة من مصر الى صنعاء»[٩٠]، وكذلك ما قام به محمد توفيق الذي أرسل إلى اليمن من القاهرة سنة ١٩٤٥م حيث جمع عدداً من النقوش نشرها في عدد من الأبحاث ما بين سنة ١٩٥١م و ١٩٥٢م[٩١]، وكذلك عالم الآثار المصري احمد فخري الذي زار المنطقة سنة ١٩٤٨م وجمع العديد من النقوش، وسجل زيارته بعدد كبير من الرسوم والصور، وقد صدرت له نتيجة ذلك العديد من الدراسات عن تاريخ اليمن بدءاً من عام ١٩٥٢م[٩٢].

ب. وسط وشمال الجزيرة:

الى جانب الرحلات وعمليات التنقيب في الجزء الجنوبي من الجزيرة العربية قام العديد من العلماء والرحالة بالاهتمام بمناطق شمال ووسط الجزيرة العربية. ومن هذه الرحلات ما قام به الرحالة السويسري يوهان لودفيج بيركهاردت الذي زار البتراء منذ سنة ١٨١٢م وكان قد تسمى (ابراهيم بن عبدالله) واصدر كتابين عن رحلاته في شمال الجزيرة العربية ورحلاته في سورية والأراضي المقدسة[٩٣]، وكذلك جورج والين الفنلندي سنة ١٨٤٥م حيث زار بلاد نجد، وريتشارد بيرثون ١٨٥٣م والذي عرف باسم الحاج عبدالله وزار منطقة الحجاز[٩٤]، والعالم شارلز ديوتي الذي قام برحلات في العربية الشمالية وزار تيماء وجبل حسما وخيبر والجوف وغيرها ونشر نتائج رحلته في كتاب صدر في باريس ١٨٨٥م[٩٥] ومن الرحلات الهامة الاخرى ما قام به كل من جوسان وسافيناك ما بين ١٩٠٩-١٩١٠م لمناطق تبوك والعلا، ثم سافيناك وهرسفيلد برحلاتهما الى جبل رم في الاردن حيث جمعا نقوشاً عديدة، ثم سانت جون فلبي الذي زار مكة وحضرموت ١٩٣٩م كما زار ما بين ١٩٥٠-١٩٥١ مناطق السدير والقصيم والمدينة وخيبر وتيماء وتبوك وجمع ما يزيد عن ١٢٠٠ نقش[٩٦]، ومن المجهودات الهامة في هذا المجال ايضاً ما قام به العالم التشيكوسلوفاكي الويس موسيل Alois Musil في زياراته الى مناطق نجد والحجاز وخاصة المواقع التي كانت تمر بها خطوط القوافل التجارية، واعتمد في دراسته ايضاً على المصادر الاسلامية والتاريخية، وأصدر مجموعة كتب هامة منها «شمال الحجاز، وشمال نجد، والعربية الصخرية[٩٧]، وكذلك العالم الفرنسي رينيه دوسو الذي ظهرت نتائج تحقيقاته في دراسة عن نفاذ الاقوام العربية والنشاط التجاري السياسي والعربي في داخل المنطقة السورية. وكذلك أبحاث العالم ثيودور نولدكه عن امراء الغساسنة[٩٨]. وقد أتبع هذا النشاط بمشاركة العديد من البعثات الأثرية مثل بعثة جامعة تورنتو الكندية وجامعة كنتكي الامريكية برئاسة الفريد وينت ووليم ريد، مابين ١٩٦٢م و ١٩٦٧م وما قامت به من تنقيبات اثارية في شمال غرب المملكة العربية السعودية وفي منطقة

حائل، والبعثة الامريكية من معهد سمشونيان الامريكي منذ ١٩٦٨ وما قامت به من اعمال تنفيب، في مناطق جنوب غرب المملكة العربية السعودية ومنطقة نجران[٩٩]، ولا تزال المنطقة تحظى بمزيد من الاهتمام في مجال التنقيب عن الآثار وخاصة بعد الاهتمام المتزايد من العلماء العرب والجامعات السعودية، وفي هذا المجال يمكن الاشارة لبعض المجهودات من علماء ودارسين عرب ومنهم على سبيل المثال ما قام به الدكتور محمود الغول، ومن اعماله جمع طائفة من الكتابات الثمودية من منطقة عرعر عام ١٩٦٦م والمجهودات التي قام ولا يزال يقوم بها الدكتور عبد الرحمن الطيب الانصاري في جامعة الرياض، والدكتور عبد العزيز الراشد وغيرهم[١٠٠].

وبعد ان أتينا على بعض مصادر دراسة تاريخ العرب قبل الاسلام لا بد من القول بان هناك العديد من المصادر الأخرى التي تخدم جوانب مختلفة من تاريخ هذه المنطقة، فدراسة كتب الانساب مثل جمهرة انساب العرب لابن حزم الاندلسي، ونهاية الأرب في معرفة انساب العرب لشهاب الدين ابي العباس احمد بن عبدالله القلقشندي، وكتاب سبائك الذهب في معرفة انساب العرب للسويدي وغيرها من كتب الأنساب تقدم فائدة لا غنى عنها لمن يتصدى لدراسة تاريخ العرب، وكذلك الحال فيما يتعلق بكتب الأمثال. ويضاف الى اهمية هذه المصادر دراسة الآثار العمرانية بكافة أشكالها ودراسة المسكوكات والمصنوعات الفخارية، كل هذه تقدم فائدة في توضيح جوانب مختلفة من تاريخ هذه المنطقة وعلاقاتها، ويمكننا القول ان ما كشف عنه ومادرس من مصادر تاريخ الجزيرة قد لا يشكل الا جزءاً من اجزاء كثيرة تنتظر الكشف أو الدراسة، وربما قاد ذلك الى تعديل او تغيير في بعض ما نعرفه عن تاريخ هذه المنطقة الى يومنا هذا.

هوامش الفصل الثاني

(١) زيدان: مرجع سابق، ص١٥.

(٢) مصطفى، شاكر: التاريخ العربي والمؤرخون، بيروت ١٩٧٩، حـ١، ص٥٧.

(٣) القرآن الكريم: الفجر (٨٩) آيه ٦، الحا قه (٦٩) آيه ٤-٨.

(٤) القرآن الكريم: الفيل (١٠٥) آيه ٥.

(٥) القرآن الكريم: قريش (١٠٦) آيه ١-٢، النحل (١٦) آيه ١٤، الاسراء (١٧) آيه٦٦.

(٦) القرآن الكريم: البروج (٨٥) آيه ٤-٨.

(٧) القرآن الكريم: سبأ (٣٤) آيه ١٥، البقره (٢) آيه ٦١-٦٢.

(٨) القرآن الكريم: ابراهيم (١٤) آيه ٣٧.

(٩) الشريف: مكه والمدينه، المقدمه ص١.

(١٠) سالم: تاريخ العرب، ص٢١، الجرو: مرجع سابق، ص٤٦.

(١١) الدوري، عبد العزيز: نشأة علم التاريخ عند العرب، بيروت، ١٩٦٠م. ص١٩-٢٠، عاقل: تاريخ العرب، ص٣٢٧-٣٢٩.

(١٢) عاقل: تاريخ العرب، ص٣٢٩.

(١٣) البغدادي، الخطيب: تاريخ بغداد، بغداد ١٩٣١، حـ١، ص٢١٤-٢٣٤.

(١٤) الصباغ، ليلى: دراسة في منهجية البحث التاريخي، منشورات جامعة دمشق، ١٩٩٣، ص٤٤.

(١٥) الكلبي، ابو المنذر هشام بن محمد بن السائب: الاصنام، تحقيق احمد زكي، نسخه مصوره عن طبعة دار الكتب ١٩٢٤، الدار القوميه للطباعة والنشر، القا هره ١٩٦٥، ص١٣.

(١٦) عاقل: تاريخ العرب، ص٣٣٠.

(١٧) الزركلي، خير الدين: الاعلام، ط٣، حـ٤، ص٠٣٤.
سليمان، حسين محمد: المدخل الى دراسة علم التاريخ، دار الاصلاح الدمام، ١٩٨٢، ص١٤٠.
المسعودي، ابو الحسن علي بن الحسين: مروج الذهب ومعادن الجوهر، طبعة محيي الدين عبد الحميد، القاهرة، ١٩٥٨، حـ٢، ص٨٥.

(١٨) زيدان: مرجع سابق، ص١٦.

(١٩) علي: مرجع سابق، حـ٢، ص٥٥٩.

(٢٠) سليمان: مرجع سابق، ص١٤٣-١٤٤.

(٢١) سالم: تاريخ العرب، ص٣٦.

(٢٢) الكلبي: مصدر سابق، ص١٤.

(٢٣) الكلبي: نفسه، ص٢١-٢٣.

(٢٤) سالم: تاريخ العرب، ص٣٨، الجرو: مرجع سابق ص٥٤-٥٥.

(٢٥) الهمذاني، الحسن بن احمد بن يعقوب: الاكليل، الجزء العاشر نشر لوفغرن، أبسالا ١٩٥٤، ص٥، نفسه: نشر محب الدين الخطيب القاهرة ١٣٦٨هـ ص١٢١.

(٢٦) الجرو: مرجع سابق، ص٥٤-٥٥، سالم: تاريخ العرب، ص٣٨-٣٩.

(٢٧) عاقل: تاريخ العرب، ص٣٤٦.

(٢٨) الصباغ: مرجع سابق، ص٥٣.

(٢٩) حمود هادي حسين: منهج المسعودي في بحث العقائد والفرق الدينية مطبعة عصام، بغداد، ١٩٨٤، ص٥١-٥٦.

(٣٠) حمود: نفس المرجع السابق، ص٦٤-٦٥.

(٣١) سليمان: مرجع سابق، ص١٦٩-١٧٠، حمود: مرجع سابق، ص٨٨-٨٩؛

(٣٢) زيادة، نقولا: التاريخ ضروبه وابعاده وفلسفته، منشورات قسم التاريخ، جامعة اليرموك، ١٩٩٣، ص٣٥-٣٦.

(٣٣) الاسد، ناصر الدين: مقدمة لدراسة القبائل العربية في الخليج قبل الاسلام،

مؤتمر دراسات تاريخ شرق الجزيرة العربية، الدوحة ١٩٧٦، حـ١، ص٥٨.

(٣٤) الجمحي، محمد بن سلام: طبقات فحول الشعراء، تحقيق محمود محمد شاكر دار المعارف، مصر، ص٢٢.

(٣٥) ابن رشيق القيرواني: العمده، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ط٢ مطبعة السعادة، مصر ١٩٥٥، حـ١، ص٦٥.

(٣٦) الجاحظ، عمرو بن بحر بن محبوب: الحيوان (الحلبي) ط٢ تحقيق عبد السلام هارون، حـ١، ص٧٤.

(٣٧) العتوم، علي: قضايا الشعر الجاهلي، ط١ مكتبة الرسالة، عمان ١٩٨٤، ص٢٠٥.

(٣٨) الجبوري، يحيى: الزينة في الشعر الجاهلي، حولية كلية الانسانيات، جامعة قطر، عدد ١٩٨٢/٥، ص١٨٩-١٩٣.

(٣٩) جاووك ، مصطفى عبد اللطيف: الحياة والموت في الشعر الجاهلي، بغداد ١٩٧٠، في مواضع مختلفة.

(٤٠) زيتوني، عبد الغني: الله والانسان في الشعر الجاهلي، الداره، عدد ١٤١٠/٣هـ ص٨٢-٩٥.

(٤١) الكلبي: مصدر سابق، ص١٣-١٤، ١٧، ٢٤.

(٤٢) الاعلم الشنتمري، يوسف بن سليمان بن عيسى: اشعار الشعراء الستة الجاهليين، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط١، ١٩٧٩، حـ١، حـ٢ في مواضع مختلفة.

(٤٣) موسل، الويس: شمال الحجاز، ترجمة عبد المحسن الحسيني، الاسكندرية ١٩٥٢، ص٩١.

(٤٤) الانصاري: لمحات عن القبائل البائده، ص٨٨-٨٩.

(٤٥) الجرو: مرجع سابق، ص٤١.

(٤٦) علماء الساميات: هم العلماء المختصون بدراسة اللغات السامية بشكل عام وهي الاكديه، والآموريه، الاشوريه، الكنعانيه، الاراميه، العبرانية، اليمنية القديمة، ا لجعزيه (الحبشيه القديمه) و اللغة العربية.

(٤٧) الجرو: مرجع سابق، ص٣٩.

(٤٨) انظر ما سبق: هامش ٢٥.

(٤٩) نامي، خليل يحيى: نقوش عربية جنوبية، مجلة كلية الاداب، القاهره م١٦، حـ٢، ١٩٥٤، ونقوش خربة براقش، نفس المجلة م١٨، حـ٢، ١٩٥٩.

(٥٠) الجرو: مرجع سابق، ص٦٨-٦٩.

(٥١) الغول، محمود: غزه في نقوش جنوب جزيرة العرب، المؤتمر الدولي لتاريخ بلاد الشام، مطابع الجمعية العلمية الملكية عمان، ١٩٨١م، م٢. ص٣٦٧-٣٧٤.

(٥٢) من دراسات محمد بافقيه،مثلا
آثار ونقوش العقله، القاهره ١٩٦٧
موجز تاريخ اليمن قبل الاسلام في كتاب مختارات من النقوش اليمنية
تاريخ اليمن القديم، بيروت ١٩٧٣
مقالات متعدده في مجلة ريدان اليمنية

(٥٣) عبد الله، يوسف محمد: نقش القصيدة الحميرية او ترنيمة الشمس من الأدب اليمني القديم، مجلة ريدان، عدد ٥ عدن ١٩٨٨.

(٥٤) Winnet, F. V: Astudy of the lihyanic and Thamudic inscription, Toronto, 1937, PP-50-54.

(٥٥) الروسان: مرجع سابق، ص٣٥-٣٦.

(٥٦) الروسان: نفس المرجع السابق، ص١٣٤-١٩٠.

(٥٧) ديسو، رينيه: العرب في سوريا قبل الاسلام، ترجمة عبد الحميد الدواخلي، القاهارة، ١٩٥٩، ص٢٧.

(٥٨) الروسان: مرجع سابقم، ص٢١٠.

(٥٩) نفسه، ص٢١٠

(٦٠) نفسه، ص٢١٠-٣١٢.

(٦١) ديسو: مرجع سابق، ص٣٦، سالم: تاريخ العرب، ص١٥.

(٦٢) حاطوم، نور الدين: قصر جبل أسيس الاموي، مجلة الحوليات الاثرية السورية، ١٣/١٩٦٣، ص٢٤٣-٢٦٢.
نامي، خليل يحيى: اصل الخط العربي وتاريخ تطوره الى ما قبل الاسلام حولية كلية الآداب، الجامعة المصرية، م٣/١٩٣٥، ص١-١٢.

(٦٣) زيادة: مرجع سابق، ص٢٠-٢١، الجرو: مرجع سابق، ص٤٤

(٦٤) الجرو: مرجع سابق؛، ص٢٠.

(٦٥) زيادة: مرجع سابق، ص٢٠.

(٦٦) زيادة: نفسه، ص٢٠.

(٦٧) شتيوي، محمد شلبي: التوراه، دراسة وتحليل، مكتبة الفلاح، الكويت، ١٩٨٦ ص٨٤-١١٤، اوليري: مرجع سابق، ص١٨٥-١٨٦.

(٦٨) شتيوي: مرجع سابق، ص٨٤-١١٤.

(٦٩) علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، بيروت ١٩٧٦، ص٦١-٦٣ ابن حزم، ابو محمد علي بن احمد بن سعيد الاندلسي: جمهرة انساب العرب، دار الكتب العلميه، بيروت، ط١ ١٩٨٣، ص٨.

(٧٠) يحيى، لطفي عبد الوهاب: الحقيقة التاريخية، مجلة عالم الفكر، م١٧، عدد ٤، ص١٠٧٣.

(٧١) الجرو: مرجع سابق، ص٤٧، الصباغ: مرجع سابق، ص٢٠-٢١.

(٧٢) سالم: تاريخ العرب، ص٤٣، الجرو: مرجع سابق، ص٤٨.

(٧٣) الجرو: ممرجع سابق، ص٢٨.

(٧٤) الروسان: مرجع سابق، ص٥-٦، سالم: تاريخ العرب، ص٤٢.

(٧٥) الجرو: مرجع سابق، ص٤٨-٤٩.

(٧٦) الروسان: مرجع سابق، ص٥، علي: المفصل (بيروت ١٩٧٠) حـ١، ص٣٢٥.

(٧٧) يحيى: الحقيقة التاريخية، ص١٠٧٤، الصباغ: مرجع سابق، ص٢٩.

(٧٨) الجرو: مرجع سابق، ص٤٥.

(٧٩) سالم: تاريخ العرب، ص٤٤.

(٨٠) اوليري: مرجع سابق ص١٣٠-١٣١، الجرو: مرجع سابق، ص٤٥.

(٨١) اوليري: مرجع سابق، هـ١، ص١٤٠.

(٨٢) تشكلت البعثة من خمسة علماء من الدنمرك، السويد، المانيا، وتوزعت اختصاصاتهم بين علوم مختلفة (النبات، الحيوان، الفيزياء، الطب، الهندسة واللغات الشرقية)، اهم اعضاء البعثه هو كارستن نيبور لانه الوحيد الذي بقي على قيد الحياة من اعضاء البعثة وزود العالم بما توصلت اليه البعثة من نتائج، ونيبور الماني الاصل ولد قرب مدينة ها نوفر سنة ١٧٣٣ درس المساحة والرياضيات في جوتنجن.

(٨٣) الجرو: مرجع سابق، ص٦٠.

(٨٤) يحيى: العرب في العصور القديمة، ص١٢٦.

(٨٥) يحيى: العرب في العصور القديمة، ص١٢٦، الجرو: مرجع سابق، ص٦٤.

(٨٦) Burchardt, H: Ost Arabien Von Basra bis Maskat auf Grund eigener Reisen, im Zeitschrift der Gesellschaft fur Erdkunde Zu Berlin, 1906, PP. 305-322.

(٨٧) الجرو: مرجع سابق، ص٦٦.

(٨٨) يحيى: العرب في العصور القديمة، ص١٢٧.

(٨٩) الجرو: مرجع سابق ص٦٨، يحيى: المرجع السابق، ص١٢٧.

(٩٠) العظم، نزيه مؤيد: رحلة في بلاد العرب السعيده، مؤسسه فادي برس، لندن، ط٢ ١٩٨٥، ودار قتيبه -بيروت، ص١٣-١٤.
سالم: تاريخ العرب، ص٥٣.
عصفور، محمد ابو المحاسن: معالم تاريخ الشرق الادنى القديم من اقدم العصور الى مجيء الاسكندر، دار النهضة العربية، بيروت (د. ت) ص٢٤٧.
سالم: تاريخ العرب، ص٥٣.

(٩١) عصفور: مرجع سابق، ص٢٤٨، سالم: تاريخ العرب، ص٥٤.

(٩٢) يحيى: العرب في العصور القديمة، ص١٢٧.
وعن دراساته انظر: سالم: تاريخ العرب، ص٥٥.

(٩٣) حتي: مرجع سابق، ص٣٣.

(٩٤) سالم: تاريخ العرب، ص٥٦، حتي: مرجع سابق، ص٣٣.

(٩٥) عصفور: مرجع سابق، ص٢٤٨-٢٤٩.

(٩٦) الروسان: مرجع سابق، ص٣٤-٣٥.

(٩٧) يحيى: العرب في العصور القديمه، ص١٢٧.
العبادي، مصطفى عبد الحميد: موقع نصتان في ضوء الوثائق البردية قبيل الاسلام وخلال نصف القرن الاول من الحكم العربي، دراسات تاريخ الجزيرة العربية، الكتاب الثالث، حـ٢، مطابع جامعة الملك سعود ١٩٨٩، ص٢٢٩.

(٩٨) يحيى: العرب في العصور القديمة، ص١٢٧، سالم: تاريخ العرب، ص٥٨.

(٩٩) يحيى: العرب في العصور القديمة، ص١٢٧.

(١٠٠) الروسان: مرجع سابق، ص٣٦-٣٧.

الفصل الثالث

الساميون والعرب:

الفصل الثالث

السـاميون والـعـرب:

١. اصل الساميين

من الموضوعات التي لا زالت موضع كثير من الإجتهادات والآراء هو الحديث عن أصل الساميين وموطنهم، وكذلك الحال حول العرب ومعنى كلمة عرب وطبقاتهم، وحول ذلك ظهرت العديد من النظريات التي لاقت قبولاً عند البعض واعتراضاً لدى البعض الآخر، وفي هذا المجال لن نستعرض جميع هذه النظريات والردود حولها لسببين: أولهما ان هذا الموضوع يخرج عن نطاق البحث بشكل من الأشكال، وثانيهما أننا لا نستطيع أن ندلي برأي جديد حول الموضوع. وانطلاقاً من ذلك سنكتفي بإيراد موجز سريع لذلك يضع القارئ في صورة ما تم التوصل اليه.

في البداية نقول إن العلماء يتفقون على مصادر ثلاثة للجنس البشري من منطلقات مختلفة، فهناك من يعتمد الأسس الانثروبولوجية لتقسيم الاجناس البشرية ويجعلها:

١- الجنس الآري: فرس. جرمان، انجليز، فرنسيون.

٢- الجنس الطوراني، من الصينين واليابانيين والمغول.

٣- الجنس السامي من العرب: آراميين وعبرانيين وكلدانين واشوريين وفنيقيين.

وفريق اعتمد قسم الأجناس البشرية اعتماداً على لون البشرة لهذه الاجناس، وجعل هذا الفريق الأجناس كما يلي:

١- الجنس الأبيض: ويشمل الساميين والاوروبيين.

٢- الجنس الأسود والأحمر: ويشمل سكان افريقية الاصليين.

٣- الجنس الأصفر: ويشمل الصين واليابانيين والطورانيين.

وفريق ثالث قسم الاجناس البشرية تقسيماً دينياً حسبما اوردته التوراة في سفر التكوين إرجاعاً إلى سلالة نوح كما يلي:

١- اولاديافث: ومنهم جومر، ماجوج، ميداي، ماشك.

٢- أولاد حام: كوش، مصرائيم، كنعان، فوط.

٣- أولاد سام: عيلوم، أشور، ارفخشد، لود، أرم[١].

ومن هذه التقسيمات كان الحديث واسعاً عن الشعوب التي اطلق عليها هؤلاء الباحثون اسم «الساميين»، وكان محور الحديث عن الساميين يتمحور حول نقطتين اساسيتين.

اولهما: هل الساميون جنس أو عنصر بمعنى هل ينحدورن من أصل واحد له مقومات جسمانية عند علماء الاجناس تميزه عن غيره من الاجناس. أم أنهم مجموعة من الشعوب جمع بينها لغات متشابهة من حيث أصولها وإشتقاقاتها دون أن يكون هذا التشابه أو التقارب اللغوي دالاً بالضرورة على اصل عنصري واحد لهذه الشعوب.

وثانيهما: الآراء التي تشعبت حول معرفة وتحديد الموطن الأول للساميين، سواء قصد بالساميين عنصر بشري من أصل واحد أو قصد به تشابه وتقارب لغوي بين أقوام مختلفة.

ومجمل ذلك جاء بدءاً من خلال اهتمام الباحثين في مجال لغات الشرق الأدنى والذين لاحظوا تقارباً بين لغات مثل الأكدية، الكنعانية، العبرية، الفنيقية، الآرامية والحبشية، والعربية، وهذا التقارب جعل على سبيل المثال العالم النمساوي اوجست لودفيج شلويسز August Ludwing Schloester يقول في عام ١٨٧١م «ان الشعوب التي تتحدث بهذه اللغات انما تنحدر من اصل واحد»، واعتمد على ما ورد في التوراة في سفر التكوين باعتبار ان سام بن نوح هو الجد الأول لهذه الشعوب[٢]، وعلى ذلك يمكن ايضاً التزيد والقول بان بنو سام هم الذين ينتسبون الى سام كجد أول لهم، في حين أن الساميين قد تعني جميع الأقوام والشعوب التي تتكلم اللغات السامية. وذلك بحسب قول علماء الاجناس وعلماء اللغة.

٢. الموطن الاول للساميين

وعودة إلى المحور الثاني الذي سبق أن أشرنا اليه حول معرفة الموطن الاول للساميين، ففي هذا المجال هناك عدد من النظريات افترضت مواطن مختلفة وجد فيها الساميون ومنها انطلقوا في اتجاهات مختلفه لأسباب مختلفه أيضاً وفي فترات زمينة مختلفة، وقد تمحورت هذه النظريات على الإفتراضات التالية:

١- فرضية أصل آسيوي للساميين: وهنا نجد إختلافاً بين العلماء حول تحديد أجزاء معينة من آسيا كانت الموطن الاول للساميين، وفي هذا المجال ذكرت المناطق التالية:

أ- أرمينية وكردستان: إعتماداً على اساس توراتي من سفر التكوين يشير إلى قصة الطوفان ونزول أبناء نوح في هذه المنطقة التي بقي فيها سام إلى جانب والده نوح، ومن هذه المنطقة التي عاش فيها سام انطلقت الشعوب السامية، وقد فند الدكتور لطفي عبد الوهاب هذه الفرضية ورد عليها مما يجعلها -أرمينية- كوطن للساميين ليست اكثر من وجهة نظر[٣].

ب- بلاد الرافدين: وقد تبنى ذلك العالم الإيطالي اجناتسيو جويدي Ignazio Guidi من خلال دراسته اللغوية، واستنتج من خلالها أن بابل هي الموطن الأول للساميين، وقد لاقت هذه الفرضية رداً من العديد من الدارسين منهم حسن ظاظا ولطفي عبد الوهاب(٤).

جـ- سورية: وهذا ما أشار اليه الباحث الامريكي "كلاي" حيث افترض أن الأسرة البابلية التي سيطرت على بابل منذ الألف الثانية قبل الميلاد قد هاجرت إلى بلاد الرافدين من الغرب (من اقليم امورو)، ودعم نظريته بالتشابه في بعض المظاهر الحضارية بين الحضارات التي قامت في كل من سورية وبلاد الرافدين(٥).

د- الجزيرة العربية: وقد لاقت فرضية ان الجزيرة العربية هي الموطن الأول للساميين قبولاً واسعاً بين العلماء أمثال وليام رايت ساسي W. Wright Sayce، وشبرنجر Sprenger في كتابه جغرافية بلاد العرب القديمة، وفلبي Philpy وموسكاتي Moscati وغيرهم(٦)، ويتمحور رأي معظم هؤلاء على أن الجزيرة العربية كانت منطقة خصبة ثم جرى عليها جفاف تدريجي أدى عبر فترات زمنية مختلفة إلى تغيير في أنماط الحياة فيها كما ادى الى هجرة العديد منها في موجات إلى المناطق الأكثر خصباً، وقد أشاروا تدعيماً لوجهة نظرهم بالعديد من الهجرات بدءاً من الاكديين في الألف الرابع قبل الميلاد وانتهاء بخروج العرب المسلمين من الجزيرة في القرن السابع للميلاد واستقرارهم في مناطق الشام والعراق ومصر وشمال إفريقيا.

وعلى إعتبار أن الجزيرة هي الموطن الأول للساميين فقد اختلفت الآراء حتى في هذا النطاق الجغرافي حول تحديد رقعة جغرافية معينة في الجزيرة لتكون هي الوطن الأول، وتشعبت الآراء حول ذلك، فمنهم من اعتبر وسط الجزيرة وخاصة نجد

هي الموطن الأول، وقسم اعتبر اليمن وقسم ثالث اعتبر البحرين وشرقي الجزيرة هي الموطن الأول للساميين ومنها خرجت الموجات السامية، وفريق رأى ان الحافة الشمالية للجزيرة العربية كانت هي الموطن ونقطة الانطلاق للهجرات(٧).

٢- فرضية أصل إفريقي للساميين: وقد كان الإفتراض حول كون افريقيا الموطن الاول للساميين مبنياً على وجود تشابه في بعض الخصائص الجسدية واللغوية بين الأحباش والبربر والعرب، وكذلك لوجود تشابه في بعض مناطق شرق إفريقيا بما يتعلق بالالهة التي وجدت في جنوب الجزيرة العربية، وبالإجمال فان اصحاب هذه الفرضية يجعلون الموطن الاول في إفريقيا محصوراً بين منطقتين هما شمال غرب افريقيا، ومنطقة شرق افريقيا (الحبشة)، وقد فند الدكتور لطفي عبد الوهاب هذين الاحتمالين(٨).

وبعد هذا الاستعراض يبقى اعتبار آسيا موطناً للساميين هو الأرجح، ومن مناطق اسيا الأكثر احتمالاً لان تكون موطناً للساميين هي جزيرة العرب، على ان ذلك جميعه لا يصح اعتباره رأياً قاطعاً لأن الموضوع برمته لا يمثل أكثر من وجهات نظر إنطلاقاً من اصل الساميين الى موطنهم وهجراتهم.

٣. العرب وطبقاتهم:

يرى النسابون العرب أن العرب عرق لا جماعه من الناس فقط يتكلمون لغة واحدة، وبذا جاءت الكتابات العربية في محاولة تهدف الى تنسيب العرب إلى أصل معين، وقد غالوا في ذلك ووقعوا في الكثير من الخلط، وعدم الدقة، ويقول الدكتور لطفي عبد الوهاب: قد يكون من المعقول والمنطقي ان يعرف ابناء اسرة او عشيرة نسبهم بشيء من الدقة النسبية الى حدود معينة، اما ان يدفع هذا النسب تأصيلاً الى عهد سام بن نوح وفي بعض الاحيان الى عهد آدم، فالامر لا بد ان يدخل فيه كثير من النحت والخيال(٩)، ويقول الدكتور نبيه عاقل: إن أصل العرب لا يمكن أن

يجاب عليه بصورة صحيحة قبل ان تحل مشكلة أصل الساميين[١٠].

وإذا أردنا تتبع الأمر نقول أولاً أنه لا يوجد دلائل تركها سكان الجزيرة قبل الإسلام تشير إلى إعتقادهم أن نسبهم يعود إلى سام بن نوح، والقضية وليدة ما ورد عند الاخباريين وكتاب التاريخ في صدر الاسلام، ونجدها بشكل بارز عند عبيد بن شريه الجرهمي (ت ٧٠هـ) و وهب بن منبه (ت ١١٠هـ)، وقد سبق ان اشرنا لهما عند الحديث عن مصادر دراسة تاريخ العرب، وقد أخذ الكتاب بعد ذلك عنهما، حتى وصل الأمر إلى القرن الثامن الهجري (الرابع عشر للميلاد) عند ابن خلدون في كتابه العبر، وهذه المصادر التي تحدثت عن تأصيل العرب وإرجاعهم نسباً إلى سام بن نوح، قسمت العرب الى عدد من الطبقات بناء على قربها او بعدها من هذا التأصيل، ولذلك وجدت طبقات وتقسيمات مختلفة[١١]. وتكاد هذه المصادر رغم إختلافاتها أن تقسم العرب إلى طبقتين رئيسيتين يتبع كل منها طبقات فرعية وهاتين الطبقتين الرئيسيتين للعرب هما:

أ. **العرب البائدة:** ونسبت إليها العديد من الأقوام مثل عاد وثمود، إرم، جرهم، طسم، وجديس وهي جماعات بادت وانتهت قبل الإسلام، ولا يوجد أحد يمكنه أن يثبت أنه من نسل هذه القبائل البائدة، وقد اشار لذلك ابن حزم (ت ٤٥٦هـ/ ١٠٦٤م) حيث قال: لا يوجد على وجه الارض شخص يمكنه ان يثبت انه من نسل هذه القبائل[١٢].

ومن هذه القبائل ما لدينا عنها معلومات مؤكدة ومنها قبائل عاد حيث ورد ذكرها في القرآن الكريم مرات عديدة[١٣] كما ذكرت عند الكتاب الكلاسيكيين وخاصة عند بطليموس كلاوديوس (كتب بين ١٢١و ١٥١م) حيث يذكرهم على خارطته إذ تظهر عاد تحت اسم Oaditae في شمال الجزيرة العربية في المنطقة الواقعة إلى شرقي خليج العقبة[١٤] كما ورد ذكر لعاد أيضاً في الشعر الجاهلي. وقد فرق الدارسون من متابعة ذكر عاد في القرآن الكريم وبين ما ورد عنها في المصادر الكلاسيكية، بين

طبقتين من عاد، في منطقتين مختلفتين من الجزيرة، فعاد الأولى وهي التي أرسل الله تعالى إليها هود عليه السلام كانت موجودة في جنوبي الجزيرة العربية حيث ارتبط إسمها بالأحقاف «واذكر اخا عاد إذ أنذر قومه بالاحقاف»، ويعتقد البعض ان عاد الاولى قد انتهت واختفت من جنوب الجزيرة العربية ابتداءً من النصف الاول من القرن الثاني قبل الميلاد على أقل تقدير[١٥]، وعاد الثانية وهي الاقرب زماناً الى العصر الاسلامي وكانت مواطنها في الشمال الغربي من الجزيرة العربية وهي عاد التي اشارت اليها خارطة بطليموس، وهم من سكان المناطق القريبة من موطن الثموديين[١٦].

ومن القبائل التي تنسب الى العرب البائدة والتي وردتنا معلومات عنها القبائل الثمودية حيث ورد ذكر لها في نقش الملك الأشوري سرجون الثاني (٧٢١-٧٠٥ق.م)، وفي نقش لأسرحدون (٦٨٠-٦٦٩ق.م) وكلا النقشين يشيران إلى صدامات عسكرية بين الاشوريين والثموديين، وهذه النقوش تجعل موطن الثموديين في منطقة شمال الجزيرة العربية، وكذلك ذكرت المصادر الكلاسيكية قبائل ثمود وجعلت مساكنها قريبة من مساكن عاد[١٧]، كما ذكرت في القرآن الكريم في مواضع مختلفة[١٨] وأشار إلى غناهم ونشاطهم المعماري الذي جعلهم ينحتون بيوتاً في الجبال. وإشارات الى تكذيب ثمود للنبي صالح -عليه السلام- والمصير الذي آلوا اليه نتيجة تكذيبهم واستكبارهم، وقد استمرت الإشارات للقبائل الثمودية حيث ذكرت في الشعر الجاهلي والكتابات الإسلامية، وامكن العلماء مؤخراً من اكتشاف العديد من النقوش الثمودية واكتشاف آثارهم مما زاد المعلومات عنهم، وفي هذا المجال يمكن ذكر دراسة هامة عن الثموديين والصفويين بعنوان: «القبائل الثمودية والصفوية، دراسة مقارنة» لمحمود محمد الروسان وصدرت عن جامعة الملك سعود.

أما بقية القبائل البائدة فلم تؤكد أخبارهم لا بذكر لهم في القرآن الكريم أو النقوش وكل ما لدينا عنها اشارات في المصادر الإسلامية حيث تشير مثلاً الى سكنى طسم وجديس في مناطق اليمامة والبحرين[١٩].

٢. **العرب الباقية:** ويقسمهم النسابون العرب الى فرعين:

أ. **العرب العاربة:** أو العرب القحطانية الذين ينتسبون إلى قحطان بن عامر بن ارفخشد بن سام بن نوح، وهم أصحاب اللسان العربي الأصيل، بل يراهم البعض أنهم العرب الاصليون[٢٠] وقد نشأوا في الزاوية الجنوبية الغربية من الجزيرة أي في بلاد اليمن.

ب. **العرب المستعربة (المتعربة)** وهم ينسبون نسباً الى عدنان بن أُدد ولذلك يسمون بالعدنانية وكذلك بعرب الشمال تمييزاً لهم عن العرب العارية (القحطانية) أو عرب الجنوب. وسمي هؤلاء المتعربة على أساس ان جدهم لم يكن يتكلم العربية حيث نزل مكة وتعلمها من خلال مصاهرته للقبائل اليمانية (القحطانية)[٢١].

ويعد فان ما ذكرناه هنا لا يعدو كونه ملخصاً لهذه القضية الشائكة والتي سبق أن أشرنا أنه يعتريها (قضية النسب) الكثير من الخلط وعدم الدقة، وكمثال على ذلك فان ما اشير اليه يرتكز على ان العرب ينحدرون من جدين هما قحطان وعدنان، ولكن هناك من يعتبر مثلاً قضاعه تنتسب الى عدنان في حين يجعلها آخرون تنتسب الى القائل الجنوبية (قحطانية)، ونظراً لهذا فنجد مثلاً البعض يجد مخرجاً لذلك ليقول بأن العرب لا ينتسبون الى جدين (قحطان وعدنان) بل الى ثلاثة قحطان، عدنان، قضاعة، وحتى هذا الحل لم يحسم الأمر حيث لم يتفق على جعل قضاعة من قبائل الشمال او الجنوب.

هوامش الفصل الثالث

(١) عبد القادر، عبد الشافي غنيم: شرق الجزيرة العربية كواحد من المنابت الاصلية للشعوب السامية، مؤتمر دراسات تاريخ شرق الجزيرة العربية، الدوحة ١٩٧٦، حـ ١، ص١٨٩.

(٢) يحيى: العرب في العصور القديمة، ص٤٤، عاقل: تاريخ العرب، ص٩-١٠.

(٣) يحيى: العرب في العصور القديمة، ص٥٤-٥٥.

(٤) ظاظا، حسن: الساميون ولغاتهم، القاهرة، ١٩٧١، ص٨.

(5) Clay, A. T: The Empire of the Amorites, New Haven, 1949, chap, I, P. VIII.

(٦) عبد القادر: مرجع سابق، ص١٩٤-١٩٥.
احمد، محمود عبد الحميد: الهجرات العربية القديمة، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، ط ١ ١٩٨٨، ص٥١.

(٧) يحيى: العرب في العصور القديمة، ص٦٠-٦٥.
احمد: مرجع سابق، ص٥٢-٥٥، عبد القادر: مرجع سابق، ص١٩٤-١٩٨.

(٨) يحيى: العرب في العصور القديمة، ص٥٠-٥٤.

(٩) يحيى: العرب في العصور القديمة، ص٨٤.

(١٠) عاقل: تاريخ العرب، ص٣٤.

(١١) زيدان: مرجع سابق، ص٤٧-٤٩.
سالم، السيد عبد العزيز: تاريخ العرب في عصر الجاهلية، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، (د.ت)، ص٥٩-٦٧.

(١٢) عاقل: تاريخ العرب، ص٣٧.

(١٣) القرآن الكريم: فصلت (٤١) آية ١٥، الاحقاف (٤٦) آية ٢١، الحاقة (٦٩) آية ٣-٥.

(١٤) يحيى: العرب في العصور القديمة، ص١٦٣.

(١٥) يحيى: العرب في العصور القديمة، ص١٦٤.

(١٦) سالم: تاريخ العرب، ص٧٥.

(١٧) الانصاري، عبد الرحمن الطيب: لمحات عن القبائل البائده، جمعية التاريخ والآثار، جامعة الرياض، مجلة كلية الآداب، عدد ١/ ١٩٧٠، ص٨٨-٨٩.
الروسان، محمود محمد: القبائل الثموديه والصفوية، مطابع جامعة الملك سعود الرياض، ١٤١٢هـ ص٥.

(١٨) القرآن الكريم: الشعراء (٢٦) أيه ١٤٧-١٤٨، الاعراف (٧) آية ٧٤ الحجر (١٥) آية ٨٠-٨٢، التوبه (٩) آيه ٧٠، الفرقان (٢٥) أيه ٣٨، الذاريات (٥١) آيه ٤٣-٤٤، النجم (٥٣) آيه ٥١ الفجر (٨٩) آيه ٩-١٣.

(١٩) سالم: تاريخ العرب، ص٧٧-٧٩.

(٢٠) عاقل: تاريخ العرب، ص٣٧.

(٢١) سالم: تاريخ العرب، ص٦٢، عاقل: تاريخ العرب، ص٣٧.

الفصل الرابع

اليمن

الفصل الرابع

اليمن:

الموقع وتاثيراته

تقع بلاد اليمن في الطرف الجنوبي الغربي من الجزيرة العربية، وقد هيأ هذا الموقع الهام لسكان اليمن بأن يكونوا من أوائل الذين ساهموا وأنشأوا حضارة في هذه المنطقة أصبح مؤكداً انها تعود الى القرن ٨ قبل الميلاد. حيث يظهر هذا المستوى الحضاري في فن عمارة متقدم ومعرفة بالكتابة وتنظيم وإدارة. كما ان موقع اليمن الهام بالنسبة لطرق التجارة العالمية سواء أكانت البرية منها أو البحرية سمح للدول والقوى في اليمن بان تكون لها علاقاتها الخارجية التي أثرت في غيرها من الشعوب وتأثرت بها. ولم تكن اليمن مجرد نقطة هامة على طريق التجارة بل كانت بلداً ينتج الكثير من السلع التي كانت تعتبر عصب التجارة في العصور القديمة وخاصة تلك السلع التي كان لها استخداماتها الدينية والطبية، والمصادر النقشية، والمصادر الكلاسيكية تشير الى غنى وتنوع في انتاجية بلاد اليمن لمثل هذه السلع، فها هو المؤرخ بلينوس يقول: ان السبئيين أغنى الاقوام العربية بسبب خصوبة غاباتهم في إنتاج الطيوب وبسبب مناجم الذهب وأراضيهم الزراعية وإنتاجهم للعسل والشمع»(١).

ونتيجة لتوافر هذه الظروف مجتمعة شهدت أرض اليمن قيام ونشوء العديد من الدول التي عرفت تواريخها في أسماء بعض حكامها منذ القرن الثامن قبل الميلاد، على أن النشوء الحضاري وقيام الدول في اليمن يعود الى فترة أسبق ولكنها دول لم يصلنا منها إلا معلومات قليلة لا تقوى على تحديد الفترات الزمنية لها أو اسماء حكامها أو الرقعة الجغرافية التي كانت تسيطر عليها هذه الدول، هذا الأمر

دفع بعض الدارسين الى تسمية عصر قيام هذه الدول في تاريخ اليمن باسم الدور الخرافي الذي يبدأ بظهور الملك قحطان بن عابر[٢] ويتلو هذا العصر عصر آخر اطلق عليه العصر البنطي المنسوب الى دولة بنط (الأراضي الواقعة على الطرف الجنوبي للبحر الأحمر) وفي هذا العصر هناك اشارات لعلاقات مع مصر في عهد الأسرة الخامسة المصرية وخاصة في عهد الملك ساحورع، حيث يشار إلى أن هذا الملك قد أرسل حملات إلى الجنوب براً وبحراً للحصول على سلع ذات قيمة عالية ومهمة للأغراض الدينية مثل البخور والصموغ والأخشاب العطرية[٣].

واذا تركنا هذا التاريخ الموغل في القدم والذي لا نملك عنه معطيات تسمح بالتوسع بالحديث عنه، وانتقلنا إلى أدوار التاريخ اليمني المعروف بعد هذين العصرين، فإن المشكلة تبقى قائمة حول الترتيب الزمني لقيام هذه الدول، وصعوبة تحديد ذلك بشكل منفصل عن الدول الأخرى لان معظم الدول التي نشأت في اليمن تداخلت تواريخها وتعاصرت، والصعوبة الاخرى تكمن في معرفة تسلسل الحكام في هذه الدول فلا يمكننا الاعتماد على الكتابات العربية للمبالغات والخلط الوارد فيها، وكذلك الحال بالنسبة للنقوش فهي وان قدمت الكثير والمهم في هذا المجال إلا أن هناك حلقات مفقودة ربما اكتملت مع تزايد النشاط في البحث عن المخلفات الاثارية والتقدم في دراسة النقوش وتحليلها.

دول اليمن القديم:

١. دولة سبا: ٨٠٠-١١٥ ق.م

ا. مقدمه

القضية الاولى التي تثار حول دولة سبأ، هو تحديد المقصود بالسبئيين وتحديد أصولهم وموطنهم الأصلي.

فأوليري يرى من دراسة الإشارات الواردة للكلمة "سبأ" في التوراة، أن هذه الكلمة كانت تطلق على كل التجار العرب، ويرى في موضع آخر أن كلمة سبأ إسم جمع للمسافرين، والتي قد تعني متفرقين(٤)، ولكن في التوراة يرد أيضاً ان سبأ باعتباره من كوش بن حام وفي موضع اخر من ولد يقطان(٥). والرأي الأول الذي ذكره أوليري يمكن أخذه بعين الاعتبار كدليل على شهرة السبئيين التجارية مما جعل إسمهم يرتبط بذلك وأصبح وكأن التجارة إختصاص لهم أو أن كل تاجر يجب أن يكون سبئياً.

وينسب السبئيون الى قحطان وبذلك فهم من العرب المتعربة وأنهم جاءوا لليمن وبها عرب عاربة ومنهم تعلموا العربية(٦) ويتابع مثل هذا الرأي بجعلهم (السبئيين) ينتسبون الى سبأ من ولد يشجب بن يعرب بن قحطان، وان سبأ سمي بذلك لكثرة حروبه وكثرة ما يحصل فيها من سبي(٧).

وحول الموطن الاول للسبئيين على افتراض أنهم طارئون على اليمن، نجد أن بعض العلماء يشيرون على أن الفترة السابقة لتشكيلهم دولة في اليمن كانت في شمال الجزيرة العربية وأن هجرتهم لليمن كانت في حدود ١٢٠٠ ق.م، على ان هذه الآراء لا تشكل امراً قطعياً فهو أمر بحاجة إلى تروي وفي هذا المجال يقول محمد بافقيه: لا نستطيع ان نقطع برأي في هذه القضية الشائكة التي يكتنفها الغموض من كل جانب»(٨).

وان كنا لا نرى ما يحول دون ان يكون السبئيين من اليمن ولكنهم وقبل ان يصبحوا أهل استقرار كانوا ينتقلون بين جنوب الجزيرة (اليمن) وبين شمالها. يجوز ان تكون هجرتهم الأخيرة الى اليمن قد جاءت نتيجة لعوامل مختلفة خاصة بهم وخاصة باليمن ذاتها، ويشير البعض الى ان هجرتهم من الشمال قد جاءت نتيجة ضغوط تعرضوا لها من قبل الاشوريين[٩].

والقضية الثانية التي تثار حول دولة سبأ هو ترتيبها بين دول اليمن، فدراسات عديدة تجعلها تابعة في الترتيب الزمني لدولة اودول اقدم منها وبالذات دولة معين[١٠]. ولكن ونتيجة لمعطيات جديدة في مجال معرفة النقوش واكتشاف المزيد من الآثار أصبح الأمر مغايراً للترتيب الذي ذكرته الدراسات السابقة وأصبحت دولة سبأ هي أقدم الدول التي ظهرت في تاريخ اليمن القديم المعروف. وهذا يستدعي أن نشير إلى أقدم ذكر لسبأ في المصادر المختلفة.

ب. مبدا دولة سبا:

أثبتت الدراسات الحديثة المتعلقة بتاريخ اليمن القديم على أن دولة سبأ هي الأقدم، وأرجع تاريخ بداية هذه الدولة إلى القرن الثامن قبل الميلاد[١١]، وقد اعتمدت هذه الدراسات على اساس اقدمية ذكر سبأ في العديد من المصادر، ومنها ما ورد في التوراة عن علاقات سبأ مع العبرانيين حيث ترد الإشارة الى زيارة ملكة سبأ للملك سليمان وحملت اليه هدايا مما تنتجه أرض اليمن من طيوب وذهب وأحجار كريمة[١٢]، وهذه الزيارة وردت اشارات عنها في القرآن الكريم[١٣]، ولكن التوراة والقرآن الكريم لم يحددا لا زمن الزيارة ولا اسم الملكة –رغم ان المفسرين يذكرون اسم بلقيس– واذا اخذنا بعين الاعتبار ان الملك سليمان كان في القرن العاشر قبل الميلاد، فمعنى ذلك أن دولة سبأ يرجع تاريخ قيامها ووجود ملكة حاكمة لها قبل ما اتفق عليه الدارسون من اعتبار القرن الثامن قبل الميلاد هو بداية تأسيس الدولة، وهذه القضية لا زالت بدون تفسير مقنع، والأمر هنا متروك لما قد تسفر عنه نقوش وحفريات جديدة، او ان الامر يتعلق بحاكمة حكمت قبائل سبأ قبل ان تتشكل لهم

دولة بالمعنى الذي اصبح متعارفاً عليه منذ القرن الثامن قبل الميلاد ويدعم مثل هذا الرأي وجود السبئيين كقوة في اليمن منذ ١٢٠٠ قبل الميلاد اذا اخذنا بمبدأ هجرتهم من موطن لهم في الشمال كما سبق ان اشرنا.

ولكن الإشارات المثبتة من خلال النقوش تؤكد معاصرة دولة سبأ وعلاقاتها مع الدولة الاشورية، فأقدم اشارة في النقوش الأشورية لسبأ يعود إلى حوليات تغلات بلاسر الثالث ٧٤٥-٧٢٧ ق.م[١٤] ثم اشارة نقشية أخرى تعود الى عهد الملك الأشوري سرجون الثاني حوالي سنة ٧١٥ ق.م. ونقش ثالث يعود لعهد الملك الاشوري سنحاريب حوالي سنة ٦٨٥ ق.م[١٥]. اما المصادر الكلاسيكية فقد اشارت الى سبأ وغناها وتجارتها كما سبق ان اشرنا عن بلينوس وذكره لغنى السبئيين.

جـ. حكام سبأ:

قدمت مادة النقوش السبئية معلومات عن تطور دولة سبأ بمراحلها المختلفة، وعلى الرغم من بعض النقص في فهم التطور او التسلسل التاريخي لحكام دولة سبأ، على الرغم من ذلك أمكن تقسيم تاريخ سبأ السياسي إلى مرحلتين رئيسيتين اتخذ الحكام السبئيون فيها لقبي مكرب، وملك على التتابع، وهاتين المرحلتين هما:

١. مرحلة مكارب سبأ: ٨٠٠ ق.م - حوالي ٦٥٠ ق.م او ٤١٠ ق.م؟

إن الفترة الزمنية المحددة لهذه المرحلة هي فترة تقديرية، ذلك ان الدارسين ومن خلال المادة المتوافرة بين ايديهم توافقوا على أن أقدم ذكر لمكارب سبأ يعود إلى سنة ٨٠٠ ق.م، وهذا ما ذهب اليه البرايت Albright وفلبي Philby، ويذهب الاخير الى اعتبار ان اسم هذا المكرب الذي يعتبر المؤسس لمرحلة المكارب هو «سمه علي»، وجعل فون فيسمن حكم آخر المكارب حوالي سنة ٤١٠ ق.م[١٦].

ويلاحظ هنا أن الحكام قد إتخذوا لقب مكرب هذا اللقب الذي اختلف في تفسيره، على أن أكثر التفسيرات قبولاً إلى الآن هي اعتبار ان كلمة مكرب تعني الحاكم المقدس أو الحاكم الذي يجمع في يديه السلطتين السياسية والدينية، أو أنها للحاكم الذي يجمع تحت سلطته أكبر عدد من القبائل، حيث أن كلمة مكرب في المعجم السبئي تعني رئيس مجموعة قبائل متحدة[١٧].

ومن اشـهـر المكارب بعـد المؤسس «سـمـه علي» هو إبنه «يدع ايل ذريح» (حـوالي ٧٨٠ ق.م) والذي ينسب اليه بناء العـديد من المعابد مـثل مـعبـد للاله المقـه (القمر) جنوب شرق مأرب ورمم معبد المقه في صرواح[١٨]، والمكرب (سمه علي ينف بن ذمر علي) من المكارية المشهورين في التاريخ السبئي ويرجع البرايت عهد هذا المكرب الى القرن الخامس قبل الميلاد، في حين يرجعه فلبي الى منتصف القرن السابع قبل الميلاد، وما ذكره البرايت هو الأقرب للصواب ذلك ان اسم هذا المكرب ورد في نقش يشير الى تعمير هذا المكرب لسد مأرب في حوالي ٥١٠ ق.م[١٩].

وهناك عدد آخر من المكارب، والذي يشار الى علاقاتهم الخارجية ويخاصة مع الدولة الأشورية مثل (اتي امرا) والذي يعتقد ان المقصود هو المكرب (يثع امر) الذي قدم أتاوة من الذهب والحجارة الكريمة لسرجون الثاني.

وآخر المكارب هو المكرب «كرب ايل وتر» والذي تلقب في آخر عهده بلقب ملك سبأ[٢٠]، وقد وردت اهم اعمال هذا المكرب في نقش سبئي طويل واعتبره محمد بافقيه أطول نص سبئي عرف الى الآن ويتضمن إشارات لحروب وضم مناطق لحكم الدولة السبئية، وقد حظي هذا النقش باهتمام الدارسين، فقد نشر بدءاً من ١٩٢٧م في النمسا، ونشر ضمن نقوش المدونة الفرنسية للنقوش اليمنية، ثم ترجمه والترمولر الى الألمانية عام ١٩٥٨م، واشار إليه ونسخه الدكتور احمد فخري سنة ١٩٤٧م ثم أشار اليه محمد بافقية سنة ١٩٧٣م في كتابه تاريخ اليمن القديم.

ثم ورد في كتاب صفة بلاد اليمن عبر العصور سنة ١٩٩٠م[٢١]، ويعرف هذا النقش باسم نقش النصر ووجد في موقع معبد المقه الكبير في صرواح، وفي النقش إشارات ذات دلالات هامة بما يتعلق بالإصلاح الزراعي وبناء السدود حيث يرد «... وكذلك يوم صدق عثتر والمقة وعدهما، وجادا بالغيث على واديه ريمان حتى امتلأت السواقي الواحدة تلو الاخرى والحقول حقلاً بعد الآخر، واحاط حرّته عهال بجدار حاجز على امتداد الحرة حتى يسيل الماء دون اندفاع الى الجنتين والى ارعن وحتى تمتلئ مرة اخرى بالمياه من سد موتر والتي تأتيه المياه من هودي، وضم من وادي مبدع كلا من حصص وثعره بحيث يسيل الماء ويندفع بامر كرب ايل من خلال ما

يأتي من وتر ووقه»[٢٢].

ثم يتحدث النقش عن حروب خاضها كرب ايل وأشهرها ضد أوسان: «وبوم قهر اوسان وقتل فيها ١٦٠٠٠ واسر ٤٠٠٠٠» ويلحظ من خلال النقش الاعداد المبالغ فيها بالنسبة للقتلى والاسرى وتتكرر في اكثر من سوضع، ومن اهمية النقش ايضاً انه يوضح المناطق الجغرافية التي خضعت لدولة سبأ أو تلك التي كانت تحت حكم قوى أخرى حاربها أو تحالف معها كرب ال وتر. وفي النقش إشارات لجوانب دينية حيث ترد إشارات للآلهة المقة، عثتر، هوبس.

ومن إنجازات عصر المكارب بل واهمها هو سد مأرب والذي يعود تاريخ إنشائه الى مطلع الألف الأول قبل الميلاد[٢٣]. كما ساهم عبر الفترات الزمنية المختلفة العديد من الحكام في انشاء وترميم هذا السد، ومن الأسماء التي وردت في النقوش على السد اسم المكرب علي ينف الذي سبق أن أشرنا إليه. ومما لا شك فيه ان هذا السد قد تعرض لعوامل طبيعية وأخرى من إهمال الدول مما جعله بحاجة الى عمليات ترميم مستمرة، وأول إشارة لعمليات ترميم السد تعود إلى القرن الرابع ميلادي، وكان آخر ترميم له في عهد أبرهة اثناء حكمه لليمن وكان ذلك الترميم سنة ٥٤٢م، وحصل انهيار السد بشكل نهائي سنة ٥٧٥م[٢٤]

٢. مرحلة ملوك سبأ: وتنتهي هذه المرحلة سنة ١١٥ ق.م

وشكلت هذه المرحلة ازدهاراً في جوانب مختلفة من الحياة اليمنية سواء كان ذلك على الصعيد الاقتصادي أو السياسي، ولكنها عانت من مشكلات في آخر عهدها مما أدى إلى سيطرة قوى اخرى عليها.

ومن خلال النقوش وخاصة النقش الذي يعود الى عهد الملك ذمركرب بن ايكربً (اواخر القرن الرابع ومطلع القرن الثالث ق.م) إشارات لإزدهار اقتصادي، كما فيه إشاره إلى حروب مع قتبان ريماكان الهدف منها استعادة بعض الاراضي السبئية، وهناك إشار إلى عمليات بناء كما هو الحال في معبد اوام للاله المقه[٢٥].

واشارات الكتاب الكلاسيكيين تشير الى غنى سبأ وازدهار تجارتها خلال هذا العصر وحتى نهاية القرن الثاني قبل الميلاد، وقد تم العثور على قطع نقدية

سبئية من هذا العصر يلاحظ فيها محاكاة للعملة اللاتينية، احدى هذه القطع النقدية عليها نقش باسم (كرب الي وتر) والذي يعني انها تعود اما لفترة كرب ال وتر (بن ذمر علي بين) الذي حكم اوائل القرن الرابع ق.م (حوالي ٣٩٠ ق.م) او كرب ال وتر (يهنعم بن وهب آل يخر) الذي حكم اواسط القرن الثاني ق.م (حوالي ١٦٠ ق.م) والقطعة الثانية من النقد السبئي عليها نقش حرف «ن» بالخط السبئي والذي يرى الدكتور لطفي عبد الوهاب انه يمثل الإسم الاول لأحد ملوك سبأ وجعله ما بين اسمين يبدأ كل منها بحرف النون وهما نشاكرب (يهنعم بن ذمر علي ذرح) حكم حوالي ٢٥٠ ق.م والثاني نصرم (يهنعم) حكم بحدود ٢٠٠ ق.م[٢٦]. ويتستنتج من ذلك علاوة على معرفة أسماء ملوك من سبأ على الإزدهار التجاري وتطور العلاقات بين سبأ واللاتينين وبخاصة التجارة إما بوصول التجار السبئيين براً إلى سوريا أو وصول التجار اللاتينيين بحراً الى اليمن.

وشهدت المرحلة الاخيرة من ملوك سبأ تدهوراً في الداخل والخارج مما أدى داخلياً الى استمرار الصراع مع القتبانيين وهو ما اضعف الدولة وأغرى ذلك الحميريين علي متابعة ضغوطهم على سبأ واستطاعوا السيطرة عليها وإقامة دولة حكمت وعرف حكامها بـ «ملوك سبأ وذي ريدان»، ولكن هذا الضعف الداخلي لدولة سبأ كان مرتبطاً الى حد ما بسيطرة واحتكار البطالمة في مصر للتجارة الشرقية ويبدو أن أثر ذلك كان تدريجياً قاد إلى ضعف إقتصاد سبأ وشجع الثورات من القبائل المختلفة، كما شجع القوى السياسية الأخرى في اليمن لإقتطاع اجزاء من أراضي الدولة السبئية كما حصل مع دولة قتبان في عهد حاكمها يدع أب ذيبان الذي سيطر على أراضي كانت قد آلت الى سبأ سابقاً.

د. عواصم سبئية:

١. مارب: هي عاصمة الدولة السبئية الأكثر شهرة، وان كان البعض يرى ان صرواح كانت هي العاصمة الاولى.

تقع هذه المدينة في موقع جغرافي متميز على مشارف الصحراء، وهذا ما جعلها تتحكم بالطرق الرئيسية للتجارة وخاصة ما عرف بطريق اللبان.

وحول اسم مأرب توجد العديد من التفسيرات منها أنها مكونة من كلمتين (ماء ورب) ومعناها الماء الكثير وقد رجح نزيه العظم[٢٧] هذا التفسير وخاصة اذا عرفنا ان مدينة مأرب اقيمت على وادي اذنه المشهور بكثر مياهه. ومدينة مأرب واقعة على مسافة ١٦٥ كيلوا متراً الى الشرق الشمالي من مدينة صنعاء.

وارتبطت شهرة مارب بأثرين هامين أحدهما إقتصادي سبق أن أشرنا إليه وهو سد مأرب، والثاني ديني وهو معبد الإله المقة الواقع إلى الجنوب منها وهو ما اشتهر باسم (محرم بلقيس)، ومعبد أوام، ويقع هذا المعبد الى الجنوب من مأرب بحوالي اربعة كيلوا مترات، وهو بناء بيضاوي في قسمه الأساسي، ويعود تاريخ بنائه على مراحل مختلفة من القرن الثامن - القرن الخامس ق.م، عثر فيه على تمثال على شكل رأس ثور من المرمر، ومعروف أن الثور كان أحد الرموز التي عرف بها الإله القمر (المقة)، ومن مساحة البناء وشكله واستخدامات الأعمدة والنقوش المختلفة يستنتج المرء مدى التطور في مجال فن العمارة الذي عرف عند السبئيين[٢٨]. كما ان هناك العديد من الآثار في مأرب والدالة على ازدهارها وعظمتها خلال فترة حكم السبئيين مثل قصر سلحين الملكي، كما ان المدينة كانت مسورة.

٢. **صرواح:** اعتبرت المدينة الثانية من حيث الأهمية في دولة سبأ وهي من عواصم الدولة في فترة من فترات التاريخ السبئي شأنها شأن مأرب. وتقع ما بين صنعاء ومأرب جنوب غرب مأرب. واعتبرت اقدم المدن السبئية في الهضبة او النجد بعكس مأرب التي كانت في المنخفضات[٢٩]. وقد أرجع ياقوت زمن بنائها الى سليمان بن داود. واشتهرت المدينة بمعابدها ومنها المعبد الكبير للاله المقة[٣٠]، وقد وصف آثار مدينة صرواح كل من احمد فخري ونزيه العظم وأشارا الى آثار هذه المدينة سواء اكان ألامر متعلقاً بمعبدها أو قصورها[٣١]. ولكن هذه المدينة فقدت اهميتها مع مطلع العصور الميلادية بعد أن أصبحت صنعاء هي العاصمة لدولة سبأ وذي ريدان وذلك في منتصف القرن الأول حيث اختطها الملك "ملك امر بن كرب ال وتر يهنعم" ملك سبأ وذي ريدان[٣٢]

٢. دولة حضرموت:

١. الموقع والبدايات

تقع حضرموت إلى الشرق من اليمن على ساحل بحر العرب، وقد ذكرها ياقوت على أنها ناحية واسعة في شرق عدن قرب البحر وحولها رمال كثيرة تعرف بالأحقاف[٣٣]، وقد ذكرها الكتاب الكلاسيكيون باسم Chatramotitae، وقد عدت من العرب العارية لقرب أزمانهم، ويفسر البعض اسم حضرموت بناء على رواية التوراة على انه صفه لعامر بن قحطان الذي اشتهر بكثرة القتل في حروبه عند نزوله منطقة الأحقاف ولذلك ارتبط إسمه بالموت فيقال اذا حضر «حضرموت» ثم أطلق الاسم على قبيلته ثم أطلق على الارض التي تسكنها القبيلة[٣٤]، ويرى أوليري أن الاسم الحقيقي لهذه المنطقة هو حضرمات، حضر ميتا، ولكن الألف تقلب الى واو عند بعض عرب الجنوب فاصحبت تلفظ حضرموت[٣٥].

أما عن قيام دولة في حضرموت واتساع حدودها الجغرافية، فما هو متوافر من معلومات حول تاريخ هذه الدولة متضارب إلى حد كبير، فبناء على معلومات مستقاة من مصادر نقشية حضرمية وسبئية ومعينية قدر البعض وجود الكيان السياسي لحضرموت ما بين ١٠٢٠ ق.م – ١٢٥م حسب تقديرات فلبي Philpy، في حين يجعل البرايت بداية الدولة في حدود سنة ٤٥٠ ق.م[٣٦]، واذا كان امر تحديد بداية الدولة يبدو صعباً لغاية الآن لكن مما لا شك فيه ان هذه الدولة قد عاصرت دولة سبأ وأوسان وقتبان وحمير، ولدينا من الشواهد النقشية ما يؤكد على استمرارها الى مطلع القرن الرابع الميلادي، وذلك بعد ان تم ضمها إلى دولة حمير في عهد الحاكم الحميري شمر يهرعش وأصبح اسم حضرموت يدخل ضمن ألقاب الحكام الحميريين. ونظراً لتعقد وتذبذب علاقة حضرموت مع القوى المجاورة والمعاصرة لها

وخاصة مع حمير إعتقد البعض أن الدولة قامت أواسط القرن الخامس قبل الميلاد (حسب راي البرايت) وانتهت اواخر القرن الأول للميلاد، وسنشير لاحقاً الى ما توافر من معلومات تجعل نهاية الدولة أبعد من هذا التاريخ.

ب. نظام الحكم في حضرموت:

يبدو أن حضرموت قد عرفت في تاريخها السياسي شأنها شأن الممالك اليمنية القديمة نظام المكارب، وهو نظام سبق تحولها إلى النظام الملكي، كما عرفت في تاريخها نظام الأقيال ونظام الأذواء[٣٧]. وقد حاول الدارسون المهمتون بتاريخ اليمن وضع تسلسل لحكام حضرموت وتحديد الفترات الزمنية لكل حاكم ولكن هذه المجهودات إصطدمت بالعديد من المعوقات، وجل ما توصلت اليه هو محاولة لترتيب قائمة ببعض الحكام الذين وردت إشارات نقشية لهم وربط هذه الإشارات مقارنة بالحكام المعاصرين لدولة سبأ في مراحلها المختلفة، ومن خلال ذلك أمكن التعرف على جزء من التاريخ السياسي لهذه الدولة وطبيعة علاقاتها السياسية والعسكرية مع الدول التي عاصرتها.

ويشار في هذا المجال إلى أن أول حكام حضرموت هو «صدقي ال» فيما يقرب من سنة ١٠٢٠ ق.م في حين يرى أخرون ان اول الحكام هو شهرم علان بن صدقي ايل[٣٨] وقد قام الدكتور محمد بافقية ومن دراسة نقوش خاصة بحكام حضرموت وخاصة نقوش العقلة[٣٩] بترتيب اسماء لملوك حضرموت ومن اشهرهم:

يدع ال بيِّن رأب إل، الذي عاصر ملك سبأ ثم ملك سبأ وذي ريدان (شعر اوتر)، ويشار على أن الحاكم الحضرمي عقد تحالفاً مع الحاكم السبئي، وهذا ما نجده أيضاً في عهد الحاكم الحضرمي يدع اب غيلان الأسبق من يدع آل مع كرب ال يهنعم حاكم سبأ، وكان من نتيجة هذا التحالف أن أعاد الحاكم السبئي أراضي حضرمية بعد ان كانت تحت حكم أوسان، ويرد في نقش كرب ال وتر ما يشير الى ذلك: / واعاد "كرب ال" لسيان وحول ويدع ال وحضرموت مناطقها التي كانت تحت

سيطرة ذي اوسان»[٤٠]. ثم يشار الى حاكم آخر هو (العاذيلط – الثاني) والذي كان معاصراً للملك السبئي (شعراوتر) وفي عهد هذا الحاكم الحضرمي يشار الى توسع دولة حضرموت الى مناطق ردمان على حدود سبأ وحمير وربما كان ذلك آخر توسع حضرمي باتجاه الغرب. كما شهد عهده تذبذب في العلاقات مع كل من سبأ وحمير فتارة نجده حليفاً لسبأ ومرة اخرى نجده على علاقة خاصة وتبادل زيارات مع حمير، وشهد عصر العاذيلط ازدهاراً اقتصادياً وانتعاشاً في علاقات حضرموت مع القوى الخارجية بدليل ان وفوداً من التدمريين والكلدانيين والهنود كانوا ممن أتوا الى حضرموت في هذه الفترة[٤١]. ويفهم ان حكمه استمر الى ما بعد سنة ٢٢٠م بدليل حصول ثورة داخلية ضده قادها احد احرار يهبئر واستطاع الحاكم الحضرمي الانتصار على هذه الثورة بعد أن حصل على مساعدات من حاكم سبأ وذي ريدان – شعر اوتر، ولكن علاقته مع الحاكم السبئي ساءت بعد ذلك بدليل شن الأخير حرباً على حضرموت كان من نتائجها تدمير شبوه العاصمة الحضرمية ومهاجمة قنا[٤٢].

وبعد فترة حكم العاذيط يتولى الحكم في حضرموت «يدع ال بيٍّن بن ريشمس» والذي ينسب إليه إعادة تعمير شبوه التي تعرضت للتدمير على يد السبئيين سابقاً، ثم توالى الحكم في أسرته، حيث حكم على التوالي ثلاثة من ابنائه هم:

«الريام يدم» والذي حاول استرجاع ما فقدته الدولة في عهد والده ولم ينجح في ذلك، ثم «يدع اب غيلان» والذي اعتبر آخر ملوك حضرموت في شبوه، ويستدل على ان شبوه قد سقطت في عهده واصبحت تابعة لحكم شمر يهرعش[٤٣] الذي لقب نفسه «ملك سبأ وذوريدان وحضرموت ويمنات»، على أن المقاومة الحضرمية استمرت بعد هذا الحاكم ولكنها لم تؤد الى نتيجة وبذلك تكون دولة حضرموت قد زالت ككيان سياسي مستقل منذ اوائل القرن الرابع للميلاد وأصحبت من توابع الدولة الحميرية.

جـ. أهم المدن الحضرمية:

١. **شبوه:** تقع في منطقة صحراوية في الطرف الشمالي من حوض السبعتين على وادي المعشار، وهذا الموقع أتاح لها الإستفادة من الطرق التجارية الواصلة اليها من ميناء قنا، كما أنها كانت على اتصال بالمواقع الإقتصادية الهامة في كل من تمنع ومأرب ونجران، وقد كانت العاصمة الرئيسية لدولة حضرموت، وقد سبق ان اشرنا الى تعرضها للتدمير على يد السبئيين واعادة اعمارها لاحقاً، وتحوي المدينة العديد من الآثار التي كشفت عنها البعثات الأثرية على يد فلبي ١٩٣٦م وهاملتون ١٩٣٨م والبعثة الفرنسية ١٩٧٥م، منها آثار أسوار للمدينة وقصر شقر[٤٤]. ومما لا شك فيه ان هناك العديد من الآثار التي لم تكتشف وخاصة اننا عرفنا من أوصاف الكتاب الكلاسيكيين عن غناها وتعدد معابدها، حيث يصفها بلينوس بانها كانت تحتوي على ٦٠ معبداً[٤٥] ومن هذه المعابد معبد الاله (سين ذي اليم) وهو معبد للاله القمر عند الحضارمة وكان يرمز له بالنسر، وأذا عرف أن الحضارمة عبدوا مجموعة من الالهة الأخرى فالامل معقود على اكتشاف بعض هذه المعابد سواء في شبوه أو غيرها.

٢. **قنا:** وهي الميناء الرئيسي لدولة حضرموت، وكان ملتقى سلع تجارية متعددة، كما أنه تمتع بموقع استراتيجي علاوة على القرب من مناطق زراعية، وقد اشار لغناها صاحب كتاب الطواف حول البحر الاريتيري، حيث يقول بانها مدينة تجارية على الساحل تابعة لاليازوس ملك بلاد اللبان[٤٦]

٣. دولة قتبان: ١٠ ق.م - القرن ٢م:

١. مقدمة:

ثارت تساؤلات عديدة حول هذه الدولة، وكان أولها حول نسب القتبانيين، فهم تارة ينسبون إلى حمير، ونسبهم فريق آخر الى سبأ واعتبروهم طائفة من الطوائف السبئية. وفريق ثالث ظن انهم من بني قضاعة[٤٧]، واذا كان بالامكان تفسير ارجاع نسبهم الى حمير او سبأ على اعتبار أن هاتين القوتين كانتا الأكثر نفوذاً أو قوة سياسياً واقتصادياً مما جعل العديد من القبائل ينتسبون اليهم، او لان هاتين القوتين اثرتا على تاريخ قتبان من حيث التبعية والسيادة وبالتالي ظن البعض انهم ينتسبون اليهم، ولا زال مثل هذا الامر وكذلك الحال بالنسبة لنسبها الى قضاعة من الامور التي لم تحسم بعد.

قامت دولة قتبان في أقصى الزاوية الجنوبية الغربية من بلاد العرب في المنطقة المجاورة لمضيق باب المندب، بحيث تكون عدن على ساحلها الجنوبي، وهي بهذا التحديد الجغرافي تكون واقعة جنوب شرق منطقة النفوذ السبئي وعلى تخوم اراضي دولة حضرموت، وكانت عاصمة القتبانيين هي مدينة تمنع (هجر كحلان) التي تقع على وادي بيحان[٤٨].

٢. تاريخ قتبان:

اختلفت آراء الدارسين حول بداية تشكل كيان قتباني وحول نهاية هذا الكيان، ففريق من الدارسين يجعل بدايات قتبان تعود الى الألف الثاني ق.م، او انها تعود الى بدايات القرن الحادي عشر والعاشر قبل الميلاد[٤٩] لكن ما يلاحظ هنا ان الحديث يشير الى بدايات استيطان للقتبانيين في المناطق التي سبق أن ذكرناها، وجاءت هذه الآراء مبنية على دراسة الطمي ووسائل الري او من خلال مخربشات عثر عليها في تمنع، ويمكن الاخذ بهذه الآراء والاستنتاجات كدلائل على وجود شعب

قتباني موغل في القدم الى هذا التاريخ، ولكن ذلك لا يعني -مالم يدعم بأدلة- ان هؤلاء القوم قد شكلوا نظاماً سياسياً يمكن اعتباره دولة، ونرى ان ذلك لا يختلف عن الحديث عن سبأ والتي تشير دلائل الى وجودهم منذ القرن الثاني عشر ق.م ولكنهم لم يشكلوا دولة ذات نظم حكم وادارة وغير ذلك إلا بعد ذلك بقرون.

لكن التاريخ القتباني ككيان سياسي يمكن إرجاعه إلى فترة القرن السابع او السادس قبل الميلاد، ومن هذه الفترة يظهر لنا اسم أقدم مكرب وهو «سمه علي وتر» في القرن السادس ق.م[٥٠].

اما نهاية دولة قتبان فهي كذلك موضع اجتهادات وآراء، فالدكتور لطفي عبد الوهاب يجعل تاريخ هذه الدولة بداية من ٤٠٠ ق.م ويجعل النهاية سنة ٥٠ ق.م[٥١] وربما أراد بتحديد سنة ٥٠ ق.م كنهاية للدولة هو ما تعرضت له من عدوان مدمر وإحراق للعاصمة في سنة ٥٠ ق.م على ان ذلك لم يكن ليعني نهاية الوجود القتباني كقوة سياسية وان كانت قد وصلت الى مرحلة من الضعف اغرت القوى المحيطة بها لاقتطاع اجزاء كثيرة من ممتلكاتها. ويرى الدكتور محمد باقيه والدكتورة أسمهان الجرو ان النهاية الحقيقية لدولة قتبان كانت مع نهاية القرن الثاني للميلاد حيث خضعت نهائياً لملوك سبأ وذي ريدان[٥٢].

٣. مراحل الحكم في قتبان:

يمكن ان نقسم مراحل الحكم الأكثر وضوحاً في تاريخ قتبان الى:

١. **المرحلة الاولى:** والتي تشغل الفترة الزمنية ما بين القرن السابع القرن الخامس ق.م، وفي هذه المرحلة كانت تحكم قتبان من حكام يلقبون «مكرب»، وأول المكارب المعروفين هو سمة علي (القرن السادس ق.م)، ومن المكارب الآخرين يدع أب ذيبان (اواخر القرن الخامس ق.م) وقد عثر على نقش باسم هذا المكرب عند الباب الجنوبي لمدينة تمنع، وكذلك المكرب "ورو إل" الذي يعتقد انه كان خاضعاً لملك سبأ كرب ال وتر (حوالي ٤١٠ ق.م)[٥٣] وفي هذه المرحلة يلاحظ توسع قتباني باستيلائهم على اراضي كانت تتبع لأوسان وغيرها.

٢. **المرحلة الثانية:** وهي التي بدأ فيها حكام قتبان يأخذون لقب ملك وان لم يتخلى بعضهم عن لقب مكرب، وهذه المرحلة تبدأ من القرن الخامس او القرن الرابع ق.م، وخلال هذه المرحلة حكمت ثلاث أسر ملكية تناويت الحكم حتى سنة ٢٥. ق.م، وخلال هذه المرحلة شهدت قتبان تطورات هامة، ومن حكام هذه الفترة الملك "شهر هلال بوهنعم"، وفي هذا العصر كانت قتبان تسيطر على الشريط الساحلي الممتد من باب المندب حتى ما وراء عدن شرقاً مما يؤكد على ازدهار قتبان من حيث القوة الاقتصادية التي ترجمت الى قوة سياسية في القرن الثاني ق.م، حيث يرد ذكر الحاكم "يدع أب ذيبان بن شهر" والذي اخذ لقب مكرب في أحد النقوش ولقب ملك في نقش آخر(٥٤) وقد قام هذا الحاكم بالعديد من الانجازات منها ما قام به من شق للطرق التي تخدم القوافل التجارية وعمل على بناء أحواض للماء على طول الطرق تسهيلاً لحركة القوافل التجارية، كما قام بتجديد بناء بيت الاله (ودم) (ود) وهو اله القمر، كما ان هناك اشارات هامة وردت في نقشه الذي اكتشف في البوابة الجنوبية لتمنع منها تنظيم القوانين الجزائية ضد مرتكبي جرائم القتل حيث يحرمون من الحقوق المدنية والدينية كما تهدر دماؤهم إذا أصروا على البقاء في قتبان(٥٥).

ويلاحظ أن التدابير الخاصة بتنظيم الاقتصاد وتشجيع التجارة قد استمرت في عهد خلفه الحاكم "شهر هلال بن يدع اب". وفترة الازدهار والقوة هذه نجدها تبدأ بالتراجع مع نهاية القرن الثاني ق.م حيث تعرضت ممتلكاتهم لإقتطاعات من قبل الدولة الحميرية، أدت بنهاية القرن الأول ق.م إلى سيطرة حمير على السواحل التي كانت تتبع دولة قتبان مما افقدها سيطرتها التجارية(٥٦).

٣. **المرحلة الثالثة:** وتمتد من ٢٥ ق.م – القرن الثاني ميلادي: ومن الأحداث الهامة في هذه الفترة هو ازدياد ضعف قتبان بعد فقدانها للعديد من المواقع لحساب الدولة الحميرية، كما شهدت هذه الفترة تعرض العاصمة تمنع لعمليات تدمير وحرق في عهد الحاكم شهر هلال يهقبض (٩٠–١٠٠م)، كما

تعرضت الأراضي القتبانيه لعدوان من قبل دولة حضرموت وسيطرت على أجزاء من اراضيها.

ونتيجة لهذه الأحداث نجد أن القتبانيين يتركون تمنع ويقيمون بعد ذلك في موضع يسمى هجر بن حميد وفي قصر ملكي يسمى «قصر حريب»[٥٧]، وهكذا تعرضت قتبان لاعتداءات من حضرموت ومن حمير، ولكن الغلبة في النهاية كانت لحمير على القوتين معاً واصبحت دولة قتبان مع نهاية القرن الثاني ميلادي تتبع لدولة سبأ وذي ريدان. وكان آخر الحكام القتبانيين الملك "نبط عم بن شهر هلال" وابنه مرثد.

٤. مدن قتبانية:

- **تمنع (هجر كحلان):** وتقع هذه المدينة على وادي بيحان، وقد وصفت هذه المدينة بالغنى ويكثرة عدد معابدها ويذكر بلينوس في أواسط القرن الأول ميلادي ان من مدن القتبانيين ثمنة (تمنع) وتحوي ٦٥ معبداً[٥٨].

ومدينة تمنع كانت مدينة مسورة ولها في سورها بوابتين إحداهما محاطة بالأبراج ووجد على جدران البوابة نقوش تشير إلى تشريعات الدولة، منها نقش للملك يدع اب ذيبان الذي سبقت الاشارة إليه.

كما وجد في المدينة من المعابد الهامة معبد للاله عثتر (نجمة الصباح)، ويعود بناء هذا المعبد الى عهد المكارية من حكام قتبان وجرت عليه تجديدات في القرون اللاحقة في القرن الرابع ق.م والقرن الاول ق.م، ومن آثار تمنع القصر الملكي وهو الذي تسميه النقوش «حرب» ويعود بناء هذا القصر الى القرن ٦ ق.م –هو غير قصر حريب الذي وجد في موضع هجر بن حميد– وأدخلت اليه بنايات وتجديدات في القرن ٣ ق.م والقرن الأول ق.م، ويبدو أن هذا القصر قد بقي قائماً حتى تهدم بعد الحملة السبئية على قتبان حوالي ١٦٠م. أو ٢٠٠م[٥٩]. وقد عثر في تمنع على تماثيل متعددة منها تمثال من البرونز لطفل يمتطي اسداً ويمسك بيده اليمنى لجام وفي اليسري شيء يشبه القفل، والأسد يرفع رجله كانه يهم بالحركة[٦٠]، وما يهمنا من امر هذا التمثال هو معرفة ان القتبانيين كانوا متأثرين بالفن اليوناني والذي جاء بلا شك نتيجة علاقات متبادلة وهي ما يتعلق بالتجارة.

٤. دولة اوسان:

يرد اول ذكر لدولة اوسان من خلال نقش الملك السبئي كرب ال وتر (٦٨٥ ق.م)، حيث يشير النقش الى اسم الملك الأوساني مرتع - مرتوم[٦١]، ومن خلال المعلومات الواردة في النقش أمكن معرفة المناطق الجغرافية التي كانت تتبع هذه الدولة، حيث أكدت الدراسات الاخرى أن موقعها جنوب قتبان في وادي مرخه جنوب شرق وادي بيحان[٦٢]. ويضيف الدكتور محمد بافقيه انها كانت تبسط سلطانها على الأجزاء الساحلية التي تتاجر مع السواحل الافريقية وربما تبع لها ميناء عدن وقنا، حتى ان الكتاب الكلاسيكيون وصفوا الساحل الافريقي بالساحل الاوساني[٦٣].

وتصف مصادر اخرى حكام اوسان بالأذواء[٦٤]، حيث نجد ان القصيدة الحميرية لنشوان بن سعيد الحميري (ت ٥٧٣هـ) يذكر الاذواء في اليمن ويجعل منهم أذواء ثمانية كبار (المثامنة) ولم يكن الاوسانيين من بينهم ثم يذكر بصفة الاذواء ويشير الى اوسان، فيقول:

أم أين ذو أوســـان أو ذو مـــاذن　　　أم أين ذو التـــيـــجـــان والأبراج

وهذا البيت من الشعر جعل جورجي زيدان لا يصنف او سان ضمن الدول الكبرى في اليمن وانما وضعها تحت عنوان الأقيال والأذواء[٦٥]، ورغم ان هذا الشعر متأخر عن الفترة موضوع البحث لكن يمكن الاستفادة منه أن ذكر اوسان بقي مستمراً الى هذه الفترة المتأخرة، كما انه قد يدل -مع عدم وجود دليل- على ان الاوسانيين قد يكونوا بدأوا مراحلهم الاولى كاذواء ثم توسعوا واصبحوا ملوكاً وهذا ربما ما اثار عليهم حفيظة جيرانهم القتبانيين والسبئيين، كما أنه قد يعني أنهم وبعد هزيمتهم على يد تحالف قتباني سبئي عادوا أذواء يحكمون مناطق صغيرة تحت زعامة سياسة أكبر. لكن نفي او تاكيد مثل هذه الافتراضات يبقى رهن اكتشافات

ريما تميط اللثام عن تاريخ الاوسانيين.

وإذا عدنا الى علاقة أوسان مع غيرها من القوى اليمنية نجد أن ذلك يرتبط بتوسع اوسان والذي جاء على حساب سبأ وقتبان، وهذا ما دفع الملك السبئي للتحالف مع قتبان ضدها مما أدى إلى هزيمة اوسان وتجريدها من كثير من الملتكات التي كانت قد حصلت عليها عن طريق التوسع على حساب غيرها، هذا التوسع الذي حرم سبأ من طرق التجارة البحرية[٦٦]، واذا قرأنا عبارات من النقش المذكور يتبين لنا مدى قوة اوسان واتساع ملكها.

«.. ويوم قهر (كرب ال وتر) او سان وقتل فيها ١٦٠٠٠ واسر ٤٠٠٠٠ ودمر من لجاه حتى حمان وأحرق مدن أنف وكل مدن حبان وذياب وخرب جنتيها، وخرب نسم وادي رشأي وجردان وقهرها في دتينه وأحرق كل مدنها على ساحل البحر وقهرها في وسر حتى أخضع اوسان وملكها مُرَتع ونذر كبار مجلس اوسان لسهمها اما اهل اوسان فحكم عليهم بالموت والاسر، وكذلك يوم عمل على هدم قصر مسْور وازال كل النقوش التي وسمت كرب ايل في قصره مسْور ونقوش معبد الهته وأعاد سرو ومناطقه وحمدان ومناطقه للمقة وسبأ، وسور سرو وأصلح أرضه وأسكنها أهل سبأ»[٦٧]، ومن النقش يفهم أن جيوش سبأ اضطرت لتوجيه أكثر من حملة على اراضي اوسان حتى استطاعت السيطرة عليها، كما يشير النقش ولو اشارة عابرة الى نظام الحكم في اوسان حيث يشير إلى الملك كما يشير إلى مجلس اوسان وزعماء هذا المجلس (كبار)، وكذلك فان النقش يشير إلى العديد من المدن والمناطق مما يدلل على اتساع ملك الاوسانيين، كما يفهم ايضاً عن ازدهار اقتصادي يمكن استنباطه من خلال الحديث عن مدن حبان وذياب وتخريب جنتيها. وكما يفهم من المقارنة مع دول اليمن فان المقصود بالجنة الأرض الزراعية المروية، كما هو الحال الحديث عن جنات سبأ، وفي مكان آخر من النقش إشارة الى توزيع أراضي اوسان على اطراف التحالف السبئي القتباني الحضرمي[٦٨].

واذا عدنا الى النقش مرة اخرى وتأملنا الأرقام التي ذكرت لعدد الاسرى او القتلى، وهو كما يبدو عدد مبالغ فيه لكن ما يلفت النظر هو الاشارة الى «وسور

مسرو وأصلح أرضه وأسكنها اهل سبأ»، هل معنى ذلك ان كرب ال اتبع سياسة الاحلال السكاني السبئي في هذه المناطق وجعل أهل هذه المدن لاجئين وأسرى في مناطق دولة سبأ ليضمن عدم ثورتهم؟ هذا أمر لا أدلة لدينا عليه ولكنه احتمال غير بعيد.

وسؤالنا الآن ما هو مصير أوسان بعد هذا النصر لتحالف سبأ؟

يبدو أن أوسان تبعت خلال الفترة مابين ٣٠٠-١٥٠ ق.م لقتبان بشكل نهائي، وذلك بعد أن تحررت قتبان من التحالف مع السبئيين[٦٩]، وهذا عرف في تاريخ اليمن القديم من تغير التحالف وتغير تبعية المناطق، فمثلاً منطقة ردمان كانت تتبع اوسان ثم اصبحت لقتبان وآلت اخيراً الى سبأ[٧٠]، ويبدو هنا ان التحالف القتباني السبئي لم يعد موجوداً، كما أن دولة قتبان -كما سبق أن أشرنا- قد بدأ ازدهارها بالتراجع منذ نهاية القرن الثاني ق.م، هذه التطورات كانت فرصة أوسان لأن تستعيد نشاطها وتثور على دولة قتبان، ويقول احمد سوسة «انهم ثاروا على قتبان وانفصلوا عنها»[٧١] وفي هذه المرحلة تظهر شخصيات ملوك اوسانيين لهم صفة القدسية ويلقبون «بابناء الآلهة» مثل الملك «يصدق ال فرعم شرح عث بن ودم» (اي ابن الاله ود) ويرى الدكتور بافقيه ان هذه الظاهرة لم تعرف عند حكام دول اليمن الاخرى[٧٢]. وهكذا عادت دولة اوسان الى الوجود في ظل متغيرات استغلتها لصالحها، ولكن إلى أي مدى استمر هذا الوجود الاوساني ككيان سياسي، لقد ناقشت هذه السؤال الدكتورة اسمهان الجرو وصنفت آراء الدارسين حول ذلك،

فتقول: ان فلبي Philby يفترض النهاية السياسية لدولة اوسان في القرن الثاني ق.م وجاكلين بيرن J. Pirenne تجعل دولة اوسان مستمرة الى قبيل ميلاد المسيح، وترى الجرو استخلاصاً من احد النقوش أن دولة اوسان لم تعد كيان سياسي مستقل منذ القرن الثالث للميلاد[٧٣]، حيث اصبحت بعد هذا التاريخ تابعة بشكل نهائي للدولة الحميرية.

٥. دولة معين:

١. اصل المعينيين

أرجع البعض أصل المعينيين إلى بلاد الرافدين وأنهم جاءوا إليها بعد أن كانوا في سيناء في الالف الرابع ق.م، ومن بلاد الرافدين إتجهوا مهاجرين إلى اليمن، واستوطنوا منطقة الجوف، وقد اعتمد هؤلاء على أساس أوجه للتشابه بين حضارة المعينيين وما وجد في بلاد ما بين النهرين سواء أكان ذلك تشابهاً في الأختام أو ألقاب الحكام وأسماء وصفات المعبودات[٧٤]، وقد علق الدكتور نبيه عاقل على هذا الرأي وقال: ان هذا التشابه الجزئي لا يصلح ان يكون اساساً لهذا الافتراض، ويرى ان ذلك قد يعني العكس اي ان ساميي العراق جاءوا من اليمن او انه يدل على قدم الصلات الحضارية بين اليمن والعراق[٧٥]. وأما محاولة ارجاع اصولهم الى هذه المناطق او غيرها كالربط بين اسم معين وبين اسم مدينة منى بالحجاز، او ربط اسم المعينيين بمدينة معان في شرقي الاردن، واعتبار ان هذه المناطق هي الموطن الاصلي للمعينيين، فلا يوجد ما يدل على ذلك، وان كان ثمة رابط بين هذه الأسماء وتشابهها مع لفظ المعينيين فان ذلك لا يعدو في راينا ان يكون نتيجة لشهرة المعينيين كشعب ودولة تجارة الذين اقاموا لهم محطات تجارية على طرق التجارة من جنوب الجزيرة العربية الى بلاد الشام وغيرها حيث اقامت جاليات معينية في هذه المناطق وربما من هنا جاء هذا التشابه، وأن المعينيين ينسبون الى معين في جنوب الجزيرة وقد اكت النقوش المكتشفة صحة هذا الامر.

٢. تاريخ دولة معين:

درجت بعض الدراسات الحديثة التي تعالج تاريخ العرب القديم وتاريخ اليمن بشكل محدد على اعتبار دولة معين هي أقدم دول اليمن، ويجعلون تاريخها يبدأ من القرن الثالث عشر قبل الميلاد او الثاني عشر ويستمر إلى القرن السابع ق.م[٧٦]، وقد اعتمدت مثل تلك الدراسات في جعل معين أقدم الدول في جنوب الجزيرة العربية على

امرين: أولهما صمت المصادر الكتابية العربية عن ذكر معين أسوة بغيرها من الدول في اليمن مما قد يعني قدم هذه الدولة، وبطبيعة الحال ان مثل هذا الافتراض يبتعد عن التحليل العلمي، وثانيهما الإعتماد على ما ورد في بعض دراسات الاوروبيين امثال جلازر Glaser وفلبي Philby وفرتز هومل Homel وجوزيف هاليفي Halevy. والتي أشارت الى قدم دولة معين بناء على معلومات آثاريه ونقشية لم تكن قد اكتملت. وبعد تزايد الاكتشافات في آثار اليمن ظهرت آراء جديدة حول تاريخ دولة معين وممن أشار الى ذلك الدكتور يوسف عبد الله في كتابه «اوراق في تاريخ اليمن وآثاره» سنة ١٩٨٥م واخذت عنه الدكتورة اسمهان الجرو في كتابها «موجز التاريخ السياسي القديم لجنوب شبه الجزيرة العربية» ١٩٩٦م وقد فندت هذه الدراسات عدم دقة مقولة اقدمية دولة معين للاسباب التالية:

١- ان جلازر حينما وضع فرضيتة التي بناها على المعلومات التي جمعها خلال رحلاته الى اليمن (ما بين ١٨٨٢-١٨٩٤) لم تكن آثار معين قد اكتشفت وفق أسس علمية ومنهجية، وأن ذلك لم يتم إلا بعد الزيارات العلمية للعالمين المصريين محمد توفيق ١٩٤٢م الذي نشر صوراً فوتوغرافية عن الجوف ونقوشها، ثم أحمد فخري ١٩٤٧م والذي قام باعماله بشكل علمي ومنهجي، وبالتالي فان رأي جلازر كان يعتمد على معلومات غير كاملة وغير دقيقة، وشايعة الاخرون واخذوا عنه.

٢- إن دراسة تطور الخطوط اليمنية القديمة أثبتت أن أقدم تلك الخطوط قد عثر عليها في (مأرب) و (صرواح) وليس في (معين).

٣- إجماع الباحثين على أن إتصالات معين بالعالم الخارجي لم تكن لتتم إلا في القرنين الثالث والثاني ق.م وأن بروزها وازدهارها كدولة لم يتم إلا في تلك المرحلة.

٤- أن اقدم النقوش المكتشفة في (الجوف) كانت قد كتبت باللهجة السبئية وليس المعينية.

٥- لم تذكر (معين) في الكتابات الاشوريه والكلاسيكية كذكر هذه الكتابات لسبأ.

٦- ان نقش النصر الذي يعود تاريخه الى القرن السابع ق.م لم يذكر معين كدولة وانما ذكر مدن الجوف مثل نشن وكتلم على انها مدن سبئية[٧٧].

وبناء على ذلك فان الحديث عن تأسيس دولة معين في القرن الثاني عشر ق.م أو نحو ذلك لم يعد أساساً معتمداً لتأريخ قيام هذه الدولة، وتصبح قوائم الحكام المعينيين الذين أوصلهم البعض الى ٢٦ ملكاً او ٢٢ ملكاً غير حقيقية[٧٨]، واصبح تأريخ قيام دولة معين يعود الى فترة القرن السابع ق.م[٧٩] والقرن الخامس ق.م[٨٠]، أو القرن الرابع ق.م[٨١]، ونستبعد القرن السابع ق.م لان نقش النصر للملك كرب ال وتر السبئي (بحدود ٦٨٥ ق.م) لم يذكر معين كدولة وانما ذكر مدناً من الجوف تابعة لسبأ، ويرجح التاريخيين الآخرين كبداية لدولة معين، ذلك أن هذه الفترة الزمنية في تاريخ اليمن شهدت تطورات سياسية على صعيد تحالفات و تطورات اقتصادية تمثلت بنشاط مدن مما يؤهل لقيام دول واختفاء أخرى، وكان هذا العصر شاهداً لنمو مدينتين في الجوف هما (يثل) براقش حالياً (وقر ناو) معين حالياً حيث اتحدتا كقوة اقتصادية قادت الى ازدياد نفوذهما السياسي وتوسعهما في منطقة الجوف هذا التوسع الذي قاد الى قيام الدولة المعينية بعاصمتها قرناو. في شمال شرق اليمن في منطقة الجوف (بين نجران وحضرموت).

٣. نظام الحكم في دولة معين:

كان نظام الحكم في معين ملكياً وراثياً شأنه شأن الممالك الاخرى في اليمن، وقد كان الحاكم المعيني في بداية تشكل الدولة يلقب «مزود»[٨٢] ومن معانيها مقدس وهنا نجدها مشابهة في المعنى لما عرف عند السبئيين من استخدامهم للفظ مكرب «مقدس»، وكان يساعد الملك في الحكم مجلس استشاري يتمتع بسلطات واسعة من حيث أنه يعالج الشؤون الحربية والاقتصادية للدولة، وكان هذا المجلس يسمى «مسود» وأخذ لقب «مسد منعن» اي المجلس المنيع[٨٣]، ونفترض ان هذا المجلس كان يشكل من العائلات المتنفذة اقتصادياً خاصة تلك التي كانت تحتكر حق امتلاك أشجار الطبوب والإتجار بها بشكل وراثي مثل جبأن، ووردت اشارات الى غناها

وقربها من الحكام، كما كان الحكم في معين يستند على ان لكل جماعة زعيم يتولى رعاية امورهم وتنظيم علاقاتهم بالدولة وكان يسمى «كبير»[٨٤].

ومما يلاحظ على النظام الملكي الوراثي في معين أن الأب والإبن قد يحكما معاً، وهذا ما نجده في بعض النقوش، حيث يرد «وفي ايام يثع ال ريام وابنه تبع كرب ملكي معين وضع أهل وابر وقفيهم وكتابتهم في حمى عثتر شرقن قبض وود...»[٨٥]، على أن مثل هذا الامر في الحكم لا يزال غير واضح وربما قصد بذلك هو ذكر الملك وولي العهد الذي سيخلفه كما هو متبع في كثير من الاحيان حتى يومنا هذا.

ومن الملاحظات الأخرى على ذكر ملوك معين ان اسم الملك يرافقه نعت خاص به مثل يثع (المنقذ)، صديق (الصادق) ريام (السامي)[٨٦].

٤. النشاط الاقتصادي لمعين:

لقد تمتعت دولة معين بموقع هام اثر على اقتصادها، فهي تتواجد في منطقة وصفت بغنى إنتاجها الزراعي وتعدد أنواع الزراعات التي كانت تنتج مواداً ساهمت في تلبية حاجاتها الداخلية كما ساهمت في غنى تجارتها، فمناطقها من الأراضي المنتجة للطيوب، وقد أشار بلينوس إلى وجود أسر معينية كانت تحتكر حق امتلاك أشجار الطيوب والإتجار بها[٨٧]. كما ساهم موقع معين في ازدهار تجارتها واصبحت سيطرتها الاقتصادية تفوق حدود سيطرتها السياسية، ذلك أن موقعها في الطرف الشمالي من اليمن أعطاها دوراً هاماً بالاتصال الخارجي مع دول العالم القديم، وقد كان المعينيون محتكرون تجارة جنوب الجزيرة مع البلاد الشمالية في خطين للتجارة البرية يفترقان عند نجران، يسير أحد هذه الخطوط إلى الشمال حتى يمر بمستوطنتهم التجارية في ديدان (خريبة العلا) ليفترق الطريق بعد ذلك جنوباً الى مصر أوشمالاً إلى سوريا، والطريق الثاني يسير من نجران إلى شرق الجزيرة العربية حتى ينتهي إلى جرها[٨٨]. ولنشاط معين التجاري وجدت آثار نقوش للمعينيين

منها نقش في مصر يعود الى العصر البطلمي (٣٠١-٣٠ق.م) ومدون الخط العربي على تابوت التاجر المعيني (زيد ايل) ويؤرخ النقش بسنة ٢٦٤ ق.م ويتضح من النقش ان التاجر المعيني كان يقدم للمعابد ما تحتاجه من المسك وقصب الطيب مقابل أقمشة مصرية[٨٩] ونقش آخر وجد في جزيرة ديلوس من جزر اليونان يقدر تاريخه بالنصف الأخير من القرن الثاني قبل الميلاد وهو يشير إلى وجود جالية معينية في هذه الجزيرة ويشير إلى احتفاظ المعينيين بعاداتهم وديانتهم حيث ترد الإشارة للاله ود[٩٠].

ومن النقوش الاخرى التي عثر عليها هاليفي Halevy وجلازر Glaser في خربة معين نقش طويل وقد وردت فيه الإشارة الى ديدان ٩ مرات ومصر ٨ مرات ويثرب مرة واحدة و ٢٩ مرة لغزة ويشير النقش الى زواج معينيين من هذه المناطق[٩١]. وقد اشتهرت طوائف معين بتجارات خاصة في معين حيث كان أهل جبأن من أعظم بيوت معين في التجارة حتى قيل، إن المر المعيني هو في الحقيقة غلة الجبأنية وكانت الاطياب على العموم تحمل للتجارة على أيدي الجبأنية وحدهم[٩٢]، وقد وردت اشارة الى كبيرهم حيث قام ببناء أحد الأبراج للاله عثتر في معين وتحمل هذا (الكبير) النفقات من أموال وضرائب التزمها من التجار[٩٣].

٥. نهاية دولة معين:

إذا كان ازدهار معين عائداً بالدرجة الأولى لنشاطهم التجاري وسيطرتهم على الطرق التجارية منذ القرن الرابع ق.م، فان نهاية هذه الدولة سياسياً جاء نتيجة لظروف خاصة بالطرق التجارية، وظروف اخرى داخلية خاصة باليمن. أما فيما يتعلق بالطرق التجارية فقد أدى ازدهار دولة الأنباط وتوسعها وسيطرتها على الطرق التجارية حتى مناطق ديدان (العلا) التي كانت تتبع للمعينيين (تجارياً) قد افقد المعينين ميزة التحكم في الطريق التجاري الواصل بين اليمن وبلاد الشام، وكذلك فان اكتشاف البحار اليوناني هبالوس Hippalos لقيمة الرياح الموسمية في تسهيل الرحلات التجارية البحرية مما اثر على الطرق التجارية البرية والتي كانت عصب

الحياة للدولة المعينية، وهذه العوامل إذا أضيف اليها بروز وقوة الدولة الحميرية كل ذلك يجعل دولة معين تنتهي سياسياً في حدود القرن الاول ق.م، بدليل أن معين لم تذكر كدولة حين قدمت الحملة الرمانية الى اليمن بل كانت جماعة تتبع للدولة الحميرية.

٦. مدن معينية:

منها مدينة قرناو (معين) وهي عاصمة الدولة المعينية وتقع في المنطقة الشرقية في الجوف، وقد زارها هاليفي سنة ١٨٧٠م، وكانت من المدن المشهورة بمعابدها وخاصة معبد الاله عثتر والذي وجد خارج أسوار المدينة[٩٤]. ومنها مدينة يثيل (براقش) وقد اكتشف فيها هاليفي حوالي ١٥٤ نقشاً، وقد وردت إشارات لها في نقش النصر الخاص بالملك كرب ال وتر حيث كانت إحدى المدن السبئية ثم أصبحت مدينة معينية، وتأتي هذه المدينة بعد معين من حيث الأهمية وتتمتع بموقع تجاري مهم على طرق التجارة بين مأرب ونجران، وتحوي المدينة على العديد من المعابد ومنها معبد للاله نكرح (الهة الشمس) في احدى ضواحي المدينة[٩٥]، وتعتبر لكثرة معابدها وكانها العاصمة الدينية لدولة معين.

٦. الدولة الحميرية ١١٥ ق.م - ٥٢٥ م

مقدمة

تعتبر الدولة الحميرية من أشهر دول اليمن القديم لعدد من الإعتبارات منها: طول الفترة الزمنية التي حكمت خلالها هذه الدولة والتي قاربت السبعة قرون، ولتعدد الألقاب الدالة على اتساع الرقعة الجغرافية والنفوذ السياسي لهذه الدولة، وكذلك لأن هذه الدولة بعصريها قد شهدت صراعاً دولياً على أرض جنوب الجزيرة العربية، هذا الصراع الذي اتخذ ابعاداً سياسية دينية واقتصادية وامتد بأثره الى وسط وشمال الجزيرة العربية، كما أن من اهمية عصر هذه الدولة التطور الديني وانتشار الديانتين اليهودية والمسيحية في أرض اليمن وما كان لذلك من آثار، كما ان هذه الدولة هي آخر دول اليمن ظهوراً قبل ظهور دولة الاسلام.

إن تاريخ هذه الدولة على أهميته لا يزال في كثير من جوانبه غامضاً ومتضارباً، وهذا ما جعل أحد الباحثين المهتمين بتاريخ اليمن، يقول: «ان هذه الفترة (سبأ وذو ريدان) من أشد الفترات تعقيداً في تاريخ اليمن القديم على الرغم من كثرة النصوص التي وصلت إلينا منها، ذلك لأن الفجوات القائمة فيما بين تلك النصوص تجعل من الصعوبة بمكان محاولة ترتيبها للحصول على صورة عامة عن الفترة التي تمثلها...»[٩٦].

وسنحاول رسم صورة تقريبية لتاريخ هذه الدولة وتطورها مركزين على اهم التطورات.

إن من اولى الإشارات التي تشير الى حمير ترد عند بليني حيث يقول: «إنهم يسكنون بين سبأ والبحر»[٩٧] أي أنهم كانوا في المنطقة التي أسماها سترابون قتابانيا، ونظراً لارتباط اسم حمير مع ذي ريدان، فان اول اشارة لحمير ترد في نقش حضرمي يعود الى القرن الاول ق.م، والصيغة الواردة هي اسم حمير، حمرم

ويقصد بذلك حلف او تجمع قبلي من الفعل (حمر) والذي يعني تحالف، فالنقوش تشير اليهم بصيغة «شعب حميرم» «اي» شعوب حمير»، اما اقدم ذكر (لذي ريدان) فيعود الى القرن الاول للميلاد[٩٨].

ومن هنا تبدأ احدى الاشكاليات في هذا التاريخ حول (ريدان) وذي ريدان واستخداماتهما وارتباطهما بحمير« فريدان» منطقة جغرافية (اسم لجبل) أو إسم لقصر ثم أصبح إسماً لقوة سياسية (ذي ريدان) تعني دولة حمير واحياناً شعب ذي ريدان (شعب حمير)، وبذلك فان إسم حمير يرافق ذي ريدان وقد يحل محله والعكس صحيح ايضاً.

بروز دولة حمير:

يعتقد الكثير من المؤرخين أن الحميريين كانوا أذواءً صغار يدورون في فلك الدولة القتبانية، ثم انفصلوا عنها مشكلين قوة سياسية، دخلت في علاقات مع حضرموت وسبأ ودخلت في صراعات معهم. وهذا جاء بطبيعة الحال نتيجة ازدياد نفوذ الريدانيين (الحميريين)، منذ أواخر القرن الثاني ق.م بعد سيطرتهم على التجارة في ميناء موزا (موزع) على البحر لاحمر وهذا بطبيعة الحال كان مهدداً للتجارة السبئية مما أدخلهم في صراع مع الريدانيين اتخذ اشكالاً مختلفة، حتى في مجال اتخاذ الألقاب مثل (ملك سبأ وذي ريدان) والذي نجده مستخدماً في فترات متوازية عند الحميريين وعند السبئيين قبل ان يصبحوا دولة واسعة مترامية تحت سيطرة الحميريين[٩٩].

إن ما يعنينا هنا الإشارة إلى أن ظهور دولة حمير يعود الى سنة ١١٥ ق.م حيث ظهر لقب ملك سبأ وذي ريدان، والتاريخ الحميري، نقسمه إلى فترتين هما:

١. المرحلة الاولى: (ملوك سبأ وذي ريدان) ١١٥ ق.م –٣٠٠م، أول من استخدم هذا اللقب الذي يجمع بين سبأ وذي ريدان هو الملك (ذمار علي وتريهنعم ابن سمه على ذريح) أحد الملوك في مأرب[١٠٠] هذا على الجانب السبئي أما علي الجانب الحميري (الريداني) فكان الملك «ياسر يهصدق» قد اتخذ نفس اللقب في نهاية

القرن الاول للميلاد أو بداية القرن الثاني تقريباً، وان كانت هناك اشكالية في معرفة أولوية من استخدم هذا اللقب (حميري ام سبئي) لكن ما هو واضح انه مع استخدام هذا اللقب فان هناك كيانين سياسيين متمايزين[١٠١]. إلا ان هذين الكيانين قد دخلا في حروب متعددة، وخاصة بعد ان توسع الحميريون ووصلوا الى الساحل الجنوبي للبحر الأحمر وسيطروا على المعافر واقاموا حاضرتهم ظفار على حدود دولة سبأ، وهذه الفترة شهدت ايضاً ازدهاراً لحضرموت وضعف دولة قتبان وزوال دولة معين، هذه التطورات كانت في النهاية لمصلحة دولة «الحميريين» حيث اغتنمت حمير حروب حضرموت مع سبأ لصالحها، كما واجهت دولة سبأ مشكلات داخلية على الصعيد السياسي[١٠٢]. ولن نتابع تطور الأحداث بين القوى الداخلية في اليمن – اذ ان ذلك اشير اليه عند الحديث عن الدول الاخرى – وما نود الاشارة اليه هو اهم الاحداث في هذه المرحلة، ومنها:

١. الحملات الرومانية على اليمن:

لقد اهتمت روما بالجزيرة العربية لعدد من الأسباب، منها حاجة المجتمع الروماني إلى الطيوب والتوابل والذي كان قسم منه من انتاج الجزيرة العربية والقسم الآخر يمر عن طريق جنوب الجزيرة العربية، واذا اتبع ذلك بان روما بعد ان سيطرت على سوريا وجعلتها ولاية رومانية نجحت كذلك بجعل مصر ولاية رومانية بدءاً من ٣٠ ق.م. وهنا كانت روما بحاجة الى تدعيم حدود امبراطوريتها الشرقية ضد الغارات القادمة من المناطق الواقعة على الأطراف الغربية للجزيرة العربية، علاوة على العداء التقليدي بين الرومان والفرس وتهديد الاخيرة للطرق التجارية البرية في اقصى الشمال الشرقي من جزيرة العرب. إزاء هذه الأوضاع كان الرومان يبحثون عن حل، وكان أحد الحلول هو توجيه حملة الى المناطق الجنوبية الغربية من جزيرة العرب الى اليمن. حيث كانت اولى الحملات التي وجهت اليها وهي حملة وجهها اغسطس Augustus سنة ٢٥ ق.م وقادها إيليوس جالوس Aelus Gallus والي روما على مصر، وهذه الحملة مصدرنا الوحيد عنها هو المؤرخ سترابو Strabo الذي

كان معاصراً للحدث كما كان صديقاً لقائدها على أنه لم يشترك في الحملة[١٠٣]، ويما ان المصادر والنقوش اليمنية - المعروفة والمكتشفة الى الآن- لم تشر الى هذه الحملة فعلينا أخذ المعلومات الواردة بقدر غير قليل من الحذر. فيقول سترابو Strabo ان هناك اعتبارين وراء الحملة:

١- السيطرة على مداخل البحر الاحمر اماعن طريق كسب العرب إلى صفه أو اخضاعه لهم.

٢- أن ما سمعه اغسطس عن الثروة الهائلة لهذه المنطقة هو ما اغراه للسيطرة عليها «ان يتعامل معهم كاصدقاء او يسيطر لهم كاعداء اغنياء»[١٠٤].

ويضاف الى هذه عوامل أخرى شجعت على قيام الحملة منها تشجيع الأنباط ووعدهم بتقديم مساعدين يرشدون الحملة على أفضل الطرق للوصول إلى الهدف، ويقول أوليري ان من اهداف الحملة فرض النظام في بلاد العرب والقضاء على حركة القرصنة على طول الساحل خاصة من القبائل القاطنة إلى الجنوب من أم لج (ليوكي كومي Leuke Kome)[١٠٥] وإذا عرفنا أن ليوكي كومي كانت تمثل آخر ميناء نبطي جنوباً، ربما قاد ذلك الى فهم أحد دوافع الانباط لمساعدة الحملة.

سارت الحملة من ميناء ارسينوي Arsinoe عند الطرف الشمالي الشرقي لخليج القلزم إلى أن وصلت إلى ميناء ليوكي كومي وقد خسرت هذه الحملة البحرية عدداً من سفنها في الطريق بين الميناءين[١٠٦] (وتقدر القوات التي شاركت في الحملة ١٣٠ سفينة، ١٠,٠٠٠ من الجنود الرومان في مصر، ١٠٠٠ من الانباط و ٥٠٠ من اليهود)[١٠٧]، ومن ثم سارت الحملة جنوباً إلى بلاد اليمن مع مرشد الحملة وهو الوزير النبطي سيلايوس (صالح) بأمر من الحاكم النبطي عبادة الثالث، وأول المواقع اليمنية التي يشار لوصول الحملة اليها هي تجرانا (نجران) ثم الى اسكا (ربما نشق) ثم الى مدينة اثرولا (ربما يثل) ثم الى ماريابا (مارب)، حيث صمدت المدينة أمام الزحف الروماني وفشل حصارهم لها وعادت الحملة دون أن تسيطر على المناطق التي استهدفتها[١٠٨]. وهناك مجموعة من الأسباب التي يمكن اعتبارها المسؤولة عن فشل هذه الحملة منها:

١- عدم الأعداد الجيد للحملة منذ البداية حيث يشار إلى خسرانهم عدد كبير من السفن في الطريق إلى ليوكي كومي مما يعني عدم معرفتهم بطبيعة البحر الاحمر وطبيعة السفن الافضل للابحار فيه.

٢- جهل بالمناطق التي تحركوا فيها اذ تكثر الاشارات الى نقص المياه وتفشي الأمراض.

٣- طول الفترة الزمنية التي استغرقتها الحملة والتي تقدر بستة شهور وما يترتب على ذلك من صعوبات أخرى في ظل ما سبق ذكره أعلاه.

٤- خيانة سلايوس (صالح) بحسب قول سترابو مما اوقع القوات الرومانية في مشكلات اعتبر هو سببها ولقي نتيجة ذلك عقوبة الإعدام.

٥- المقاومة اليمنية (لم يشر اليها سترابو) سواء اكان ذلك بصمود مأرب وافشالها الحصار، أو المعركة التي كانت بين الجيش الروماني والعرب في المنطقة ما بين نجران واسكا، حيث يشار إلى أنه قتل فيها عشرة آلاف من الجانب العربي[١٠٩].

ويعد هذه الحملة يبدو ان روما لم تترك أطماعها في السيطرة على خيرات جنوب الجزيرة العربية وطرقها التجارية، ولذا ترد الاشارة الى ان اغسطس Augustus وجه حملة بحرية للمنطقة بقيادة ابنه بالتبني جايوس قيصر Gaius Caeser (ربما بعد عشرين سنة من حملة ايليوس جالوس)، وهذه الحملة كانت قصيرة من حيث مدتها الزمنية ولم تحقق السيطرة على اي مناطق[١١٠].

والحملتين السابقتين وان فشلتا في تحقيق اهداف عسكرية مباشرة، إلا أن الدكتور لطفي عبد الوهاب يرى أن الحملتين حققتا نتائج سياسية واقتصادية وهو أن الرومان حصلو على تسهيلات تجارية كبيرة في موانئ اليمن ويستدل على ذلك بانتعاش التجارة الرومانية مع الهند في هذه الفترة وهذا يعني ان طرق تجارتهم البحرية من جنوب الجزيرة العربية قد أصبحت أسهل مما كانت عليه قبل الحملتين[١١١].

ب. تطورات لصالح نفوذ حمير:

استمرت دولة سبأ تعاني من ضغوط من اتجاهات مختلفة وخاصة من جهة حمير (الريدانيين)، وهذا الضغط كان من الاسباب التي دفعت الحاكم السبئي «علهان نهفان» بحدود ٢٠٠م للتحالف مع حضرموت في عهد حاكمها يدع ال، كما يشار الى بدايات مشاركة حبشية في هذا الحلف وربما كانت مشاركة الأحباش في الحلف هو نتيجة الضعف الذي اصاب الميناء الحبشي أدوليس نتيجة السيطرة الحميرية على ميناء موزا (موزع)[١١٢]، وواضح أن أطراف التحالف الثلاثة هم اعداء لحمير ويهدفون الى اضعافها والحد من نفوذها وقد نجحوا في ذلك الى حين تغيرت التحالفات فعادت حضرموت تتحالف مع حمير ضد سبأ، مما جعل سبأ تعود لمحاربة حضرموت وحققت بعض المكاسب التي جعلتها تعود لتستخدم لحكامها لقب «ملوك سبأ وذي ريدان» هذا في الوقت الذي كان فيه حكام حمير (الريدانيون) يستخدمون نفس اللقب ايضاً[١١٣] كل هذه التطورات قادت مجدداً إلى صراعات بين الحميريين استمرت الى عهد الحاكم الحميري ياسر يهنعم ٢٦٠-٢٧٠م وابنه شمر يهرعش الذي كان مشاركاً له في الحكم، وحينها في هذا العهد سيطرت القوات الحميرية على مأرب عاصمة السبئيين في نهاية القرن الثالث للميلاد، وتحقق بذلك الحلم الريداني (الحميري) وسيطروا على سبأ وحكموها «باسم ملوك سبأ وذي ريدان» لتبدأ بعد ذلك المرحلة الثانية من تاريخ الدولة الحميرية[١١٤].

٢. المرحلة الثانية: ٣٠٠-٥٢٥م:

قبل ان ينتهي القرن الثالث الميلادي يطرأ اضافة على اللقب الملكي «سبأ وذي ريدان» ليصبح «ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت»[١١٥]، وهذا يعني أن حضرموت لم تعد كياناً سياسياً مستقلاً بل أصبحت جزءاً تابعاً لدولة حمير في هذا الدور، كما يعني أن الدولة الحميرية بعد أن أضافت اليها «يمنت» قد سيطرت على المناطق الجنوبية من اليمن باجزائها الساحلية ومنها ميناء قنا[١١٦]، ثم أضيفت إلى اللقب بعد ذلك «وعربهم في الجبال وفي تهامة» ونجد ذلك في نقش مأسل الجمح[١١٧]

(ويعود الى الربع الاول من القرن ٥م)، «ابي كرب اسعد وابنه حسان يهأمن ملكا سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمانة واعراب طود وتهامة ابنا ملكي كرب يهأ من ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمانة مروا من (هذا) المر بوادي مأسل الجمح....»[١١٨]، وهكذا تصبح دولة حمير مسيطرة على مناطق واسعة واقوام متعددة، وقد عرفت هذه الدولة باتساعها هذا بدولة التبابعة واصبح حديث المؤرخين عنها لا يخلو من الأساطير والخرافات.

وعودة إلى اتساع هذه الألقاب نجد أن الحاكم شمر يهرعش ٢٧٠-٣١٠م هو أول من تلقب «ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت» ويرتبط اسمه باسم والده ياسر يهنعم لكونهما حكما بشكل مشترك وللاثنين نسبت المصادر فتوحات واسعة شملت ارمينية، وسمرقند والهند والصين وبلاد فارس وغيرها[١١٩]، وهي فتوحات مبالغ فيها، ولكن ما هو مثبت بالنقوش انه قام بحروب متعددة ضد اقوام عدة في اليمن والجزيرة العربية، فقد غزا ارض خولان، وقاتل عشائر من عرب الشمال في عسير كما سيطر على شبوه وغيرها من المناطق[١٢٠].

وفي عهد الدولة الحميرية الثانية كان انتشار الديانة المسيحية في اليمن لتحل عند البعض بدلاً من عبادة النجوم، ولا شك ان انتشارها كان تدريجياً وعلى يد مبشرين وخاصة من اليعاقبة (اتباع مذهب الطبيعة الواحدة) الذين جاءوا من الحبشة وانشأوا كنائس في مناطق عدن، ظفار، نجران، وربما جاء انتشارها عن طريق رجال الدين المسيحيين الذين هربوا من سوريا نتيجة اضطهادات دينية، على أن أول بعثة رسمية معلومة لدينا هي التي أرسلها الامبراطور البيزنطي قسطنطين في سنة ٣٥٦م تحت قيادة ثيو فيلوس اندوس Theophilus Indus لاسباب سياسية[١٢١]، وكذلك وجدت اليهودية في العهد الحميري انتشاراً في اليمن بعدسنة ٣٠٠م[١٢٢]، ولقد كان لذلك اثره في تاريخ اليمن كما سيشار اليه لاحقا.

أ. الغزو الحبشي لليمن:

لقد تأرجحت علاقات الأحباش بالجزيرة العربية وبالأخص اليمن بين حالات السلم والحرب والتنافس الاقتصادي، وقد سبق أن أشرنا في عصر الدولة الأولى الى بدايات تدخل الاحباش كطرف في التحالفات بين القوى السياسية التي كانت متصارعة في اليمن، ويبدوا أن هذه العلاقات قد وصلت إلى حد أن الأحباش فكروا بمد نفوذهم الى داخلية بلاد اليمن وهذا ما ترجم فيما عرف عند بعض الدارسين لتاريخ اليمن بالاحتلال الحبشي الأول في الفترة الواقعة ما بين ٣٤٠-٣٧٨م ويستند من يقول بوجود مثل هذا الغزو أو الإحتلال على أساس نقوش وجدت في اكسوم (منتصف القرن الرابع م)، تشير على أن ملك الحبشة كان من ضمن ألقابه ذكر لمناطق يمنية[١٢٣]، وفي ظل غياب اشارات نقشية او اية مصادر معاصرة تشير الى مثل هذا الاحتلال والذي استغرق وفق ما يذكره البعض ثمان وثلاثين سنة، يبقى الأمر افتراضي، وهذا ما ذهب اليه محمد بافقيه اذ قال: «ولكننا لا نزال بحاجة الى المزيد من الأدلة من الجانبين العربي والحبشي لتثبيت احداث هذه الفترة... وغاية ما يمكن قوله هو استبعاد أي احتلال حبشي جديد شامل»[١٢٤].

وسؤالنا هل مجرد وجود اللقب في الاسم دلالة على سيطرة فعلية على أرض الواقع؟ لننظر الى تاريخ الدولة الحميرية ذاتها فقد مر معنا ان الريدانيين (الحميريين) كانوا يضيفون إلى ألقابهم ملوك سبأ وحمير... مع انهم لم يسيطروا على سبأ بعد وكذلك الحال في الجانب السبئي مر معنا ان بعض حكامهم اضاف الى لقبه منطقة حمير دون أن تخضع له فعلاً، وعليه فما الذي يمنع أن تكون إضافة أسماء مناطق يمنيه إلى لقب الملك الحبشي، هو أمل يراود هؤلاء الحكام بالسيطرة على المناطق التي ذكروها في القابهم، ولكن هذا الأمل لم يتحقق إلا بعد قرنين من الزمان، بما عرف بالاحتلال الحبشي الثاني لليمن، والذي جاء مترافقاً بل وقد يكون نتيجة لتطورات داخلية خاصة باليمن وطرق تجارتها.

فعلى الصعيد الداخلي نجد الإشارة إلى الملك الحميري «مكلكرب يهامن» والذي حصل في عهده تحول لصالح الديانة اليهودية واتضح ذلك بشكل اكثر وضوحاً

في عهد خليفته وابنه الملك «ابكرب اسعد» والذي اعتنق الديانة اليهودية وطلب من قومه اتباعها، كما شهد عهده توسعاً أخضع خلاله قبائل في منطقة تهامة والهضاب الممتدة خلفها حتى مناطق الحجاز[١٢٥]، ومعنى ذلك انه قد شدد الضغط على القبائل الموالية للأحباش في المناطق الغربية من اليمن (تهامة)، مما أثر سلباً علي العلاقة مع الحبشة، وهل يمكننا ربط هذا -التوسع في منطقة تهامة ضغطاً على القبائل الموالية تهود بعد أن كان نصرانياً، قد بدأ سياساقه لليهودية- ضمن سياسة

وكأنه يناهض الامتيازات الحبشية والبيزنطية والتي قد تحققت في عهد سلفه النصراني، أي أن الأمور مرة أخرى توحي بان هذا وان كان صراعاً داخلياً ولكنه ليس بعيداً عن المؤثرات الخارجية والصراع الفارسي البيزنطي.

ومن هذا المنطلق -تأثر المصالح الحبشية والضغط على النصارى- وجهت

الحبشة حملة إلى اليمن سنة ٥١٨م وصلت إلى (مخا) على البحر الأحمر، ووصلت القوات الحبشية إلى ظفار ولكن هذه الحملة لم تستمر طويلاً وواجهت مقاومة ثم عادت إلى الحبشة دون ان تشكل احتلالاً وان كانت قد دعمت بعض القبائل الموالية للأحباش وبخاصة على الساحل الغربي لليمن وهي المنطقة المهمة للتجارة الحبشية، على أن أهم ما اسفرت عنه الحملة هو استمرار العداء بين الاحباش وذي نواس والذي ترجم بعد ذلك بسياسة عدائية من ذي نواس ضد نصارى نجران فيما عرف بواقعة الاخدود وأدى ذلك الى غزو الاحباش لليمن مجدداً.

ب. سيطرة الاحباش على اليمن:

إن قضية السيطرة الحبشية على اليمن نتيجة حملة ٥٢٣م وما اعتبر مكملاً لها سنة ٥٢٥م على اهميته العظمى وخطورته في حلقات التحالف الدولي وتعارضها، إن هذه السيطرة تعزى في أغلب الدراسات الى سبب ديني؟ تمثل في اضطهاد آخر الحكام الحميريين (ذو نواس) للنصارى حتى بلغ به الأمر إلى حد احراقهم بعد ان احتفر لهم اخدوداً. وقد حصل هذا الأمر سنة ٥٢٣م[١٢٨] وقد وردت اشارة في القرآن الكريم تشير الى الحادث «قتل اصحاب الاخدود، النار ذات الوقود، اذ هم عليها قعود، وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود، وما نقموا منهم إلا ان يؤمنوا بالله العزيز الحميد»[١٢٩].

اذاً قضية تعذيب النصارى (المؤمنين) حقيقة بنص قرآني، ولكن الخلاف ليس هنا، بل هل تعذيبهم جاء انطلاقاً من ناحية دينية، واذا كان ذلك كما هوواضح من نص الآيات الكريمة، ولكن الذين قاموا بهذا العمل ضد المؤمنين، هم يهود وهل هو (ذو نواس) اليهودي؟ ام قادة جيوشه اليزنيين اليهود عقيدة[١٣٠]، واذا كان هؤلاء هم المسؤولون عن هذا العمل فكيف نفسر بعد ذلك تعاونهم مع الأحباش حتى وصل احدهم ليكون نائباً عن الأحباش في حكم اليمن وهو سميفع أشوع، نقول ان ذلك ممكن في ظل الأفكار اليهودية التي لا تعرف للوفاء محلاً وتتخذ من الغدر وسيلة لتحقيق الأهداف.

وإذا أخذنا الأمر من زاوية أخرى، فهل الدافع وراء نجدة الاحباش لنصارى

اليمن دافع ديني فقط. -وهو ما لا نميل الى الأخذ به- فكيف نفسر الحروب التي اتخذت اشكالاً مختلفة عبر قرون حتى قبل ان تدخل النصرانية للحبشة -وقد سبق ان اشرنا الى انهم تدخلوا كطرف ضمن تحالفات على ارض اليمن منذ القرن الثاني.

إن تدخل الأحباش في اليمن كان كما تشير طبيعة الأحداث لأسباب اقتصادية وسياسية خاصة بالحبشة وبيزنطة ضمن صراعهم مع أي قوة تهدد تجارتهم في اليمن والطرق منها واليها. المهم هنا ان نشير -دون متابعة للتفصيلات التي لا اتفاق عليها- أن الأحباش سيطروا علي اليمن سيطرة فعلية منذ عام ٥٢٥م وان كانت قد سبقتها مرحلة تمهيدية قبل ذلك بسنتين. وقد أدى هذا الاستيلاء إلى انهاء حكم الحميريين لليمن أو إنتهاء حكم التبابعة[١٣١].

وخلال فترة حكم الاحباش لليمن يظهر على ساحة الاحداث شخصيات مهمة منها شخصية ارياط كقائد عسكري حبشي وهو من تولى قيادة الجيوش الى اليمن وحكم مع شخصية يمنية اخرى هي شخصية سميفع اشوع الذي عين حاكماً لليمن بمباركة حبشية وذلك بعد مقتل ذو نواس[١٣٢]، على ان الشخصية الأكثر اهمية في حكم الاحباش لليمن هو أبرهة.

١. اليمن في ظل حكم أبرهة وابنائه حتى عام ٥٧٥م:

إن المصادرالعربية لا تشير إلى حكم سميفع أشوع ولا الى الكيفية التي انتهى فيها حكمه، ثم تضطرب المصادر حول كيفية وصول أبرهة للحكم، على أن ما يمكن التأكيد عليه هو أن وصول أبرهة لحكم اليمن جاء بعد صراعات كان من أطرافها سميفع اشوع وأرياط من جهة وقوة عسكرية مؤيدة لابرهة من جهة اخرى، وان هذه الصراعات انتهت لصالح أبرهة بعد ان استطاع وانصاره التخلص من أرياط[١٣٣] ويبدو ان هذه التطورات بين الاحباش في داخل اليمن لم تكن محل رضى من قبل حاكم الحبشة الذي ارسل قوة عسكرية الى اليمن ومعاقبة المتمردين (ابرهة واتباعه) ولكن هذه القوة فشلت في تحقيق أهدافها وفي نهاية الأمر تطوت الأمور لصالح أبرهة إذ أن النجاشي الذي كان يسعى للتخلص منه هو (هلتيايوس)[١٣٤] قد

توفي وبعد ذلك وفي عهد النجاشي الجديد تم تسوية الامر بتبعية أبرهة للحبشة وأن يدفع مبالغاً مالية سنوية، وان يكون نائباً له في اليمن[١٣٥].

ان جزءاً هاماً من معلوماتنا عن حكم أبرهة وسياسته الداخلية تعود الى ما ورد في النقش المعروف بنقش أبرهة الذي تم العثور عليه في مأرب، والنقش يتكون من ١٣٦ سطراً ومن الأمور الهامة التي يشير اليها النقش ما يلي:

١- أن أبرهة يحكم اليمن نائباً عن ملك الحبشة، وأنه قد أعطى لنفسه اللقب الذي كان يتلقب به ملوك حمير قبل أن يتم القضاء عليهم، إذ يرد في النقش: «ان ابره (ابرهه) عزبي (نائب) الملك الاجفري رمحيس زبمين ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت واعرابهم طوداً وتهامة»[١٣٦]. وهذا اللقب له دلالته في تفسير سياسة أبرهة ليس على الصعيد الداخلي فقط وانما على الصعيد الخارجي حيث عمل (قبل تاريخ النقش) أو سيعمل على ان يضم تحت سيطرته المدى الجغرافي الذي كان يسيطر عليه الحكام الحميريين قبل السيطرة الحبشية على اليمن.

٢- يشير النقش إلى حركات تمرد ضد حكم أبرهة، واحدة منها كانت بزعامة يزيد بن كبشة والذي كان قد عين من قبل ابرهة كزعيم لقبائل كندة، والثاني هو تمرد الأقيال في المشرق (معقل اليزنيين)، وسواء اكان الأمر يتعلق بتمردين منفصلين أو عمل مشترك فان أهميته هنا أن المعارضة لحكم أبرهة موجودة ولأسباب مختلفة، لكن هذين التمردين انتهيا بعد أن جرد ابرهة حملات عسكرية ضد المتمردين، وساعده على ذلك امر آخر وهو تهدم حواجز سد مأرب والذي استدعى من الجميع العمل لتلافي ما قد يسببه هذا الأمر من خطر، ولذا اعلن المتمردون انهاء تمردهم وجددوا الولاء لابرهة[١٣٧].

٣- الاشارة الواردة في النقش الى تهدم اجزاء من سد مأرب ويشير الى التحرك الجماعي بأمر من أبرهة لإصلاح السد ومشاركة الأحباش والقبائل في هذا

الامر.

٤- الإشارة الهامة التي تدل على علاقات ابرهة على الصعيد الخارجي اذ يشير النقش الى وفود جاءت إلى اليمن والتي جاءت اما للتهنئة لابرهة بالحكم أو لبحث علاقاتها ومصالحها التجارية مع اليمن في ظل حكم ابرهة، وهذه الوفود تمثل: وفد ملك الحبشة، وفد يمثل بيزنطة، وفد يمثل بلاد فارس، وفد يمثل المنذر اللخمي، وفد يمثل الحارث بن جبلة - الغساني، ووفد ابي كرب بن جبله (ربما كان يمثل احد القبائل الشمالية)[١٣٨] وهكذا فان هذه الإشارات في النقش تشير إلى نجاحات حققها ابرهة على الصعيدين الداخلي والخارجي، وأما تواجد هذه الوفود التي تمثل اطرافاً متعارضة فهي بلا شك تدل على ان هذه القوى كانت تسعى لتحقيق مصالحها الاقتصادية، هذا من ناحية ومن ناحية اخرى تدل على موازنة دقيقة -حتى تاريخ النقش- في سياسة ابرهة الذي سعت مختلف الاطراف لعلاقة معة.

والى جانب هذه الملامح من أوضاع اليمن في ظل حكم أبرهة فان المصادر الأخرى النقشية وغيرها تشير إلى قيامه باعمال اخرى هامة، نشير منها الى اثنين لهما تاثير على ما سيأتي من سياسته، وأول هذه الاعمال هو بنائه لكنيسة في صنعاء (القليس) هذه الكنيسة التي بالغ في الإنفاق عليها وتجميلها، وتورد المصادر العربية الإسلامية أن الهدف من ذلك هو ضرب المركز الديني للعرب في مكة، إذ تتحدث هذه المصادر عن مراسله من ابرهة الى ملك الحبشة «اني قد بنيت لك ايها الملك كنيسة لم يبن مثلها لملك كان قبلك ولست بمنتهي حتى اصرف اليها حج العرب»[١٣٩] وثاني هذه الأعمال هو توجيه أبرهة لحملة علي إحدى القبائل العربية في الشمال وهي قبيلة معد التي كانت تخضع لنفوذ كندة ثم خضعت منذ سنة ٥٤٩م لنفوذ اللخميين، وكما تشير النقوش فان هذه الحملة لم تكن الأولى وان جاءت في سلسلة حملات سبقتها، المهم ان هذه الحملة انتهت بانتصار أبرهة علي هذه القبيلة الاخرى ووضع في قيادتها

عمرو بن المنذر واخذ منهم الرهائن، وكان انتصاره عليهم في يوم عرف بيوم حلبان وقد ورد صدى لذلك في الشعر العربي، اذ يقول الشاعر المخبل المعدي:

ويوم ابي يكسوم والناس حضر   على حلبان اذ تقضى مجامله

طوينا لهم باب الحصين ودونه   عزيز يمشي بآلحراب مقاوله[١٤٠]

وهذه الحملة لا بد انها تندرج ضمن مخطط يسعى من خلاله أبرهة لفرض نفوذه على مناطق خارج حدود اليمن لإحكام السيطرة على الطرق التجارية من جنوب الجزيرة الى شمالها، كما أنها تندرج ضمن سياسة الصراع بين فارس وبيزنطة على هذه الطرق، وفي هذه الفترة كان ابرهة يمثل أو يميل إلى جانب المصالح البيزنطية.

٢. حملة ابرهة على مكة: (عام الفيل[١٤١] ٥٧٠م):

حظيت حملة أبرهة على الحجاز باهمية بالغة في المصادر العربية الاسلامية والتي اشارت الى سبب رئيسي لهذه الحملة تتفق المصادر حوله وتختلف حول تفصيلاته، فقد ذكرت هذه المصادر ان الأمر يعود الى بناء ابرهة لكنيسة القليس[١٤٢] وان هدفه من ذلك صرف حجيج العرب عن مكة والكعبة إلى كنيسة القليس إليها، وان هذا الأمر اثار بعض الأفراد من العرب فقاموا بتدنيس القليس وجاءت ردة الفعل من ابرهة وهو الانتقام وتسيير الجيوش إلى مكة حيث الكعبة التي وعد بان يهدمها رداً على فعلة الذين دنسوا القيلس[١٤٣]، وزاد الاهتمام بهذه الحملة لأن القرآن الكريم أشار إلى فشلها كما ورد في سورة الفيل: «ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل، ألم يجعل كيدهم في تضليل وأرسل عليهم طيراً أبابيل، ترميهم بحجارة من سجيل، فجعلهم كعصف مأكول».

أما إذا عدنا الى اسباب هذه الحملة فالذي يبدو لنا ان السبب لم يكن ما فعله بعض العرب -احدهم من بني فقيم، وآخر من بني مالك، وآخر من بني نعيم-

من تدنيس للقليس -وان كان فعل التدنيس غير مستبعد- ذلك أن أمر تحويل العرب محجهم الى القليس كما أشار أبرهة أمر غير وارد بمجرد بنائه للقليس فالعرب على دين الوثنية ولها اماكن عبادتها ولا تقبل بهذه البساطة أن تحول حجها الى القليس، كما أن القليس لم تكن أول كنيسة مسيحية في ارض العرب. ولكن ما يمكن ان يفهم من مقولة ابرهة -بتحويل حج العرب- ان صدقت أنها تأخذ بعداً آخر وهدف استرتيجي بعيد، سنحاول فيما يلي توضيحه. ان هدف أبرهة كما سبق ان اشرنا هو محاولة السيطرة على الطرق التجارية كما أن طريقه لذلك هو السيطرة على القبائل العربية في وسط وشمال الجزيرة، وهذا ما نجده من خلال استعماله للالقاب الطويلة التي كان يتلقب بها حكام حمير السابقين، وضمن هذا السياق جاءت حملاته الى قبائل معد كما سبق أن أشرنا، وعليه فان تحرك أبرهة بجيشه إلى مكة كان ضمن محاولة هيمنة تختلط فيها الأسباب السياسية والاقتصادية بل ان أسبابها ترتبط بالقوى على حدود الجزيرة العربية، إن أسبابها ترتبط بقضية الصراع والتنافس بين بيزنطة وفارس، وفي تلك الظروف كانت كفة ازدياد المصالح والنفوذ تميل لصالح بيزنطة اذ ان حليفها ابرهة يتحكم في الجزء الجنوبي الغربي من الجزيرة العربية وخاصة أنه قد تحول الى اعتناق وتأييد مذهب بيزنطة الديني -المذهب الخلقدوني- وهنا كان يسعى تحالفاً وخدمة لاغراض بيزنطة بالسيطرة على أهم مفاصل طرق التجارة العالمية أنذاك: عدن - صنعاء - مكة - الشام - القسطنطينية. وهو بذلك بالإشتراك مع بيزنطة يحققون امتيازاً على الفرس.

كما انه ليس مستبعداً كما اشرنا ان الهدف الديني الأبعد هو انه في حال السيطرة على هذه المناطق أن يسعى هو وحلفاؤه البيزنطيون لنشر الديانة المسيحية أو إجبار العرب على التنصر، وفي حينها تصبح القليس او غيرها مكان ومقصد حج العرب. وضمن هذه الإفتراضات تصبح قصة تدنيس القليس ليس أكثر من ذريعة او شرارة الهبت الصراع، هذا الصراع الذي غطت قشوره الدينية، أسبابه الكامنة والحقيقية وهي أسباب اقتصادية وسياسية، وان الدين المسيحي استخدم مطية لتحقيق الهدفين الاقتصادي والسياسي المتمثل باحكام حلقات السيطرة على جزيرة

العرب طرق تجارة وسكان وما بقي لاستكمال حلقات السيطرة إلا إحتلال مكة.

وقضية اخرى تستحق البحث -مزيداً منه- وهي الإشارة الى أن جيش ابرهة الذي توجه إلى مكة لم يكن ليسير في طريقه ذهاباً واياباً دون مقاومة، فقد تخطفته القبائل العربية لأسباب مختلفة وقاومته قبائل عربية، ورغم قلة الإشارات الا ان لها دلالاتها فهناك اشارة الى مقاومة العرب اليمنيون بقيادة «ذو نفر» ثم نفيل بن حبيب الخشعمي وقبائل ناهس وشهران، وكذلك اشارات لمحاولات المقاومة من قبائل قريش وكنانة وهذيل(١٤٤) ويؤكد ما خلده الشعر العربي ان سكان الجزيرة وخاصة الحجاز كانوا يرفضون هذا الغزو - الرفض شكل من اشكال المقاومة- وها هم يشيرون الى من خان قومه وتعاون مع الغازي، وقصة ابو رغال خير تجسيد لذلك، فأبو رغال حسب المصادر رجل من الطائف ساعد جيش ابرهة بكونه دليلاً له الى مكة؟ فها هو الازرقي يورد رواية تعاون ابو رغال: «ان ابرهة لما مر بالطائف خرج اليه مسعود بن معتب المعروف بابي رغال ومعه نفر من قومه، قالوا له: ايها الملك انا نحن عبيدك سامعون لك ومطيعون وليس لك عندنا خلالف وليس بيتنا -بيت اللات- بالبيت الذي تريد ونحن نبعث معك من يدلك عليه فتجاوزهم ومضى الى سبيله، لكن أبا رغال لحق به ثانية ليدله على البيت الذي بمكة فنزل أبرهة بالمغمس ومعه ابو رغال وتوفي هناك(١٤٥)، على ضعف هذه الرواية الذي يتبدى من خلال الاشارة الى عدم معرفة ابرهة لهدفه وهو مكة، ولإصرار ابو رغال على مساعدة الغازي، نقول على الرغم من ذلك وأيا كانت الظروف التي دفعت ابو رغال لهذا التصرف، فقد بقي هو وتصرفه موضع ازدراء وهجاء، فها هو الشاعر الأموي جرير بن الخطفي يقول في هجائه للفرزدق:

اذا مات الفرزدق فارجموه كما ترمون قبر ابي رغال(١٤٦)

ونعود لما سبق ان اشرنا اليه وهو ان الحملة فشلت فشلاً ذريعاً في تحقيق أهدافها دينية كانت أم سياسية أم اقتصادية، والقرآن الكريم أشار الى الكارثة التي حلت بجيش ابرهة. وعاد ابرهة الى اليمن ليبدأ وضع جديد تطوراته لا تخرج عما

سبق ان اشرنا اليه وهو صراع دولي على المنطقة، صراع حاول أهل اليمن استغلاله بعد ذلك للتخلص من حكم الأحباش.

٣. أوضاع اليمن بعد الحملة على مكة:

بعد انتهاء الحملة يبدو أن الأمر لم يطل بابرهة، إذ نجد ان الذي تولى الحكم بعده هو احد ابنائه اكسوم (يكسوم) والذي حكم لمدة سنتين يتولى بعدها الحكم احد اخوانه وهو مسروق بن ابرهة، الذي حكم لمدة ثلاث سنوات وكانت سياسة هذين الحاكمين شديدة الوطأة على أهل اليمن بما فيها من استمرار للظلم، وهذا ما اشارت اليه المصادر العربية الاسلامية، فالمسعودي يقول عن مسروق: «انه زاد على ابيه وأخيه في الأذى»[١٤٧]، ولقد كانت هذه السياسة بتراكماتها منذ الاحتلال الحبشي لليمن كفيلة بأن يسعى أهل اليمن للتخلص من هذا الإحتلال، فكانت ثورة عربية قادتها اسرة يمنية من اليزنيين، قادها سيف بن ذي يزن (٥١٦-٥٧٤م)، هذه الثورة التي نرى انها امتداد وتجذير لمقاومة المحتل فهي تندرج ضمن محاولات سابقة للتخلص من حكم الاحباش سواء ما كان من تمرد (ثورة) يزيد بن كبشه والاقيال في المناطق الشرقية منذ عهد ابرهة. ولكن ثورة سيف استفادت من تجارب اليمن السابقة، كما انها وعت طبيعة الصراع الدولي حول بلادهم ولذا نجد ان سيف بن ذي يزن يسعى لكسب تحالفات دولية لتقف في وجه السيطرة الحبشية المدعومة بتحالف بيزنطي.

حاول سيف ان يحصل على المساعدة للتخص من الأحباش بالإتجاه الى الامبراطورية البيزنطية طالباً النصرة على الأحباش ولكن محاولته فشلت وكما تقول المصادر لأسباب دينية وهو أن الامبراطور البيزنطي لم يبد استعداداً لمناصرة اليمنين ضد إخوته في الدين وهم الاحباش[١٤٨]. وهنا يبدو غرابة في ان يتجه سيف الى بيزنطة طالباً المساعدة ضد الأحباش النصارى، وان كانت المصادر لا تعطينا مبرراً مقنعاً لذلك، إلا انه باعتقادنا ان سيف توجه الى بيزنطة رغم ذلك انطلاقاً من

احتمالين، الأول وهو أن يعرض على بيزنطة تبعية وامتيازات أكثر مما كان يتحقق لهم عن طريق الأحباش، والإحتمال الثاني هو ان تكون المصالح البيزنطية قد تضررت في الجزيرة العربية من خلال مغامرات حليفهم ابرهة وراى سيف ان يستغل ذلك ويحقق مساعدة بيزنطية له ضمن تحقيق مصالحها عن طريق اهل اليمن؟؟

وبعد فشل هذه المحاولة يتوجه سيف بن ذي يزن الى خصم بيزنطة والأحباش وهي قوة فارس، فيتجه اولاً الى الحيرة لمقابلة حاكمها النعمان بن المنذر الذي اوصله الى كسرى انوشيروان (٥٣١-٥٧٨م)، والذي قبل عروض سيف بن ذي يزن وقبل مساعدته ليحقيق هدفاً فارسياً وهو السيطرة على تجارة البحر الأحمر وطرق التجارة الأخرى من اليمن واليها وليحقق نصراً على اعدائه التقليديين بيزنطة وحلفائها.

رغم اضطراب المصادر الاسلامية حول حجم المساعدة العسكرية التي ارسلت من فارس مع سيف بن ذي يزن[١٤٩] إلا أن هذه القوة كانت تحت قيادة قائد فارسي يسمى وهرز ووصلت القوة ونزلت بساحل حضرموت في موضع يدعى مثوب[١٥٠] واستطاعت هذه القوة بعد اتحادها مع قوات سيف بن ذي يزن من ان تحقق انتصارات أدت إلى مقتل مسروق ابن أبرهة وتمكنت القوات المتحالفة (الفرس واليمنين) من دخول صنعاء سنة ٥٧٥م معلنة بانتصارها انتهاء النفوذ الحبشي على اليمن. وقد كان لهذا الانتصار صداه خارج حدود اليمن في المناطق التي تأثرت سابقاً بحكم الاحباش، ونجد ذلك من خلال الوفد المكي الذي تزعمه عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف (٥٠٠-٥٧٩م) والذي ذهب الى اليمن مهنئاً[١٥١]، وحريصاً في نفس الوقت على بحث ترتيب الامور التجارية بين اليمن وشمال الجزيرة بعد هذا التطور الذي حصل وادى الى سيطرة فارسية، كما اشار الشعر العربي لهذا الحدث، فها هو الشاعر أمية بن أبي الصلت (٥٥٠-٦٢٤م) يقول مادحاً سيف بن ذي يزن:

لا يطلب الوتر إلا كابن ذي يزن   في البحر لجج للأغدام أحوالا

ويقول واصفاً التدخل الفارسي:

لله درهم من عصبة خرجوا ... ما إن ترى لهم في اناس أمثالا
بيضا مرازبه غرا جحاجحة ... أسدا تربت في الغيضات أشبالا
لا يرمون إذا حرت مغافرهم ... ولا ترى منهم في الطعن ميالا
مثل كسرى وسابور الجنود له ... أو مثل وهرز يوم الحبش إذ صالا
فاشرب عليك التاج مرتفعاً ... في رأس غمدان دارا منك محلالا

بعد ان تحقق الانتصار الفارسي على الاحباش تشير المصادر على ان سيف بن ذي يزن حكم اليمن وكان موالياً للفرس ومع نائب عن حكومة فارس ممثلة بالقائد العسكري الذي رافق الحملة من فارس الى اليمن. ولكن الأحداث تتابعت في اليمن حيث قتل سيف بن ذي يزن على يد مجموعة من الأحباش(١٥٢) ليتولى الامر من بعده احد ابنائه معد يكرب والذي لم يحكم الا فترة قصيرة.

واستمر الصراع قائماً في اليمن من بقايا الاحباش والفرس الطامعين بالسيطرة على كل اليمن وبين مجموعات قبلية أخرى لا ترضى بحكم اليزنيين او لأسباب أخرى، واصبح بعذ ذلك الفرس يحكمون مناطق من اليمن حكماً مباشراً، وكان حكمهم في صنعاء وحولها اي انهم لم يكونوا اكثر من قوة من قوى متعددة تحكم اليمن(١٥٣).

فأوضاع اليمن لم تتغير تغيراً جذرياً، فالصراعات الداخلية قائمة والإحتلال موجود وان تغير من حبشي الى فارسي وبقي أهل اليمن تحت وطأة هذه الظروف واشدها سيطرة الولاة الفرس وانتهابهم لخيرات اليمن لصالح كسرى فارس، وكان أخر ولاة الفرس على اليمن باذان. ثم بدأت بعد ذلك صفحة جديدة في تاريخ اليمن تمثلت بقبولها الدعوة الاسلامية ودخولها في ركاب الدولة الاسلامية التي كانت تتشكل في الحجاز، وكانت اليمن من اولى المناطق التي يدخلها الاسلام بعد المدينة ومكة ودخلت في دولة الاسلام طوعاً، وكان باذان ممن أسلم وأقره الرسول عاملاً من عمال الدولة الاسلامية في اليمن.

هوامش الفصل الرابع

(١) يحيى: العرب في العصور القديمة، ص١٣٠.
(٢) عاقل: تاريخ العرب، ص٨٠.
(٣) عصفور: مرجع سابق، ص١١٤-١١٥، فخري، احمد: دراسات في تاريخ الشرق القديم، القاهرة، ١٩٦٣، ص١٤٠.
(٤) اوليري: مرجع سابق، ص١٠٣، ١٠٩.
(٥) سالم: تاريخ العرب، ص١٣٤.
(٦) زيدان: مرجع سابق، ص١٥٨.
(٧) البلاذري، احمد بن يحيى بن جابر: أنساب الاشراف، تحقيق محمد حميد الله، القاهره، ١٩٥٩، جـ١، ص٤.
(٨) بافقيه: تاريخ اليمن، ص٥٩.
(٩) عصفور: مرجع سابق، ص٢٥٧-٢٥٨.
(١٠) انظر: عاقل: تاريخ العرب، سالم: تاريخ العرب.
(١١) الجرو: مرجع سابق، ص٨٧.
هومل، فرتز: الفصل الثاني من كتاب تاريخ العرب القديم، في: دتيلف نلسون واخرون، ترجمة واستكمله فؤاد حسنين علي، القاهرة ١٩٩٣ ص٦٢-٦٣.
(١٢) اوليري: مرجع سابق، ص٨٧.
(١٣) القرآن الكريم: النمل (٢٧)، سبأ (٣٤).
(١٤) اوليري: مرجع سابق، ص١٠٣.
(١٥) الجرو: مرجع سابق، ص٨٧-٨٨.
(١٦) بافقيه: تاريخ اليمن، ص٦٢، ٦٥، ٩٧.
(١٧) الجرو: مرجع سابق، ص٨٥.
(١٨) الجرو: نفسه ص٩١.
(١٩) بافقيه: تاريخ اليمن، ص٦٥.
(٢٠) سالم: تاريخ العرب، ص١٣٨.
(٢١) العمري: في صفة بلاد اليمن، ص١١-١٨.
(٢٢) العمري: نفسه، ص١٣.

(٢٣) عبد الله، يوسف محمد: اوراق في تاريخ اليمن وآثاره، منشورات وزارة الاعلام والثقافة، اليمن، صنعاء، ط١ شركة دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٥، حـ١ ص٧٨.

(٢٤) الجرو: مرجع سابق، ص١٠٤.

(٢٥) بافقيه: تاريخ اليمن، ص٨٠-٨١.

(٢٦) يحيى: العرب في العصور القديمة، ص١٤٢-١٤٤.

(٢٧) العظم: مرجع سابق، ص١٠٤.

(٢٨) عبد الكريم، منذر: دراسة في الميثولوجيا العربية، الديانة الوثنية في بلاد جنوب الجزيرة العربية قبل الاسلام، المجلة العربية للعلوم الانسانية، جامعة الكويت، عدد ٣٠/م٨/١٩٨٨، ص١٢٣.

يحيى: العرب في العصور القديمة ص١٢٩.

(٢٩) بافقيه، محمد عبد القادر: دراسات تاريخيه قصيره، حـ٢، مركز الدراسات والبحوث اليمني، ١٩٩٣، ص٥٣.

(٣٠) حول مخطط معبد صرواح، انظر: منذر عبد الكريم: دراسة في الميثولوجيا العربية، ص١٣٠.

(٣١) العظم: مرجع سابق، حـ٢، ص٣٤-٤٨.

فخري، احمد: رحلة اثرية الى اليمن، ترجمة هنري رياض ويوسف محمد عبد الله، مراجعة عبد الحليم نور الدين، وزارة الثقافة والاعلام، اليمن، صنعاء، ١٩٨٨، ص٦٥.

(٣٢) بافقيه: دراسات تاريخيه، حـ٢، ص٦٠.

(٣٣) ياقوت: مرجع سابق (طبعة بيروت ١٩٥٥)، حـ٢، ص٢٧٠.

(٣٤) الواسعي اليماني: مصدر سابق، ص٦٥.

(٣٥) اوليري: مرجع سابق، ص١١٥.

(٣٦) بافقيه: تاريخ اليمن، ص٤٨.

(٣٧) بافقيه: دراسات تاريخيه قصيره، حـ٢، ص٨٨.

(٣٨) سالم: تاريخ العرب، ص١٣١.

(٣٩) العقله: جبل في السهل الصحراوي الممتد أمام مدينة شبوه من الجهة الغربية، ويبعد عنها حوالي ١٥كم، وتنتصب اسفل هذا الجبل مجموعتان من الصخور مغطاه من جميع جهاتها بالنقوش.

(٤٠) العمري: في صفة بلاد اليمن، ص١٦، بافقيه: تاريخ اليمن، ص٧٢.
(٤١) بافقيه: دراسات تاريخية قصير ة، ص١٠٣-١٠٤.
(٤٢) بافقيه: نفسه، ص١٠٧-١٠٨.
(٤٣) بافقيه: نفسه، ص١١٧-١١٨.
(٤٤) الجرو: مرجع سابق، ص١١٩-١٢٠.
(٤٥) يحيى: العرب في العصور القديمة، ص٣٠.
(٤٦) بافقيه: تاريخ اليمن، ص٥٣، الجرو: مرجع سابق، ص١٢١.
(٤٧) فخري، احمد: اليمن ماضيها وحاضرها، القاهرة ١٩٥٧، ص٥٣.
اوليري: مرجع سابق، ص١١٣، زيدان: مرجع سابق، ص١٨١.
(٤٨) علي: مرجع سابق، حـ٣، ص٩، اوليري: مرجع سابق، ص١١٣.
(٤٩) بافقيه: تاريخ اليمن، ص٤١، سالم: تاريخ العرب، ص١٢٧.
عاقل: تاريخ العرب، ص٨٩.
(٥٠) بافقيه: تاريخ اليمن، ص٤٢.
(٥١) يحيى: ا لعرب في العصور القديمة، ص٣٥٦.
(٥٢) الجرو: مرجع سابق، ص١٤٨، بافقيه: تاريخ اليمن، ص٤٤.
(٥٣) عاقل: تاريخ العرب، ص٨٩، سالم: تاريخ العرب، ص١٢٧.
(٥٤) بافقيه: تاريخ اليمن، ص٤٢.
(٥٥) الجرو: مرجع سابق، ص١٤٣.
(٥٦) بافقيه: تاريخ اليمن، ص٤٣.
(٥٧) بافقيه: نفسه ص٤٣-٤٤.
(٥٨) يحيى: العرب في العصور القديمة ص١٣٠، اوليري: مرجع سابق، ص١١٥.
(٥٩) الجرو: مرجع سابق، ص١٥٠.
(٦٠) يحيى: العرب في العصور القديمة، ص١٣٧.
(٦١) العمري: في صفة بلاد اليمن، ص١٥.
(٦٢) بافقيه: تاريخ اليمن، ص٣٠
(٦٣) بافقيه: نفسه، ص٣٠.
(٦٤) الأذواء: مفردها "ذو" و هو لقب قديم حمله زعماء أو أمراء الجماعات الصغيرة في المناطق محدودة المساحة من قيعان واوديه انظر: بافقيه: دراسات تاريخيه قصيره، ص٧٨، زيدان: مرجع سابق، ص١٧٨.

(٦٥) زيدان: مرجع سابق، ص١٧٨-١٧٩.

(٦٦) بافقيه: تاريخ اليمن، ص٣٠.

(٦٧) العمري: في صفة بلاد اليمن، ص١٣-١٤.

(٦٨) الجرو: مرجع سابق، ص١٦٣.

(٦٩) بافقيه: دراسات تاريخيه قصيره، ص١٠٦.

(٧٠) بافقيه: نفسه ص١٠٦.

(٧١) سوسه، احمد: العرب واليهود في التاريخ، ط٤، ١٩٧٥، ص٢١٠-٢١١.

(٧٢) بافقيه: تاريخ اليمن، ص٢٢.

(٧٣) الجرو: مرجع سابق، ص١٦٨.

(٧٤) زيدان: مرجع سابق، ص١٥٥-١٥٦.

(٧٥) عاقل: تاريخ العرب، ص٨٣-٨٤.

(٧٦) انظر على سبيل المثال: عاقل: تاريخ العرب، ص٨٦، عصفور، ص٢٥١ سالم: تاريخ العرب ص١١٩.

(٧٧) عبد الله: اوراق، حـ٢، ص٣٣-٣٥.

(٧٨) هومل: مرجع سابق، ص ٦٢-٦٣، عاقل: تاريخ العرب، ص٥٨. عصفور: مرجع سابق، ص٢٥١.

(٧٩) يحيى: العرب في العصور القديمة، ص٣٥٦.

(٨٠) الغول: غزه في نفوش جنوب الجزيرة، ص٣٦٧.

(٨١) Albright, W.F: The chronology of the Minean king of Arabia, BASOR, 129, 1953, P. 20.

(٨٢) زيدان: مرجع سابق، ص١٥٢.

(٨٣) الجرو: مرجع سابق، ص١٨٠.

(٨٤) الغول: غزه في نفوش جنوب الجزيرة، ص٣٦٨. يحيى: العرب في العصور القديمة، ص٣٦٦.

(٨٥) بافقيه: تاريخ اليمن، ص٣٩.

(٨٦) زيدان: مرجع سابق، ص١٥٢.

(٨٧) يحيى: العرب في العصور القديمة، ص٣٦٦.

(٨٨) الغول: غزه في نفوش جنوب الجزيرة، ص٣٦٨.

(٨٩) بافقيه: تاريخ اليمن، ص٣٥، يحيى: العرب في العصور القديمة، ص٢٥٢.

(٩٠) بافقيه: تاريخ اليمن، ص٣٦، الجرو: مرجع سابق، ص١٨٢.
(٩١) الغول: غزه في نفوش جنوب الجزيره، ص٣٦٩.
(٩٢) زيدان: مرجع سابق، ص١٨٠.
(٩٣) الغول: المرجع السابق، ص٣٩٦.
(٩٤) الجرو: مرجع سابق، ص١٨٤.
(٩٥) الجرو: نفسه ص١٨٥.
(٩٦) بافقيه: تاريخ اليمن، ص٨٧.
(٩٧) اوليري: مرجع سابق، ص١١٨.
(٩٨) الجرو: مرجع سابق، ص٢٠٨-٢٠٩.
(٩٩) Wissmann, H. von: Himyar Ancient History, "Le Museon, 77, 3, 4, 1964, P. 120-125.
(١٠٠) بافقيه: تاريخ اليمن، ص٨٨.
(١٠١) للمزيد، انظر: الجرو: مرجع سابق، ص٢١٥ وما بعدها.
(١٠٢) اوليري: مرجع سابق، ص٩٠.
(١٠٣) يحيي: العرب في العصور القديمة، ص٤٢٦.
(١٠٤) اوليري: مرجع سابق، ص٩٠.
(١٠٥) بافقيه: تاريخ اليمن، ص٨٣.
(١٠٦) اوليري: مرجع سابق، ص٩٠، الجرو: مرجع سابق، ص١٩٧.
(١٠٧) بافقيه: تاريخ اليمن، ص٨٢-٨٣، الجرو: مرجع سابق، ص١٩٩.
(١٠٨) الجرو: مرجع سابق، ص١٩٩
(١٠٩) يحيى: العرب في العصور القديمة، ص٤٢٧.
(١١٠) يحيى: نفسه، ص٢٤٨.
(١١١) الجرو: مرجع سابق، ص٢١١.
(١١٢) بافقيه: دراسات تاريخية قصيرة، ص٦٢-٦٤.
(١١٣) بافقيه: تاريخ اليمن، ص١١٠-١١٢.
(١١٤) سالم: تاريخ العرب، ص١٤٤.
(١١٥) Wissmann: OP. Cit., P. 456-498.
(١١٦) بافقيه: تاريخ اليمن، ص١٤٥.
(١١٧) مأسل الجمح: هو وادي في نجد يبعد مسافة ٥٠كم الى الجنوب الشرقي من

منطقة الدواحي، انظر: العمري: في صفة بلاد اليمن، ص١٨.

(١١٨) العمري: في صفة بلاد اليمن، ص١٨-١٩.

(١١٩) سالم: تاريخ العرب، ص١٤٤، علي: المفصل (طبعة ١٩٧٠) حـ٢، ص٥٣١

(١٢٠) بافقيه: تاريخ اليمن، ص١٤٨-١٥٠.

(١٢١) يحيى: العرب في العصور القديمة، ص٣٩١.

(١٢٢) حتي: مرجع سابق، ص٧، عاقل: تاريخ العرب، ص١٠٢.

(١٢٣) سالم: تاريخ العرب، ص١٤٧.

(١٢٤) بافقيه: تاريخ اليمن، ص١٥٦.

(١٢٥) بافقيه: نفسه، ص١٥٨-١٥٩.

(١٢٦) الجرو: مرجع سابق، ص٢٦٩.

(١٢٧) الجرو: نفسه، ص٢٦٩.

(١٢٨) بافقيه: دراسات تاريخية قصيرة، ص١٦٤-١٦٥.

(١٢٩) حتي: مرجع سابق، ص٩٧، زيدان: مرجع سابق، ص١٧٣.
عاقل: تاريخ العرب، ص١٠٣.

(١٣٠) القرآن الكريم: البروج (٨٥) آيه ٤.

(١٣١) بافقيه: درسات تاريخية قصيرة، ص١٨٤.

(١٣٢) التبابعه: جمع "تُبع" وهم الملوك من بني ذي زيدان الذين استطاعوا بعد توحيد مملكتي سبأ وذي زيدان (سبأ وحمير) في نهاية القرن الثالث الميلادي أن يعملوا على توحيد الممالك اليمنية في دولة واحدة وذلك كخطوه أساسيه وضرورية لمد سلطانهم الى الأراضي في شمال الجزيرة العربية.

(١٣٣) بافقيه: دراسات تاريخية قصيرة، ص١٨٤، الجرو: مرجع سابق، ص٢٩٣.

(١٣٤) ابن هشام، ابو محمد عبد الملك: السيرة النبويه، تحقيق مصطفى السقا وابراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، القاهرة ١٩٣٦-١٩٥٥، حـ١، ص٤٢،
بافقيه: تاريخ اليمن، ص١٦٨.
اليعقوبي: تاريخ (طبعة النجف ١٣٨٥) ص١٦٢.

(١٣٥) هو كالب او الاصبحه في المصادر العربية.

(١٣٦) بافقيه: تاريخ اليمن، ص١٦٨، الجرو: مرجع سابق، ص٢٩٩.
المسعودي: مروج، حـ٢، ص٧٨.

(١٣٧) بافقيه: تاريخ اليمن، ص١٦٨، بافقيه: دراسات تاريخيه قصيره، ص١٦٩.

(١٣٨) نفس مراجع هامش، ١٣٧.

(١٣٩) بافقيه: دراسات تاريخية قصيرة، ص. ٢٠٠-٢٠٢.

(١٤٠) الطبري: مصدر سابق (طبعة بيروت) حـ٢، ص١٢٣.

الازرقي: اخبار مكه، ص٩٢، زيدان: مرجع: مرجع سابق، ص١٧٦-١٧٧.

(١٤١) سمي عانم الفيل نسبة الى فيل كان يتقدم جيش أبرهه، وقيل انه قد تم ارساله الى اليمن من الحبشه، وعام الفيل ينظر اليه على انه عام مولد ال رسول (ص)، وقد ورد في القرآن الكريم ما يشير الى قصة اصحاب الفيل وذلك في سورة الفيل وهي من السور ال مكية، بقوله تعالى: "الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل، الم يجعل كيدهم في تضليل وارسل عليهم طيراً أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف مأكول".

(١٤٢) القليس: سماها العرب بهذا الاسم لارتفاعها وعلو بنائها، وان كان التفسير الأدق لهذه الكلمة هو اشتقاقها من اللفظ اليوناني Ekklesia ومعناه الاجتماع العام او الكنيسة.

(١٤٣) الطبري: مصدر سابق، حـ٢، ص١١٤.

ياقوت: معجم/ مادة قليس.

(١٤٤) ابن هشام: السيرة، حـ١، ص٤٧-٤٩.

عمارة: العرب والتحدي، ص٢٢-٢٣.

(١٤٥) الازرقي: مصدر سابق، حـ١، ص١٤٢-١٤٣.

(١٤٦) عمارة: العرب والتحدي، ص٢٣.

(١٤٧) المسعودي: مروج، حـ١، ص.٨.

(١٤٨) سالم: تاريخ العرب، ص١٧١.

(١٤٩) ابن هشام: السيرة، حـ١، ص٦٥ ويجعل ذلك بحدود ٨٠٠ من المساجين.

ابن قتيبه، ابو محمد عبد الله بن مسلم: المعارف، تحقيق ثروت عكاشه طبعة دار الكتب، القا هرة ١٩٦٠، ص٦٣٨ يجعل ذلك سبعة الاف اضافة الى ٨٠٠ من المساجين، الجرو: مرجع سابق، ص٣١٥.

(١٥٠) بافقيه: تاريخ اليمن، ص١٧٢.

(١٥١) عماره: العرب والتحدي، ص٢٣.

(١٥٢) بافقيه: تاريخ اليمن، ص١٧٢.

(١٥٣) بافقيه: دراسات تاريخيه قصيره، ص٢١١.

الفصل الخامس

الحجاز

الفصل الخامس

الحجاز

١. الحجاز واهميته:

سبق ان اشرنا عند الحديث عن جغرافية جزيرة العرب، ان الحجاز هو المنطقة الحاجزة بين نجد شرقاً وبين البحر الاحمر ومناطق تهامة غرباً، والحجاز بهذا الموقع يقع على الطرق بين جنوب الجزيرة (اليمن) وبين شمال الجزيرة ومحيطها، ولهذا الموقع حظيت الحجاز باهمية قلما فقدتها عبر العصور فهي تحفظ التواصل بين اليمن والشام كما انها تتصل بمصر براً وبحراً[1]، كما ان منطقة الحجاز علاوة على كونها اشبه بجسر يصل بين الشام وحوض المتوسط واليمن والمحيط الهندي محاطة بارض خصبة فلذا كان لابد ان تكون ملتقى للتجارة.

وفي هذه المنطقة كان ولا يزال اول بيت وضع للعبادة «ان اول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدى للعالمين»[2]، وعلى ارضها تلاقت الوثنية واليهودية والنصرانية واخيراً الاسلام، ومما لا شك فيه ان ذلك اثر على طبيعة سكان المنطقة، ونظراً لتلاقي البعدين الديني والاقتصادي في الحجاز كانت محط انظار العديد من القوى التي حاولت ان تسيطر عليه لاهداف اقتصادية في معظمها سياسية دينية في اقلها.

فمنذ عهد الاشوريين وخاصة في عهد اشور بانيبال (٦٦٨-٦٣٣ق.م)

اشارات الى محاولات للسيطرة على مناطق حجازية او قريبة من الحجاز كما حصل فيما يتعلق بدومة الجندل، وكذلك الحال في عهد البابليين حيث قرر نابو نائيد في حوالي ٥٤٩ ق.م التوسع الى واحة تيماء حيث استمر متواجداً فيها لمدة عشر سنوات، وكانت المناطق المستهدفة دادانو (دادن او العلا) فاداكو (فدك) هيبرا (خيبر) ياديهو (يادع بين فدك وخيبر) ياتريبو (يثرب) وكانت يثرب أخر عمق وصلت اليه مطامع ملوك وادي الرافدين[٣]، وفي عهد ملوك فارس، أمثال قورش الثاني ٥٥٧-٥٢٩ق.م نجد إشارات لخضوع زعماء المنطقة الواقعة بين البحر الأدنى (الخليج العربي) والبحر الأعلى (البحر المتوسط) لنفوذ فارس[٤]، واستمرت محاولات السيطرة على الطرق التجارية وعقدتها منطقة الحجاز بين الجنوب (اليمن) وبلاد الشام في عهد الاسكندر المقدوني وخلفائه وخاصة البطالمة في عهد بطليموس فيلادلفوس ٣٠٨-٢٤٦ ق.م للسيطرة على طرق التجارة في البحر الاحمر أو الطرق البرية وضمن ذلك كان عقد اتفاقيات مع اللحيانين في منطقة ددان (العلا) ولهذا استمرت المحاولات بعد ذلك من قبل الرومان سواء بشكل مباشر أو غير مباشر، وقد سبق أن أشرنا لمحاولات الرومان السيطرة على الطرق التجارية في جنوب الجزيرة العربية ضمن حملاتهم المشهورة على اليمن ما قبل الميلاد، واستمرت بعد ذلك في العصر البيزنطي وكان أخرها محاولات التحالف البيزنطي الحبشي والتي هدفت للوصول الى قلب منطقة الحجاز (مكة) ضمن الحملة التي أشرنا إليها حملة ابرهة في عام الفيل. لكن منطقة الحجاز رغم ذلك بقيت بعيدة عن السيطرة الفعلية لأي من هذه القوى وهذا ما زاد من أهميتها التي تعاظمت مع بزوغ فجر الإسلام في هذه المنطقة التي بقيت بعيدة عن سياسة الاحتواء من القوى التي أحاطت بها من كل جانب.

ومنطقة الحجاز كانت تخترقها العديد من الطرق التجارية الطولية والعرضية، منها وأهمها الطريق الطولي الذي يبدأ من أقصى الجنوب (اليمن) من تمنع الى اراضي سبأ ومعين حيث يصل الى منطقة ددان (العلا) الى مدين (مغاور شعيب) ثم إلى أيله فالبتراء حيث يتفرع إلى فرعين أحدهما يذهب إلى تدمر والآخر يسير غرباً

حتى غزة.

وطريق عـرضـي من مكة إلى بلاد الرافـدين وهـو طريق أحـدث من الطريق الطولي وربما كان أقل اهمية، وقد أشير إليه في كتابات بطليموس وقد ذكرت مكة على خريطة باسم مكارابو Makarabu، وطريق عرضـي آخر متفرع من الطريق الطولية شمال يثرب ويسير في إتجاه شمالي شرقي ماراً بعدد من المناطق اهمها تيماء ثم دومة الجندل لينتهي إلى وادي الرافدين(٥)، ولم تكن مناطق الحجاز بعيدة عن استخدام الطرق التجارية البحرية على ساحل البحر الأحمر الى اليمن ومصر(٦)، ان هذه الطرق التجارية التي كانت تمر في مدن الحجاز الرئيسة أو على مقربة منها كانت وراء كون مناطق الحجاز (بالمفهوم الجغرافي الواسع) من مناطق سكنى قبائل عربية قديمة من قبائل العرب البائدة، فالإشارات المتعددة تشير الى سكنى ثمود في هذه المناطق حيث ومارسوا نشاطات اقتصادية مختلفة وتركوا آثاراً تدل على توطنهم ووصولهم الى درجة حضارية تمثلت فيما تركوه من نقوش ومعابد مثل معبد روافه قرب تبوك(٧)، بل إن بعض المؤرخين ربط بين ثمود وقبيلة ثقيف في الطائف إلا أن الأهمية الأكبر للحجاز تظهر في مجالات الحياة المختلفة في الفترات قريبة العهد من فجر الاسلام وتتعاظم في ظل الإسلام ودولته لتكون منطلق هداية الاسلام ودولته لتكون منطلق هداية للعالمين.

٢. جغرافية الحجاز:

يمتد الحجاز من الشمال إلى الجنوب ٧٠٠ ميل طولاً ويمتد عرضه من الشرق الى الغرب ٢٥٠ ميلاً(٨)، وأهم ظاهرة تضاريسية في منطقة الحجاز هي الجبال وهي سلسلة جبلية ترتفع في الجنوب ويقل ارتفاعها كلما اتجهنا شمالاً، وتنحدر من سلسلة الجبال أودية كثيرة منها وادي الحمض الذي يبدأ بالقرب من المدينة ويسيرنحو الشمال والشمال الغربي وينتهي الى البحر الأحمر، ووادي القرى

بين تيماء وخيبر، ووادي وج بالطائف، ووادي بطحان بالمدينة[٩]، كما تنتشر بالحجاز الاحواض الإرسابية والحرات وهي مناطق جيدة للزراعة.

أما مناخ الحجاز فهو بشكل عام قليل الامطار شديد الحرارة إلا أن ذلك يتفاوت من منطقة إلى أخرى، وهو شديد الحرارة الا السروات فان هواءها معتدل[١٠]، ونجد التفاوت في المناخ بين مناطق الحجاز مؤثراً على الزراعات كما يؤثر على طبيعة السكان، ففي حين أن مكة شديدة الحرارة قليلة المياه نادرة المزروعات وهذا ما أشار اليه القرآن الكريم: «ربنا اني اسكنت ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلوة فاجعل افئدة من الناس تهوي اليه، وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون»[١١]، وهذا ما كان يدفع سكانها الى الإحتماء بأكنان الجبال هرباً من شدة الحر، وقد جاء في القرآن ما يشير إلى ذلك «والله جعل لكم مما خلق ظلالاً وجعل لكمَ من الجبال أكناناً وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون»[١٢].

في حين نجد أن الطائف المرتفعة عن سطح البحر بما يقارب ١٤٧١م طيبة الهواء وبعض جبالها يجمد فيه الماء شتاء[١٣] ويشبه مناخ المدينة مناخ مكة من حيث الحرارة والأمطار، وبالعموم فان أمطار الحجاز قليلة وإن كان اكثرها في الطائف كما انها تتسم بعدم الثبات وقد تنعدم في سنوات وتأتي على هيئة سيول جارفة في سنوات أخرى. وقد أثر هذا المناخ على نبات وزراعات مناطق الحجاز واختلافها من منطقة الى اخرى، وهذا ما سنشير اليه لاحقاً.

مدن الحجاز:

حظيت مدن الحجاز باهمية خاصة في تاريخ العرب القديم وازدادت اهميتها بعد الاسلام، ونظراً لهذه الاهمية فقد كتب عن مكة ويثرب الشيء الكثير يستعرض تاريخ هاتين المدينتين حتى فترة الاسلام، وقد جاء جزء غير يسير من هذا التاريخ غير محقق ولا يمكن التحقق منه وخاصة ذلك الجزء المتعلق بتاريخها الموغل في القدم، ولنا ان نستدل من تعدد الاسماء والصفات لمدينة مكة والمدينه أمرين متلازمين في تاريخهما ذلك ان هذا التعدد يعني فيما يعنيه غموض تاريخهما واهميته، وسنحاول فيما يلي استعراض جوانب من تاريخ مدينتي مكه ويثرب.

أ. مكة

١. موقع مكة:

تقع مكة في منتصف الطريق بين اليمن والشام وقد أثر هذا الموقع على مكة وجعلها موثرة ومتأثرة بأحداث وتطورات هاتين المنطقتين، أما من حيث موضع مكة فهي تتوضع في واد منبسط من اودية جبال السراة تحيط بها الجبال من كل جانب فالى الشرق يمتد جبل أبو قبيس وإلى الغرب جبل قعيقعان، وجنوباً جبل ثور ثم جبل حراء[١٤]، هذا الاطار من الجبال الذي يحيط بمكة حدد لها منافذ لإتصالها بالخارج، احد هذه المنافذ يصل مكة بطريق اليمن والثاني يصلها بطريق قريب من البحر الاحمر عند مرفأ جدة والثالث يصلها بالطريق المؤدية الى بلاد الشام. وفي نفس الوقت نجد الجغرافيين المسلمين يقسمون مكة بناء على ذلك الى ثلاثة دوائر:

١- الاولى: وهي مركز المدينة حيث البيت الحرام.

٢- الثانية: ما يحيط بالمركز في إطار خارجي يتمثل في الشعاب والجبال المحيطة بالوادي.

٣- الثالثة: وهي الدائرة الأوسع ما بعد الجبال المحيطة بمكة[١٥]. كما قسمت ايضاً الى قسمين بطحاء مكة وظواهر مكة وسنجد ذلك ينعكس على تقسيم اهم سكان مكة وهم قريش.

أما مناخ مكة فهو حار وقليل الأمطار ولذلك وصفت بانها واد غير ذي زرع، ورغم قلة امطارها إلا أنها تشكل في بعض المواسم خطراً من السيول التي تنتج عنها، ولدينا إشارات من التاريخ القديم لمكة على حدوث سيول مدمرة حيث يشار الى سيل منذ زمن الجراهمة وآخر في عهد خزاعة وكان لهما تأثير على البيت الحرام[١٦]، ونظراً لطبيعة موقع ومناخ مكة الذي لا يشجع على قيام اقتصاد زراعي كانت مكة قد

استفادت من جوانب اقتصادية أخرى، فقد عوضها موقعها على طريق التجارة عن قلة الانتاجية وزاد من اهميتها انها من القدم كانت مركزاً للعبادة وهذا ما جعلها منطقة استقرار على الرغم مما يبدو ظاهرياً في موقعها وطبيعتها.

ونجد ان سكان مكة ومنذ القدم عالجوا مشكلة نقص المياه في مكة عن طرق عدة من اشهرها حفر الآبار لاهمية الماء في هذا الموقع لأغراض متعددة وخاصة سقيا الحجيج الذي يتوافد إلى مكة، ولا أدل على ذلك من استعراض ما ورد في أخبار مكة للأزرقي أو شفاء الغرام للفاسي، حيث يذكران العديد من الآبار التي تم حفرها في مكة ومنها بئر العجول، بئر طوى، بئر سجلة، بئر خم، رم، السنبلة وغيرها[١٧]، بل إن أمر اهمية الماء في مكة تعود بها الروايات الى ابراهيم عليه السلام وقدومه مكة مع زوجته هاجر وإبنها اسماعيل ونفاذ الماء معهما وتعرض حياتهما للخطر حتى من الله عليهما، وأرسل جبريل عليه السلام وكان من جراء ذلك تفجر ماء زمزم والذي أنقذ حياتهما وكان سبباً لقدوم أقوام استوطنوا مكة بعد ذلك[١٨]، بل وسنجد اثر الماء واهميته في تسميات مكة وطبيعة الحياة وتنظيماتها في المدينة عبر العصور.

٢. تاريخ مكة القديم وسكانها:

اكتنف الغموض تاريخ مكة القديم وظهر ذلك من خلال الاختلاف في ترتيب الأقوام التي سكنت مكة، وان كان الراجح ان العمالقة هم اقدم من استوطنها، ثم بني جرهم وكانوا معاصرين لمقدم إبراهيم عليه السلام مع زوجته هاجر في حدود القرن التاسع عشر ق.م، وفي هذه الفترة دون تحديد تم بناء الكعبة -او إعادة البناء- «واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل» واستمرت جرهم تلي أمور البيت إلى أن زاد طغيانها وخلفتها في تولي أمور مكة قبيلة أخرى جاءت من اليمن واستوطنت في بداية الامر في ظاهرمكة إلى ان اصبحت لها الغلبة على جرهم في الداخل، وقد تولى ذلك

عمرو بن لحي الذي نازع جرهم امر الكعبة واستطاع طردهم عن مكة وتولى هو حجابة البيت بعدهم، ثم كان هو أول من غير دين ابراهيم عليه السلام حيث يقال أنه احضر من البلقاء في الشام أصناماً نصبها حول الكعبة[١٩] وحول سيطرة خزاعة على مقاليد الامور في مكة ورغم ان المصادر لا تشير بوضوح إلى طبيعة الصراع وأسبابه إلا أنه من المعقول ان هذه الفترة قد بدأت تشهد تحالفات من القوى التي تسكن في ظواهر مكة سواء أكانت خزاعة وكنانة ضد بني جرهم ولا يستبعد أن يكون وراء ذلك أسباب اقتصادية متعلقة بتجارة مكة، واستمرت خزاعة في ولاية أمور مكة ونظمت بعض امورها من سقاية ورفادة. وتجعل بعض المصادر هذه السيطرة مستمرة لحوالي خمسة قرون[٢٠]، واذا أخذنا بذلك فمعنى ذلك ان سيطرة خزاعة كانت من القرن الاول للميلاد وهي الفترة التي ازدهرت فيها تجارة مكة[٢١]، وهذا يقودنا لمناقشة قدوم خزاعة إلى مكة والتي تجعله المصادر نتيجة لسيل العرم[٢٢]، ومعروف الآن من الدراسات المتعلقة بتاريخ اليمن ان هذه الفترة الزمنية التي تفترضها المصادر لسيل العرم المسبب لنزوح خزاعة لم تشهد دماراً او خراباً في سد مأرب يؤدي الى نزوح جماعي[٢٣] وفي ضوء عدم الوضوح هذا، فلنا ان نقول- افتراضاً - ان هجرة خزاعة ربما كانت ضمن ماكان يعرف من تواجد جماعات من اليمن على المحطات التجارية من اليمن جنوباً الى شمال الجزيرة العربية وكان ذلك في ايام السبئيين والمعينيين وكذلك الحميريين، وأن هذه القبيلة خزاعة كانت من ضمن هذه الجاليات التجارية والتي قد تكون أصبحت ذات قوة أتاحت لها السيطرة على أهم مركز للتجارة في وسط الجزيرة العربية، ان هذا يبقى مجرد افتراض لا تدعمه المصادر المتوافرة بين ايدينا كما انها لا تنفيه.

واستمرت خزاعة تلي أمور مكة في حين كان لمضر حق الاجازة بالناس من عرفه والافاضة بهم غداة النحر الى منى، ومعنى ذلك ان امور مكة كانت مشتركة بين خزاعة ومضر كنانة وهذا ما قاد بعد ذلك الى نزاع بينهما أدى في نهاية المطاف الى سيطرة مضر - وخاصة قريش من فروعها حيث تولت أمور مكة، ليبدأ بعد ذلك تاريخ

اكثر وضوحاً.

وقبل ان ننتقل الى سيطرة قريش على مكة، سنستعرض بايجاز ما قيل عن تسميات مكة، لما لذلك من أهمية تربطنا بتاريخ مكة القديم إلى عصرها الاسلامي.

٣. اسماء مكة ودلالاتها:

وردت لمكة كما سبق أن أشرنا العديد من الأسماء والصفات وهي من دلالات غموض تاريخها وأهميته في آن واحد، ومن هذه الاسماء والصفات ما يلي:

١- في القرآن الكريم: ورد لمكة في القرآن تسميات منها:

أ- مكة: قال تعالى: «هو الذي كف ايديهم عنكم وايديكم عنهم ببطن مكة»[٢٤].

وحول اشتقاق مكة: احتمالات منها، من شدة الازدحام، او من جذبها للناس إليها، أو من الخوف، او لجهد اهلها، او لقلة الماء بها[٢٥].

ب- بكة: في قوله تعالى: «أن أول بيت وضع للناس الذي ببكة فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان أمناً ومن كفر فإن الله غني عن العالمين»[٢٦].

وحول تفسير هذه التسمية، اجتهادات منها، لازدحام الناس فيها أو أنها تبك أعناق الجبابرة أي تدقها.

جـ- البلد، والبلد الأمين: في قوله تعالى: «والتين والزيتون وطور سينين، وهذا البلد الامين»[٢٧]، وقوله تعالى: «لا اقسم بهذا البلد وانت حل بهذا البلد»[٢٨].

د- القرية: في قوله تعالى: «وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة ياتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بانعم الله فاذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون»[٢٩].

هـ- أم القرى: في قوله تعالى: «وهذا الكتاب انزلناه مبارك مصدق الذي بين يديه

ولتنذر أم القرى ومن حولها والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به وهم على صلاتهم يحافظون»[٣٠]

ومن التسميات الاخرى: بره، بساسه، صلاح، النشاشة، الحرم، المسجد الحرام، كوسا (كوثا)، وعند التجار كانت تسمى عروق الذهب، واهل بغداد يسمونها مربية الأيتام[٣١].

ومن هذه الاسماء والصفات ما يشير الى قدمها وتقدمها وتوافر صفات قلما توجد في غيرها فهي بلد الامان، وهي البلد التي ياتهيا رزقها من كل مكان، بل وهي أم القرى لتميزها عن غيرها.

ومن تسمياتها عند اليونان، نجد الإشارة اليها على خريطة بطليموس (١٢١ و ١٥١م) باسم مكارابو وهذا الاسم له مسحه اكدية (بابلية وأشورية) وهو اسم يدل بحسب راي الدكتور لطفي عبد الوهاب على اهمية الاتصال القوي بين مكة ووادي الرافدين عن طريق القوافل التجارية بحيث اصبح الشكل الأكدي لاسم مكة هو الشكل السائد الذي تعرف به عند الشعوب الاخرى[٣٢].

كما ان هذه التسمية ترتبط عند البعض بكلمة مكرب عند عرب الجنوب وهو الاسم الذي اخذ عندهم مسحة دينية حيث كان يشير الى قدسية الحاكم او جمعه بين الكهانة والسياسة. ويرى الدكتور السيد عبد العزيز سالم انه لا يستبعد ان يكون اسمها قديماً مكرب ثم اصبح بعد ذلك مكة[٣٣].

٤. مكة في عهد قريش:

كانت قريش تسكن مكة وشعابها، ويبدو ان قريش كانت تقسم إلى أقسام بحسب مناطق سكناها في مكة وحولها وما يعنيه ذلك من إستقرار أو شبه استقرار، ولذا فان الدراسات تشير إلى أن قريش كانت تضم ثلاث مجموعات هي:

قريش البطاح: وهي التي تسكن في داخل مكة وبجوار الكعبة.

قريش الظواهر: سكنت خارج مكة وفي شعابها.

قريش الضواحي: وهي التي سكنت خارج نطاق قريش الظواهر.

وهي بذلك الأبعد عن مكة او هم الأبعد من مرحلة عن مكة[٣٤]. ومما هو واضح ان اكثر هذه الاقسام استقراراً وتحضراً هي قريش البطاح، وهي التي تولت امور مكة.

ومع قريش وشهرتها يبدأ تاريخ مكة بالوضوح وبالأخص منذ عهد قصي بن كلاب الذي كان من أعماله تجميع قريش وجعلها قوة تمكنت من التغلب على خزاعة وذلك في حدود سنة ٤٥٠م. والى جانب أقسام قريش ذكرت مجموعات قبلية اخرى ارتبطت مصالحها بقريش وهؤلاء اطلق عليهم الأحلاف أو الأحابيش. وذلك نسبة لتحالفهم مع قريش في واد بأسفل مكة يسمى الاحبش[٣٥].

وقد أظهرت قريش في عهد قصي وخلفائه من بعده مقدرة على تنظيم امور مكة على الصعيدين الداخلي والخارجي فاوجدت انماطاً من التنظيم تكفل الحفاظ على الوحدة الداخلية لقريش من جهة ولسكان مكة من جهة اخرى، كما تهدف الى جعل مكة مكاناً مزدهراً آمناً كونه ملتقى جميع القبائل العربية، ويمكن ان نجعل التنظيمات في مكة تندرج ضمن مجموعتين رئيسيتين.

١- مجموعة وظائف متعلقة بالكعبة.

٢- مجموعة وظائف وانظمة تحدد كيفية ادارة الشؤون العامة في مكة وكيفية الحكم فيها.

وهذا التنظيم يشير إلى أن قريش في عهد قصي رات ان تتبع اسلوباً يساير طبيعة حياة الاستقرار ويضمن لقريش وحدتها في المجتمع المكي، ولذلك نرى ان هذه الوظائف كانت متعددة قصد منها إرضاء بطون قريش كافة، وعلى صعيد آخر والذي

يعتبر قفزة في تطور النظام السياسي في مكة هو إنشاء قصي لما يسمى «بالملأ» وهو في طبيعة تشكيله اشبه بمجلس مركزي للقبيلة، والملأ كان بمثابة الادارة الحكومية الوحيدة في مكة وهو يضم في عضويته زعماء البطون والعشائر الا انه لا يدين بالولاء لزعيم يتفرد برأيه كما انه لا يعتمد قانوناً مكتوباً، وقراراته لا تكون نافذة الا بالاجماع وحافظ المشاركون في الملأ على حقهم في عدم الموافقة على ما يتخذ فيه من قرارات، كما أن الأفراد، أو العشائر والبطون كانت تتمتع بحق الخروج على قرارات الملأ اذا رات في ذلك مصلحة لها[٣٦]. وكان الملأ يجتمع في الدار التي ابتناها قصي وفيها تتم مناقشة جميع الامور المتعلقة بالمجتمع المكي من تجارة وحرب وعقد معاهدات او اتفاقيات.

٥. اهم الوظائف في مكة

ومن الوظائف الهامة في مكة والتي ترتبط بطبيعة مكة وكونها ملتقى للحجيج.

الحجابة: وتعني ملكية مفاتيح الكعبة ومن يتولاها يكون مسؤولاً عن تنظيم الشعائر الدينية ومواقيتها. وكانت لقصي ثم آلت الى ابنه عبد الدار.

الرفادة: وقيل ان اول من استنها ابراهيم عليه السلام، ونسبت الى عمرو بن لحي، وفي عهد قصي كانت تعني مسؤولية جماعية بان تتولى بطون قريش دفع مبالغ مالية لقصي ليؤمن بدورة الطعام للحجاج غير المقتدرين ايام الحج، وبعد قصي تولاها ابنه عبد الدار، ثم أصبحت هي والسقاية الى هاشم بن عبد مناف بعد ان تنازل عنها اخوه عبد شمس بن عبد مناف، ومن هاشم انتقلت الى المطلب بن عبد مناف ثم لعبد المطلب ثم لابي طالب حتى مجيئ الاسلام.

السقاية: وهي من الوظائف التي تزداد اهميتها في مكة وتشتمل على جلب المياه الى أحواض خاصة حول الكعبة لسقايةالحجيج، كما انها تعني ان يقوم متوليها بالعمل على حفر آبار تؤمن الماء، وقد أشرنا الى آبار مكة سابقاً. كما انها تعني ان

يعمل متولي أمر السقاية على جعل الماء مستساغاً حيث كان يمزج الماء بالزبيب الذي كان يؤتى به من الطائف، وقد جاء الإسلام والسقاية في يد العباس بن عبد المطلب.

اللواء: وهو الراية او العلم الذي يحمل في المعارك ويعتبر رمزاً لا يجوز التخلي عنه ولا بد من الدفاع عنه واي تقصير في هذه المهمة كان يلحق بمتوليها العار الذي لا يقبل في مجتمع مكة خاصة، والمجتمعات العربية آنذاك بشكل عام.

وهناك وظائف اخرى لا تتطلب نفقات او مجهودات كالسابقة منها:

النسيء: ومهمتها تحديد الأشهر الحرم (ذو القعدة، ذو الحجة، محرم، صفر) وكان ذلك هاماً على الصعيد الديني والاقتصادي.

الاجازة: وهي التي ترتبط بشعائر الحج ومن يتولاها يكون مسؤولاً عن امر اجازة الناس للحج من عرفة ورمي الحجارة والنفر من منى.

ان هذه التنظيمات ودقتها كانت كفيلة بجعل المجتمع المكي يعيش حياة مستقرة ولكن هذا الأمر لم يستمر إذ تنازعت العشائر والبطون على هذه الوظائف وذلك بعد وفاة قصي بن كلاب، حيث تنازع بنو عبد مناف مع بني عبد الدار وكل منهم يطمع في أن تكون الوظائف الهامة التي كان يتولاها قصي بيده، وظهر في قريش هذين الفريقين وانضم لكل فريق عدد من البطون والعشائر.

١- بنو عبد مناف، وزعيمهم عبد شمس، ويساندهم بنو اسد وزهرة وتيم والحارث بن فهر.

٢- بنو عبد الدار: يساندهم بني مخزوم بن يقظة، وسهم بن عمرو، وبنو جمح بن عمرو وبنو عدي بن كعب.

والى جانب هذين وجد فريق محايد وضم بنو عامر بن لؤي وبنو محارب بن مضر.

هذا الانقسام بين بطون قريش والتي بلغ عددها ١٢ بطناً، أدى إلى وجود صيغ تضامنية بين بطون كل فريق، عرفت بالأحلاف منها حلف المطيبين (بنو عبد

مناف واحلافهم)، وحلف لعقة الدم، وان كانت هذه الاحلاف تخص الصراع والتضامن بين كل فريق على حدة، إلا ان الفريقين لم يغفلا عن اهمية أن يسود مكة جو من الإستقرار والأمان لكل القادمين ألى مكة في تجاراتهم او حجهم أو لأي سبب مشروع، وهذا ما تطور وقاد الى التلاقي بين مجموعات من الفريقين (المطيبين ولعقة الدم) الى تكوين حلف الفضول[٣٧] الذي يضمن امن مكة ويمنع التعدي على حرمتها وكان ذلك بحدود سنة ٥٨٠م[٣٨].

وقد عملت قريش على تدعيم نفوذها في مكة بتنظيم شبكة علاقات مع محيط مكة مع القبائل البدوية وكذلك مع حواضر الحجاز كما هو الحال في علاقاتها مع الطائف والمدينة، وحازت على إحترام القبائل العربية ومناطق الإستقرار، وساعدها موقعها على طرق التجارة ووجود البيت على مزيد من الغنى والإحترام، وساعدتها الظروف التي مرت بها مناطق جنوب الجزيرة العربية ورغم ان لهذا الكثير من الايجابيات الا انه رتب عليها منافسة وأطماعاً خارجية كان آخرها قبل الاسلام ما اشرنا اليه سابقاً والمتمثل في حملة ابرهة عام ٥٧٠م، والتي وجدنا صداها في ترحيب قريش بالثورة التي قامت في اليمن ضد الاحباش.

وأصبحت مكة منذ القرن السادس للميلاد مسيطرة على معظم الطرق التجارية ودعم ذلك بشبكة اتصالات وعلاقات دولية، وظهر ذلك من خلال «الايلاف» والذي يعزى الجهد المميز فيه الى هاشم بن عبد مناف الذي يرتبط اسمه برحلتي الشتاء والصيف ويأخذه الايلاف (العهد) من بلاد الشام والقوى المسيطرة فيها سواء أكان ذلك الروم أو القبائل العربية، وكذلك كان الدور لاخوانه عبد شمس الذي نظم امور التجارة المكية مع الحبشة، والمطلب بن عبد مناف نظم أمور التجارة المكية مع اليمن، ونوفل بن عبد مناف الذي نظم أمور التجارة مع العراق[٣٩]، وساعد مكة ايضاً قربها من أسواق العرب المشهورة قبل الاسلام مثل سوق عكاظ، سوق مجنة وسوق حباشة وسوق ذي المجاز[٤٠].

ب. يثرب (المدينة):

هي المدينة الثانية من مدن الحجاز في عصر ما قبل الاسلام، وزادت اهمية هذه المدينة مع البدايات الاولى للدعوة الاسلامية وتعاظمت بالهجرة النبوية اليها، ولكونها أول مدينة تشهد قيام دولة الإسلام، وقد حظيت هذه المدينة بالعديد من الدراسات حولها، ولكن تاريخها القديم على الرغم من ذلك -شأنها شأن الكثير من مواقع الاستقرار في الجزيرة العربية- بقي في جوانب عديدة يكتنفه الغموض، وتاريخ هذه المدينة المعروف لا يتعدى القرون الميلادية الاولى.

١. الموقع:

تقع الى الشمال من مكة بحوالي ٣٠٠ ميل، وهي متوضعة في منبسط من الارض، تحيط بها لابتين هما حرة واقم[٤١] شرقاً وفي نفس الاتجاه يقع بقيع الغرقد، وحرة الويرة غرباً، ويحدها شمالاً جبل أحد، وفي جنوبها قرية قباء وجبل عير، وفي الاتجاه الجنوبي من المدينة توجد حرة شوران[٤٢].

والمدينة بهذا واقعة على أطراف هضبة نجد، وتقع على طرق التجارة من اليمن إلى الشام كما أنها مائلة إلى البحر مما يسر الوصول اليها براً وبحراً، كما أنها تقع في إقليم أكثر أجزائه ذات إنتاجية زراعية مثل خيبر والعقيق، ويثرب بذاتها تنحدر إليها أودية كثيرة كما أنها غنية بمياهها الجوفية، ومن أوديتها المشهورة وادي بطحان الذي يجري من الجنوب الشرقي الى الشمال الغربي حتى يجتمع في وادي العقيق، ووادي الصفراء ووادي ساية[٤٣].

إن طبيعة هذا الموقع جعل من المدينة منطقة زراعية بالدرجة الأولى ولذلك

كانت عند ظهور الإسلام تتشكل من مجموعات سكنية وعمرانية كل منها اشبه بالقرية وأشهرها قباء، زهرة، يثرب، تباله[٤٤] وذلك لتعدد المناطق الزراعية في هذا الموقع مما كان يؤثر على انتقال السكان الى هذه المواقع الزراعية ومع الزمن اصبحت اشبه بقرى تتمحور حول النواة وهو موقع يثرب الأساسي. وهكذا نجد ان طبيعة وموقع يثرب يختلف عن مكة مما سنلاحظ أنه سيؤثر على إختلاف أنماط الحياة وتنظيم المجتمع عما كان عليه الحال في مكة، ورغم إيجابيات موقع المدينة وطبيعتها إلا أنها كانت قاسية وهذا هو الرسول الكريم يحض على الصبر على لاوائها (شدتها).

٢. اسماء يثرب ودلالاتها:

إسمها القديم والذي اشتهرت به الى عهد الإسلام هو يثرب، وقد ورد عند بطليموس في خارطته الجغرافية باسم «ياثريبو»[٤٥]، وهناك إشارات إلى أن هذا الإسم كان معروفاً عند عرب جنوب الجزيرة العربية منذ أيام السبئيين والمعينيين[٤٦]، ومما لا شك فيه ان سكان جنوب الجزيرة كانوا على معرفة بهذه المنطقة وجوارها لأنها واقعة على طريق تجارتهم إلى بلاد الشام، كما أن دول الجنوب أقامت لها جاليات تجارية على هذه الطرق. أما حول إشتقاق هذا الإسم فالبعض يرجع سبب التسمية الى اسم يثرب بين قاين بن مهلائيل بن ارم من ذرية سام بن نوح[٤٧]، وفي حين ذكر البلاذري انها سميت يثرب نسبة الى زعيم العماليق الذين سكنوها بعد ان اخرجوا منها بني عبيل من ذرية نوح عليه السلام[٤٨]، وأيا كان سبب التسمية وإشتقاقه فان هذا الموقع كان يسمى يثرب وقد جاء ذكر ذلك في القرآن الكريم في موضعين، مرة باسم يثرب ومرة اخرى باسم المدينة.

قال تعالى: «واذا قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا ويستئذن فريق منهم النبي، يقولون إن بيوتنا عورة وما هي بعورة إن يريدون الا فرارا»[٤٩]، وفي قوله تعالى: «يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل

ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون»(٥٠) وهنا دلالة على تحول الاسم من يثرب إلى المدينة»(٥١)، وهذا ايضاً ما أشار اليه الرسول الكريم حين قال: أمرت بقرية تأكل القرى يسمونها يثرب وهي المدينة، وذلك ان الرسول عليه السلام كره ان تسمى بيثرب على أساس اشتقاق الكلمة من التثريب اي المؤاخذة بالذنب أو من الثرب ومعناه الفساد(٥٢).

كما عرفت يثرب (المدينة) بأسماء وصفات تدل على غناها وحب المسلمين لها، ولذا نجد أن المصادر الإسلامية تذكر لها ٢٩ اسماً عند ياقوت الحموي والسمهوري يذكر ٩٤ اسماً(٥٣) ومن جملة هذه الأسماء والتي لها دلالات على اقتصاديات يثرب وخاصة الزراعة، (ذات النخل) حيث وصفت بكثرة نخيلها.

وجاء في الحديث النبوي: «أريت دار هجرتي ذات نخل وحرة»(٥٤) ومن اسمائها «المحبورة» من الحبر وهو السرور أو من الحبرة بمعنى النعمة والمحبارة من الأرض السريعة الإنبات كثيرة الخيرات، كما سميت (المرزوقة) أو المرزوق أهلها، وسميت (الهذراء) لكثرة مياهها ذلك لان السيول كانت تفيض من الحرار الشرقية والجنوبية وتتجه صوب الغرب حتى تنتهي الى وادي اضم (الحمض)(٥٥)، ولكن الاسماء التي اشتهرت وبقيت الى يومنا هذا هي المدينة، المدينة المنورة، مدينة رسول الله، وهي الأسماء التي عرفت بها بعد هجرة الرسول اليها من مكة وبعد أن أصبحت مركز الدولة الإسلامية الأول.

٣. سكان يثرب:

تشير الروايات على أن سكانها القدماء في زمن غير معروف هم بنو عبيل بن عوص بن ارم بن سام من ولد نوح(٥٦) ثم جاء بعد ذلك واستوطنها واول من عمل بالزراعة فيها هم العماليق وذلك في حوالي القرن السادس عشر قبل الميلاد(٥٧)، ثم استوطنتها مجموعات من العرب مثل بني الحرمان وأصلهم من اليمن وبني مرثد

وبني نيف من بلي وبني معاوية من بني سليم ومجموعات من غسان[٥٨]، ثم جاءتها جماعات من اليهود واستوطنت فيها وتختلف الروايات حول هؤلاء اليهود فالبعض يرجعهم إلى أيام موسى عليه السلام وبعد انتصاره على فرعون ارسل جماعات من اليهود إلى هذه المنطقة ليهودوا العماليق أو يقتلوهم[٥٩]، وهذه الرواية لا يوجد دليل على صحتها. وقد أرجع الدارسون تواجد اليهود في مناطق يثرب الى القرن الاول للميلاد وذلك اما بحدود سنة ٧٠م بعد ان تعرض اليهود للملاحقة والقتل على يد الرومان وتدميرهم للهيكل أو أن ذلك جاء بحدود سنة ١٣٢م بعد ان تم طرد اليهود من بلاد الشام على يد هادريان، وفي كلا الحالين جاء اليهود الى منطقة الحجاز هاربين من ظلم الرومان باحثين عن ملجأ يحميهم من متابعة الرومان لهم وكان هذا الملجأ هو بلاد الحجاز فنزلوا في تيماء ويثرب وغيرها[٦٠].

ولا نميل الى الاخذ بالرأي القائل بان اليهود في المدينة كانوا أقدم من العرب حسب قول الدكتو احمد الشريف، ولكن ما يمكن الموافقة عليه هو أن اليهود في هذه الفترة ونظراً لنشاطات اقتصادية قاموابها في المدينة كانت لهم الغلبة الاقتصادية والتي لا ترتبط بالغلبة العددية أو بالأقدمية في السكن، ولا يعقل ان تبقى منطقة مثل يثرب بموقعها وخصائصها الطبيعة وموقعها على الطرق التجارية منطقة غير مأهولة، ومن المقبول ايضاً القول بان الجماعات اليهودية التي جاءت الى يثرب هي أقدم من بعض الجماعات العربية الأخرى التي جاءت مهاجرة اليها في قرون لاحقة.

وبعد ذلك جاء الى يثرب مجموعات من عرب جنوب الجزيرة العربية وهم جماعات الأوس والخزرج وهم فروع قبيلة أزد، وحول هذه الهجرات وزمانها واسبابها العديد من الآراء، منها ما يجعل هذه الهجرة في بدايات القرن الثاني للميلاد (حوالي ١٢٠م) ومنها ما يجعل ذلك في القرن الثالث الميلادي، ويجعلون السبب في هذه الهجرة -التي قادت الأوس والخزرج إلى المدينة والغساسنة إلى الشام واللخميين إلى مناطق وادي الرافدين -هو ما تعرضت له جنوب الجزيرة من حادثة سيل العرم وتهدم سد مأرب[٦١] وحول ربط قضية هجرة الاوس والخزرج (عامي ١٢٠م او ٣٠٠م)

وربطها بتهدم سد مأرب كان هذا الربط بحاجة الى مناقشة ذلك ان المعلومات الآثارية والنقوش من جنوب الجزيرة العربية لا تشير الى حوادث تهدم للسد في هذه الفترة، مع العلم بان السد تعرض لخراب جزئي اكثر من مرة مما استدعى اجراء عمليات ترميم له كان أولها ما كان في منتصف القرن الرابع للميلاد وذلك في عهد الملكين ثأران يهنعم وابنه ملكي كرب يهأمن، ثم ترميم اخر في حدود سنة ٤٤٩م و ٤٥٠م وترميم آخر في عهد ابرهة الحبشي، وانهدام سد مأرب سنة ٥٧٥م[٦٢]، وعليه فان احتمال هجرة الأوس والخزرج في مطلع القرن الثاني للميلاد امر يحتاج الى دليل غير موجود، وبذا فنحن نرجح ان هجرة هذه القبائل تمت في مطلع القرن الرابع للميلاد وربما طوفت في مناطق متعددة حتى قر القرار ببعضها في يثرب وكان منهم الأوس والخزرج. وهذا يفسر الى حد كبير هو ان يثرب كانت بيد اليهود ولهم اليد العليا في جميع امور الحياة فيها اذ كان قد مضى عليهم قرون فيها.

٤. مجتمع يثرب قبل الاسلام:

لاحظنا ان سكان يثرب يتشكلون من مجموعتين رئيسيتين هما اليهود والعرب، وكل مجموعة منها تتكون من عناصر مختلفة من حيث قدمها في يثرب.

فاليهود قسم قديم كان موجوداً قبل هجرة اليهود الفارين من ظلم الرومان، والقسم الثاني هو المعروف بشكل اكثر وضوحاً هي قبائل بنو قريظة وبنو النضير وبنو قينقاع. وهناك جماعات يهودية اخرى مثل بنو زعورا، بنو ثعلبة، اهل زبالة، واهل يثرب، بنو فاعصة[٦٣].

والعرب هم جماعات موجودة قبل هجرة الأوس والخزرج، مثل مجموعات من بلي ومن سليم بن منصور بن عكرمة من قيس عيلان[٦٤]، ثم جاءت الأوس والخزرج، وكانت الأوس تتشكل من خمسة بطون هي: عوف بن مالك، عمرو بن مالك، مرة بن مالك، وجشم بن مالك، وامرؤ القيس بن مالك، ثم تفرعت عنها عشائر عديدة.

وكذلك كان الخزرج خمسة بطون هي: عمرو بن الخزرج، عوف بن الخزرج، وجشم بن الخزرج، وكعب بن الخزرج، والحارث بن الخزرج، ثم تفرعت منها عشائر اخرى صغيرة[٦٥].

وعندما جاءت الأوس والخزرج الى يثرب كانت الجماعات اليهودية هي المسيطرة اقتصادياً اضافة الى سيطرتها العددية، في حين ان القادمين الجدد لا يملكون من عناصر القوة شيء اللهم ما يمتلكونه من خبرات زراعية ومعرفة هامة بالأمور التجارية، وفي هذا المجال تم استغلالهم من قبل اليهود في الكثير من الأعمال لصالحهم ووصل الأمر بين الطرفين إلى حد التحالف لضمان مصالح كل طرف، ولكن هذا الامر لم يستمر لعدد من الامور منها:

١- ان وضع الأوس والخزرج قد تحسن مع مرور الأيام وازدادت اعدادهم وبذلك لم يعد من المقبول الاستمرار في وضع التبعية لليهود.

٢- خوف اليهود من إزدياد نفوذ الاوس والخزرج كان دافعاً لممارسة اعمال هي من طبيعتهم وهي الغدر وإلغاء التحالف الذي كان قائماً.

٣- ما أشارت اليه المصادر من تسلط اليهود وظلمهم واعتداءاتهم كما يشير ياقوت الحموي -حيث كان زعيم اليهود القيطوان (الفطيون) يعتدي على أعراض الأوس والخزرج.

هذه الامور دفعت الأوس والخزرج ليعملا معاً للتخلص من السيطرة اليهودية وفي سبيل ذلك لجأ عرب يثرب إلى البحث عن حلفاء لهم وكان توجههم الى ابناء عمومتهم في بلاد الشام وهم الغساسنة والذين انجدوهم بقوة عسكرية استطاعت ان تجعل السيطرة في يثرب للأوس والخزرج على حساب اليهود وذلك بحدود سنة ٤٩٢م[٦٦].

ومع سيطرة العرب (الأوس والخزرج) على يثرب، إلا أن مجتمع هذه المدينة شهد نوعاً من عدم الاستقرار كان من اسبابه التنافس بين العنصرين السكانيين

(اليهود والعرب) ثم الصراع البيني بين عناصر كل طرف لاسباب تتعلق بالزعامة او المنافع الاقتصادية. ومما لا شك فيه ان اليهود كانوا أحد الأسباب الرئيسة لعدم الاستقرار فهم بطبيعتهم عدوانيين وانعزاليين وتسيطر عليهم عقدة الشك وعدم الأمان لمحيطهم وربما فسر ذلك كثرة الأطام والحصون التي ابتنوها في يثرب وحولها، فقد ذكر ان لهم ٥٩ اطماً (حصناً)[٦٧]. ثم ما كان من اليهود من التحالفات ونقض التحالفات مع كل من الاوس والخزرج بهدف اثارة الفتنة بين الطرفين وقد نجحوا في ذلك في مناسبات عديدة.

واذا نظرنا الى مساكن الاوس والخزرج والقبائل اليهودية وتداخلها ربما قادنا ذلك الى معرفة سبب آخر للصراع داخل مجتمع يثرب فقد سكنت قبائل الأوس في المنطقة الجنوبية والشرقية من يثرب وهي ما عرفت بمنطقة العوالي (العالية) وكان يجاورهم في هذه المساكن قبائل يهودية هامة هي بني قريظة وبني النظير، وهذه المناطق هي الأكثر خصباً في منطقة يثرب. في حين كانت مساكن الخزرج المنطقة الوسطى والشمالية وهي ما عرفت (سافلة يثرب) او المنطقة السفلى وهي المنطقة الأقل خصباً وثراءً وراءهم تأتي حرة وبره، وكان يجاورهم في هذه المنطقة من اليهود بني قينقاع[٦٨].

وبذا فقد اتخذ الصراع الى جانب ابعاده الخاصة بالنزعة القبلية والرغبة بالسيطرة ابعاداً ذات مسحة اقتصادية، وهذا الصراع الذي استمر لفترات طويلة كان اليهود طرفاً فيه، وقد استمر الصراع بين الأوس والخزرج على زعامة يثرب لاكثر من سبعين عاماً كان أولها ما عرف «بحرب سمير» ويوم الفجار الأول والثاني وآخرها يوم بعاث قبل الهجرة النبوية بخمس سنوات، وكانت معظم الأيام في هذه الحروب القبلية لصالح الخزرج، وفي يوم بعاث كان النصر للاوس وحلفائهم اليهود على الخزرج وبني قريظة[٦٩]، ولقد استقرت الأمور في يثرب بعد هذه الواقعة اذ لجأ الأوس والخزرج الى وضع حد لهذا الصراع لما ألحقه من خسائر مادية وبشرية وحتى لا يكون استمرار الحرب في صالح اليهود وعودة نفوذهم وتسلطهم على

مقاديرالأمور، وتشير المصادر على أن طرفي معادلة الصراع اتفقا على ايجاد تنظيم سياسي في المدينة يشابه ما كان في مكة الى حد ما بحيث يعهدون بالزعامة لشخصية يرتضونها وكان الاتجاه الى شخصية خزرجية متمثلة في شخص عبدالله بن ابي سلول[٧٠] والذي عرف عنه حياده في الحروب التي وقعت بين الأوس والخزرج، ولكن هذا الامر لم يتم لان امور يثرب قد تغيرت كلياً مع تطور آخر كان يجري في مكة، حيث تمت هجرة الرسول إلى يثرب لتتغير المعادلات ويسود المدينة جو من الوئام بفضل الاجراءات التي اتخذها الرسول للتأليف بين سكان يثرب والتي اصبح اسمها المدينة، وعبد الله بن ابي سلول رغم معارضته للاسلام في بداية الامر كونه رأى ان الرسول والاسلام قد اغتصب منه ملكاً كان قريباً منه الإ أنه في نهاية المطاف اعلن اسلامه بعد أن راي جموع سكان المدينة يدخلون في الاسلام.

ومع الهجرة النبوية الى يثرب (المدينة) تبدأ صفحة جديدة في تاريخها حرص الرسول (ص) على جعلها تتسم بالإخاء وتحقيق مصالح الاطراف المختلفة وفق قاعدة عريضة من العدل وأداء الواجبات ونيل الحقوق، ويتضح ذلك اكثر ما يكون الوضوح في الدستور (الصحيفة او الكتاب) التي اصدرها الرسول لتنظيم امور الحياة في المجتمع الجديد، وكان واضحاً فيها الفصل غير التعسفي بين مفهوم امه الدين: مهاجرين وانصار من آمنوا بالرسالة المحمدية، وامة السياسة: وتشمل جميع سكان المدينة سواء اكانوا مسلمين اويهود، بحيث جعلت مهمات لكل طرف تقتضيها المصلحة العامة لجميع سكان المدينة في مواجهة أعدائها.

وهذا الأمر الذي اعاد حياة الاستقرار للمدينة لم يخل من معوقات رئيسة جاءت من جانب اليهود ما اضطر الدولة الاسلامية بعد ذلك لاتخاذ اجراءات تمثلت بطردهم من المدينة لماقاموا به من اعمال غدر وتآمر ضد دولة الاسلام.

٥. إقتصاد يثرب:

لقد كان قوام اقتصاد يثرب يقوم على الزراعة بعكس اقتصاد مكة الذي كان أساسه التجارة، فيثرب رغم وقوعها على الطريق التجاري من اليمن الى الشام ورغم قربها من البحر، الا ان سكانها لم يمارسوا التجارة كعنصر أساسي في الاقتصاد، وكانت تجاراتهم داخلية او محلية في غالبها.

وطبيعة يثرب وصلاحية تربتها وتوفر المياه فيها قاد الى زراعة مزدهرة فقد عرفت واشتهرت بزراعة نخيل التمور وقد اشتهرت بأصناف متعددة، منها ابن طاب، الصرفان، الجنيب، الصيحاني، اللوز، وكان معظم طعام سكان المدينة منه، وكان انتاجها يزيد عن حاجتها فيباع الفائض لشراء القمح من الشام. وكان أهل يثرب يزرعونه سككا في بساتين تتخلله السواقي لتسقيه، وقد بلغ من شهرة المدينة بزراعة النخيل انها سميت بذات نخل، وقد ورد ما يشير الى ازدهار الزراعة فيها في قول الشاعر امرئ القيس:

علون بانطاكية فوق عقمة كجرمة نخل او كجنة يثرب[٧١]

وقد كان للتمر اهمية ليس فقط كغذاء للسكان بل استخدم استخدامات اخرى فكان يؤخذ سعفه لسقف البيوت وصنع القفاف وجذوعه تستخدم اعمدة للبيوت كما كان يستخدم في بناء المساجد، بل وكان يعتبر عملة دفع للأجور وتسديد الديون.

ومن زراعات المدينة الأخرى زراعة القمح ولكن انتاجه لم يكن ليفي بحاجات السكان، وكذلك الشعير الذي كان يزرع تحت اشجار النخيل، وفي منطقة العوالي جنوب شرق المدينة كانت تجود زراعات اخرى مثل القرع اللفت، الجزر، البصل، الثوم، القثاء والشمام، كما عرفت المنطقة بعض اشجار الفاكهة مثل الخوخ والبرتقال والأترج والليمون.

اما في مجال التجارة والتي قلنا ان معظمها كان تجارة داخلية فقد اشهترت

يثرب (المدينة) بالعديد من الاسواق مثل سوق بني قينقاع، سوق زبالة، سوق الجسر، وسوق البطحاء، وفي هذه الاسواق تباع منتجات يثرب او ما يجلب اليها من الطائف كالزبيب، والمنسوجات من اليمن، والحبوب من الشام[٧٢]. والى جانب الفئات التي تعمل بالزراعة والتجارة وجدت فئات اخرى عملت في مجال صناعات اشتهرت بها المدينة مثل صناعة الدروع والسهام وصناعة الحلي[٧٣]، وكان معظم المشتغلين بهذه الصناعة من اليهود وهذا ما جعل اوليري يقول: ان سكان المدينة كانوا يرحبون باليهود كصناع اكثر من ترحيبهم بهم كزراع[٧٤].

كما وجد في المدينة ثروة حيوانية ولكنها قليلة لأن أراضي المدينة ليست اراضي رعي وعوضت عن تربية الثروة الحيوانية بكثرة بإمكانية حصولها عليها من القبائل البدوية التي كانت تحيط بالمدينة.

وهكذا نرى أن اقتصاد يثرب يمتاز بالتنوع في جوانبه المختلفة فهو يجمع بين الزراعة والتجارة والصناعة والدرجة الأولى للزراعة كما كان في مكة الدرجة الأولى للتجارة، وهذا التنوع في اقتصاد يثرب وحاجتها لتبادل انتاجها مع غيرها عمل على تكوين شبكة علاقات لها مع محيطها في الحجاز حيث كانت علاقاتها طيبة مع الطائف وكذلك مع مكة مع حصول تنافس في بعض الميادين وخاصة في التجارة التي كانت ترى مكة وقريش انها احتكار لها.

هوامش الفصل الخامس

(١) السليمان، علي حسين: النشاط التجاري في شبه جزيرة العرب أواخر العصور الوسطى، القاهره ١٩٧٤، ص٨٣-٨٤.
السباعي، احمد: تاريخ مكه، دار مكه للطباعة، ١٣٩٩هـ ط، ص٩٠ فهمي، نعيم زكي: طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب اواخر العصور الوسطى، القاهرة ١٩٧٣، ص١٨٢.

(٢) القرآن الكريم: سورة آل عمران (٣) آيه ٩٦.

(٣) يحيى: العرب في العصور القديمة، ص٤١٣-٤١٧.

(٤) يحيى: العرب في العصور القديمة، ص٤١٤-٤٢٢.

(٥) فهمي: مرجع سابق، ص١٣٨.

(٦) موسل: مرجع سابق، ص٩٢.

(٧) الشريف، احمد ابراهيم: دور الحجاز في الحياة السياسية العامة في القرنين الاول والثاني للهجرة، دار الفكر العربي ١٩٧٧، ص٥.

(٨) محمدين: مرجع سابق، ص٣١٦.

(٩) المقدسي، محمد بن احمد: أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم، منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي، دمشق ١٩٨٠، ص١١٥.

(١٠) القرآن الكريم: سورة ابراهيم (١٤) آية ٣٧.

(١١) القرآن الكريم: سورة النحل (١٦) آيه ٨١.

(١٢) انظر فصل جغرافية الجزيرة العربية.

(١٣) سالم: تاريخ العرب، ص٣٥١.

(١٤) الغنيم، عبد الله يوسف: جزيرة ا لعرب من كتاب المسالك والممالك لابي عبيد البكري، ذات السلاسل، ط١، ١٩٧٧، ص١٤٥-١٤٧.

(١٥) محمدين: مرجع سابق، ص٣١٨.

(١٦) الازرقي: مرجع سابق، حـ٢، ص٢١٥-٢١٧-٢١٩.
الفاسي، ابو الطيب تقي الدين محمد: شفاء الغرام باخبار البلد الحرام، القاهرة، ١٩٥٦، حـ ١ ص١٦٨-١٧٤.

(١٧) عاقل: تاريخ العرب، ص٢٢٦-٢٢٧.

(١٨) القرآن الكريم: سورة البقرة (٢) آيه ١٢٦-١٢٧.

(١٩) ابن الكلبي: مصدر سابق، ص٨.

(٢٠) سالم: تاريخ العرب، ص٣٥١ وما بعد.

(٢١) يحيي: العرب في العصور القديمة، ص٣٢.

(٢٢) سالم: تاريخ العرب، ص٣٦٦.

(٢٣) عن سد مأرب، انظر
بافقيه: تاريخ اليمن القديم، ص١٩٧-١٩٩.

(٢٤) القرآن الكريم: سورة الفتح (٤٨) آيه ٢٤.

(٢٥) ابن المجاور، جمال الدين ابو الفتح يوسف بن يعقوب: صفة بلاد اليمن ومكه وبعض الحجاز، تصحيح او سكر لوفغرين، ط٢، منشورات المدينه، لبنان، ١٩٨٦، ص٣.

(٢٦) القرآن الكريم: سورة آل عمران (٣) آيه ١٦-١٧.

(٢٧) القرآن الكريم: سورة التين (٩٥) آيه ٣.

(٢٨) القرآن الكريمن: سورة البلد (٩٠) آيه ١-٢.

(٢٩) القرآن الكريم: سورة النحل (١٦) آيه ١١.

(٣٠) القرآن الكريم: سورة الانعام (٦) آيه ٩٢.

(٣١) ابن المجاور: مصدر سابق، ص٥.

(٣٢) يحيى: العرب في العصور القديمة، ص٣٢٠.

(٣٣) سالم: تاريخ العرب، ص٣٤٩.

(٣٤) الشامي: مرجع سابق، ص٩٩.
زيدان: مرجع سابق، ص٣٢٩.

(٣٥) عاقل: تاريخ العرب، ص٢٣٣.

(٣٦) عاقل: نفسه، ص٢٣٤.

(٣٧) ١. بنو الحرث بن فهر ٢. بنو محارب بن فهر ٣. عامر بن لؤي ٤. عدي بن كعب ٥. سهم بن كعب ٦. بنو جحح بن عمرو ٧. بنو تيم بن مره ٨. بنو مخزوم بن يقظه ٩. بنو زهره بن كلاب ١٠. بنو اسد بن عبد العربي ١١. بنو عبد الدار ١٢. بنو عبد مناف.

(٣٨) ضم فئات من حلف المطيبين مثل بني هاشم والمطلب ابني عبد مناف وزهره بن كلاب وثيم بن مره وبني الحارث بن فهر ولم يشترك من المطيبين بنو عبد شمس وبنو نوفل.

(٣٩) عاقل: تاريخ العرب، ص٢٥٦.

(٤٠) سالم: تاريخ العرب، ص٣٤٤-٣٤٥.

(٤١) وتسمى ايضا حرة بني قريظة وحرة زهره.

(٤٢) الغنيم: مرجع سابق، ص٨٢-٨٣.
العلي: خطط المدينه، ص١٧٧.

(٤٣) محمدين: مرجع سابق، ص٣٢٤.

(٤٤) الغنيم: مرجع سابق، ص٨٢-٨٣.

(٤٥) يحيى: العرب في العصور القديمة، هـ٤ ص٣٢٠.
بدر، عبد الباسط: التاريخ الشامل للمدينة المنوره، ط١ المدينه المنوره ١٩٩٣، حـ١ ص١٤-١٧.

(٤٦) الشامي: مرجع سابق، ص١٢٥.

(٤٧) بدر: مرجع سابق، حـ١، ص١٤-١٧.

(٤٨) سالم: تاريخ العرب، ص٣٨٤.

(٤٩) القرآن الكريم: سورة الاحزاب (٣٣) ايه ١٣.

(٥٠) القرآن الكريم: سورة المنافقون (٦٣) آيه ٨.

(٥١) احمد، جعفر ميرغني: مباحث في تاريخ المدينه على ايام النبي والخلفاء الراشدين، في: دراسات تاريخ الجزيرة العربية، الكتاب الثالث الجزء الثاني، ص٢٧٩.

(٥٢) سالم: تاريخ العرب، ص٣٨٤.

(٥٣) سالم: نفسه، ص٣٨٥.

(٥٤) السمهوري، ابو الحسن بن عبد الله: خلاصة الوفاء باخبار دار المصطفى، المكتبة العلمية، المدينة المنورة، ١٣٩٢هـ ص١٦ وما بعد.

(٥٥) الشريف: مكه والمدينه، ص٣٥٦.

محمدين: مرجع سابق، ص٣٢٤.

(٥٦) سالم: تاريخ العرب، ص٢٨٤.

(٥٧) الشامي: مرجع سابق، ص١٢٧.

(٥٨) الشامي: نفسه، ص١٢٧.

(٥٩) اوليري: مرجع سابق، ص١٩٠.

(٦٠) سيديو، ل، أ: تاريخ العرب العام، ترجمة عادل زعيتر، ط٢ الحلبي ١٩٦٩، ص٤٠-٤٤.

(٦١) الجرو: مرجع سابق، ص١٠٤.

(٦٢) سالم: تاريخ العرب، ص٣٩٥.

(٦٣) سالم: تاريخ العرب، ص٣٩٥.

(٦٤) الشامي: مرجع سابق، ص١٣١.

(٦٥) سيديو: مرجع سابق، ص٤٤-٤٥.

زيدان: مرجع سابق، ص٣٣٤.

اوليري: مرجع سابق، ص١٩١.

(٦٦) الشريف: دور الحجاز، ص٤٩.

(٦٧) الشريف: دور الحجاز، ص٥٢، الشامي: مرجع سابق، ص١٣٤.

(٦٨) سالم: تاريخ العرب، ص٤٠٢-٤٠٣.

(٦٩) الشريف: دور الحجاز، ص٥٧.

(٧٠) محمدين: مرجع سابق، ص٣٢٨.

(٧١) الشامي: مرجع سابق، ص١٣٦.

(٧٢) سالم: تاريخ العرب، ص٤٠٤.

(٧٣) الشريف: دور الحجاز، ص٦٠.

(٧٤) اوليري: مرجع سابق، ص١٩٠.

الفصل السادس

الانباط وتدمر

الفصل السادس

الانباط وتدمر

ا. الانباط:

لقد كانت بلاد الشام من المواطن الاولى التي هاجرت اليها قبائل عربية من الجزيرة العربية في عصورها القديمة، وكان من ضمن موجات الهجرة الاكديون واستقروا في وادي الرافدين في الالف الرابعة قبل الميلاد، ثم تلتها هجرة الكنعانيين والاموريين واستقروا في المنطقة السورية ووادي الرافدين خلال الالفين الثالثة والثانية ق.م، ثم الآراميون والعبرانيون في النصف الثاني من الالف الثانية ق. م وكان رابع هذه الهجرات هجرة الأنباط وبعض القبائل العربية واستقروا في منطقة الهلال الخصيب بين القرن الثاني ق.م والقرن السادس م[1].

وهؤلاء الانباط الذين جاءوا الى بلاد الشام وفق رأي بعض من قسم الهجرات الى مراحل استطاعوا ان يكونوا دولة استمرت الى مطلع القرن الثاني للميلاد. ولكن تاريخ الانباط ودولتهم أثارت العديد من التساؤلات حول اقدميتهم في بلاد الشام، وأصولهم وعلاقاتهم، وأسباب نهاية دولتهم وسنعالج فيما يلي اهم هذه الامور.

١. اقدمية ذكر الانباط:

إن أقدم إشارة للأنباط ترد في نقش يعود لعهد الدولة الاشورية منذأيام أشور بانيبال (٦٦٨-٦٣٣ق.م) ويشير في هذا النقش الى حروبه ومنها حربه ضد يواثع ملك العربية وانتصر عليه مما اضطره للهرب الى ارض النبط[2]، ونجد ان

الإشارة هنا غير محددة فهل المقصود أرض النبط في العراق ام في بلاد الشام أو في مكان آخر. ومن ناحية اخرى هل المقصود هنا ارض النبط هنا الارض التي يقيم عليها مزارعون وخاصة ان كلمة نبط ونبطي كانت تستخدم لمن يقوم بعملية الزراعة، وبالتالي فان هذا النقش لا يفيدنا بتحديد واضح للانباط او مناطق تواجدهم، واذا فسر ان المقصود الانباط الذين اقاموا وانشأوا دولة لهم في منطقة جنوبي الاردن الحالية، فمن المعروف ان هذه المنطقة في هذا التاريخ كانت تخضع للادوميين[٣].

ثم ترد الإشارة للأنباط في القرن الرابع ق.م، حيث اشار اليهم المؤرخ ديودورس الصقلي (المتوفي سنة ٥٨ق.م) في اثناء حديثه عن حملات انتيغونس خليفة الاسكندر على الانباط في مدينتهم البتراء وارتداده عن هذه المنطة لحصانتها وقوة اصحابها[٤].

واذا اخذنا بما اورده ديودورس من معلومات تدل على قوة الانباط التي أشار إلى أنها تصل الى عشرة آلاف مقاتل والى التحصينات والاستعدادات التي افشلت الحملة، إزاء ذلك لا بد من القول أن هؤلاء قد شكلوا دولة سابقة لهذا التاريخ بزمن اتاح لهم تشكيل مثل هذه القوة. وعليه فان الاشارات الى تكوين الانباط لدولة يرجعها الدارسون الى فترة تواجدهم في المنطقة منذ عام ٥٧٨ ق.م، او القرن الرابع ق.م، وتبع ذلك تدرجهم بامتلاك القوة وخاصة القوة الاقتصادية من تواجدهم على الطرق التجارية، وبذا بدأوا يسيطرون على بعض المناطق من الادوميين، وخاصة المناطقة السهلية في وادي موسى. ثم بعد ذلك استولوا على المدينة (البتراء) وشكلوا دولة في زمن غير محدد بعد هذا التاريخ وان كنا نرجح بداياتها لا تبتعد كثيراً عن القرن الرابع ق.م.

واذا كان تاريخ قيام دولة الانباط غير محدد بشكل دقيق. فان أصل الأنباط كان مثار تساؤل عند العديد من الدارسين.

٢. أصل الانباط:

إختلف الباحثون والمؤرخون في قضية نسب الأنباط، وقد ناقش هذه القضية د. جواد علي، وجورجي زيدان وأوليري ود. إحسان عباس وغيرهم، وسنتعرض لأهم الآراء حول اصل الانباط.

١- البعض يشير إلى أن الأنباط هم من نسل بنايوط بن اسماعيل، بناء على ما ورد في التوراة وعليه فانهم عرب من عرب الحجاز.

٢- أو أنهم بالأصل عراقيون من قوم بختنصر وكانوا قوة عسكرية أسكنهم بلاد الادوميين (البتراء) بعد احتلاله لفلسطين في القرن السادس ق.م.

٣- أو أنهم من شواطئ خليج فارس (الخليج العربي) وهم بذلك طائفة من الفرس.

٤- ان الانباط يقسمون الى قسمين قسم استوطن العراق وهم الأردوانيون وقسم سيطر على الشام وهم (الارمانيون) وهم القبائل التي تعود بنسبها الى ارم.

٥- راي يجعلهم من السريان.

٦- انهم ينسبون الى نبيط بن ماش بن ارم بن سام بن نوح(٥) وقد رجح جواد علي وجورجي زيدان كونهم من القبائل العربية وذكرا اسباباً لهذا الترجيح منها:

أ- أن المصادر الكلاسيكية حين ذكرتهم عرفتهم على أنهم عرب.

ب- أن أسماء ملوكهم عربية، وان الهتهم التي كانوا يتعبدون لها هي مشابهة في الاسماء والطقوس لالهة العرب قبل الاسلام(٦).

وهذه الآراء التي ترجح ان الانباط عرب يعترضها أنه لم يعثر للآن على نقش عربي يعود الى فترة حكم دولة الأنباط، ذلك ان ما عثر عليه كان باللغة الآرامية وكان هذا أحد اسباب اعتقاد البعض انهم من غير العرب.

وكحل لمشكلة اللغة راى بعض الدارسين ان الأنباط تعاملوا بلغتين لغة رسمية وجدناها على آثارهم وهي اللغة الارامية، ولغة التخاطب والاسماء وهي لغة عربية.

٣. توسع دولة الانباط وعلاقاتها:

بعد عهد الإسكندر المقدوني والصراع بين خلفائه في مصر والشام ترد إشارات الى محاولة السلوقيين والبطالمة السيطرة او محالفة الانباط في عاصمتهم البتراء، وكان ذلك بحدود القرن الرابع ق.م.

ومما يبدو أن الانباط قد استغلوا فترة الصراع بين القوتين لصالحهم فوسعوا حدود سيطرتهم ومدوا حدود سيطرتهم في هذه الفترة من غزة الى أيلة[٧]. ودخلت دولة الانباط في صراع مع البطالمة الذين وسعوا نفوذهم في مناطق حول بلاد الانباط وسيطروا على المنافذ التجارية وشجعوا التجارة البحرية لضرب تجارة الأنباط، لكن أواخر القرن الثاني ق.م والذي شهد ضعفاً لدولة البطالمة عاد بالنشاط لتجارة الانباط، وتبع ذلك ضعف للسلوقين في الشام وما رافق ذلك من تشكل دولة البارثيين في العراق مما ادى الى ازدياد اهمية التجارة في غرب الجزيرة والذي ادى الى انتعاش جديد للتجارة النبطية[٨].

ومع بدايات القرن الاول ق.م نشهد توسعاً في حدود دولة الانباط استمر الى نهاية القرن الأول للميلاد فاصبح نفوذهم يمتد إلى دمشق شمالاً وجنوباً الى مدائن صالح (شمال غرب المملكة العربية السعودية)، وفي هذه الفترة تشهد دولة الانباط علاقات متباينة مع السلوقين والبطالمة والمكابيين في فلسطين ثم مع الرومان وهذا ما سنشير اليه عند حديثنا عن أشهر ملوك دولة الأنباط وأهم الأحداث في عهدهم.

٤. اشهر ملوك الانباط:

توصل الباحثون من خلال المعلومات الآثارية والمسكوكات وما ورد في أسفار التوراة والكتابات الكلاسيكية الى معرفة ثمانية عشر ملكاً تداولوا حكم دولة الأنباط، وكان أول من عرفوه في هذه القائمة هو الملك الحارث الأول منذ ١٦٩ ق.م وآخرهم كان الملك مالك الثالث والذي انتهت في عهده دولة الانباط واصبحت تابعة لولايات روما، ومن هؤلاء الحكام.

-الحارث الاول (ارتياس) ١٦٩-١٤٦ ق.م.

وفي عهد هذا الملك تم التحالف مع المكابيين في بيت المقدس ضد السلوقيين وكان حاكم المكابيين في عصره هو يهوذا المكابي الذي توفي سنة ١٦١ ق.م.

وقد ملك على الانباط بعد الحارث الاول زيد ايل في حدود سنة ١٤٦ ق.م ثم جاء الملك الحارث الثاني والملقب ايروتيموس (١١٠ – ٩٦ ق.م) وكان معاصراً للملك اليهودي اسكندر يانس، وفي عهد هذا الملك النبطي بلغت الدولة درجة من القوة بحيث سعى المكابيون اليهود خلالها الى طلب مساعدتهم، ولكن تبين ان لليهود اطماعهم في المناطق الخاضعة لسيطرة الأنباط في شرقي الأردن مما جعل الحارث الثاني يغير من سياسته مع اليهود حيث ثبت له اطماعهم وثبت له ان التحالف معهم يضر بمصالح بلاده، ولذلك نجد أن ملك الأنباط يمد يد المساعدة لغزة ضد المكابيين، واستمرت الحروب بين الطرفين دون نتائج الى عهد خلفائه[٩]. وفي عهد الحارث الثاني سك الانباط نقداً مقتبساً عن النقد اليوناني حيث يظهر على وجه المسكوكات رأس يعتمر خوذة وعلى الوجه الآخر اله النصر[١٠].

- عبادة الاول: وأهم الاحداث في عهده ما حصل سنة ٩٠ ق.م، وهو محاربته لليهود على الضفة الشرقية لنهر الاردن واستطاع ان ينتصر عليهم وساهم في ذلك في اضعاف دولة المكابيين واضطروا للتنازل عن اراض كانوا يحتلونها في مؤاب وجلعاد[١١].

الحارث الثالث (٨٧-٦٢ ق.م):

ويعتبر أشهر ملوك الانباط على الاطلاق نظراً للاعمال التي قام بها، كما ان عصره شهد احداثاً هامة اثرت على تاريخ المنطقة لقرون لاحقة، فمن اعماله انه قام بتوسيع حدود مملكته بالسيطرة على مناطق كانت تحت سيطرة السلوقيين واليهود المكابيين، فاستغل ضعف السلوقيين وخاض معهم معركة في سهل فلسطين ادت الى هزيمة السلوقيين ومن ثم سيطر على مناطق كانت تحت حكمهم مثل منطقة البقاع، ثم سيطر على دمشق سنة ٨٥ ق.م ولقب بعد ذلك «محب الهلينيين» فيلهولن Philholen، والأمر الآخر أنه سك في عهده نقداً في دمشق ورد عليه اللقب السابق حيث ظهرت ايضاً الكتابة على نقده باللغة اليونانية وليس الآرامية لغة الانباط[١٢].

ومن الاحداث الهامة في عهده علاقاته مع اليهود المكابيين اذ استطاع ان يتدخل في شؤونهم نتيجة الصراع بين أبناء اسكندر يانس واستنجاد أحد أبنائه بالأنباط فدخلت القوات النبطية الى جانب هر كانوس ابن اسكندريانس ضد أخيه، ارسطوبولس الثاني وكان لقاء تدخله وعداً بان يعيد هركانوس بعض الاراضي التي كان قد اغتصبها اليهود في شرق الاردن، وقد تم له ذلك، على ان الأمور تطورت بعد ذلك الى محاولته السيطرة على القدس ومهاجمة ارسطوبولس فيها ولم ينقذها الا تدخل الرومان[١٣]. ثم خاض اليهود حرباً بعد ذلك ضد الأنباط ولكن الملك النبطي هاجمهم في موقعة قريبة من اللد وانتصر عليهم وفرض شروطه عليهم[١٤]، لكن التطورا الاهم الذي حصل في عهده الا وهو سيطرة الرومان على بلاد الشام على يد بومبي سنة ٦٤ ق.م، مما ادخل دولة الانباط في حلقة جديدة من العلاقات مع الرومان بما يفرضه ذلك من محالفات او معارضة.

عبادة الثاني ابن حارث الثالث ٦٢-٤٧ ق.م:

وفي عهد هذا الحاكم إزداد نفوذ الرومان وأصبحت مهمة ملوك الانباط هي كيفية الحفاظ على دولتهم في ظل دولة قوية مسيطرة وهي دولة الرومان، وقد بدت ان

علاقتهم مع الرومان في هذه المرحلة شكلت علاقة الحليف (التابع) وهذا ما نجده واضحاً من خلال مشاركة قوات نبطية الى جانب الرومان في غزوهم للاسكندرية عام ٤٧ ق.م. مع بداية عهد حكم مالك الاول ٤٧-٣٠ق.م. وفي عصر هذا الحاكم انهى الرومان حكم الاسرة المكابية اليهودية في بيت المقدس وفي عهد هذا الحاكم اضطرت دولة الأنباط لدفع جزية للرومان وذلك اعتباراً من سنة ٤٠ ق.م كما شهد عصره حروباً مع الهيروديين. الذي نصبهم الرومان حكاماً على القدس - وكان النصر لجانب الهيروديين[١٥].

وتولى الحكم من بعده عبادة الثالث ٣٠ - ٩ ق.م. واهم ما حصل في عهده على صعيد العلاقات مع الدولة الرومانية، هو اشتراك الأنباط في الحملة الرومانية على جنوب الجزيرة العربية (اليمن) سنة ٢٤ ق.م حيث شاركوا بقوات عسكرية كما ساهموا بأدلاء، وكان على راسهم وزير دولة الانباط سيلايوس[١٦]، ومايعنينا هنا ان الحملة فشلت وتحمل جزءاً من سبب فشلها ما قيل عن خيانة الوزير النبطي، والأهم انه حوكم من قبل الرومان وتم إعدامه وهذا قد يدلل على اي مدى وصلت تبعية الانباط للرومان في هذه الفترة.

الحارث الرابع (٩ ق.م - ٤٠م):

وقد سكت في عهده نقوداً نبطية وجدت عليها عبارة «المحب لشعبه»[١٧]، ومن الأحداث في عهده اضطراب العلاقات مع هيرودوس انيتباس الذي نصبه الرومان حاكماً لليهود في بيت المقدس، حيث ورد ان هيرودوس تزوج ابنة الحارث الرابع، ثم اراد تطليقها ليتزوج بزوجة أخية فثارت الحرب بين الأنباط والهيروديين وكان النصر بينهما سجالاً، ولكن النصر أخيراً كان للهيروديين سنة ٣١م وذلك بفعل تحالف الرومان معهم ضد الأنباط[١٨]، ثم عاد الأنباط وانتصروا وسيطروا على دمشق سنة ٣٧م بعد ان فشلت الحملة الرمانية إلى البتراء في نفس العام وكذلك لموت الامبراطور طيباريوس في نفس العام[١٩]. ويبدو أن نفوذ الانباط حتى هذه الفترة كان لا يزال

واسعاً واستمرت سيطرتهم حتى مدائن صالح (الحجر) حيث عثر على نقش على احدى المقابر ذات الطراز النبطي هناك وعليها تاريخ النقش واسم الحارث ولقبه، وهذا نص النقش:

«١- هذه المقبرة صنعها هاني بن تفصي. ٢- لنفسه ولأطفاله وابنائه وبناته ومن أجل كل من ياتي من ذريته. ٣- ومن في يده سند شرعي من هاني ليدفن. ٤- في المقبرة هذه، ولا يجوز ان يدفن في المقبرة هذه. ٥- أي شخص ولا يجوز أن تباع أو تنقل ملكيتها. ٦- سواء عن طريق الإهداء الاختياري او عن طريق الاهداء الاضطراري أو تعطى بسند شرعي لأي شخص خارج عن ذلك الذي. ٧- قد كتب في وصية هاني أو من يمكن ان يدفن حسب رغبة هاني. ٨- او اسرته التي لها حق تملك مكانة بالايجار وكل من يفعل غير ذلك، ٩- سوف يضطر أن يدفع لسيدنا ألف قطعة عملة حارثية/ في شهر نيسان من السنة الاربعون من حكم الحارث ملك الانباط المحب لشعبه....»[٢٠]

وبعد الحارث الرابع تولى حكم الانباط ابنه مالك الثاني ٤٠-٧١م واهم مافي عهده هو اشتراك الانباط في الحملة الرومانية على بيت المقدس ثم تعاقب على حكم البتراء رب ايل ٧١-١٠١م ثم أخر ملوكهم مالك الثالث ١٠١-١٠٦م والذي شهد عصره نهاية دولة الانباط حيث أخضعها تراجان سنة ١٠٦م وضمها فيما عرف باسم ولاية العربية الصخرية، وقد أصدر الامبراطور تراجان بهذه المناسبة مسكوكة كبيرة الحجم -ستيزنس- ظهر على احد وجهيها رأس تراجان مكللاً بالغار مع الألقاب التي كان يحملها، وعلى الوجه الآخر صورة فتاة تمثل بلاد العرب وبجانبها جمل وقد كتب تحت هذه الصورة جملة تعني «الحاق العرب»[٢١] تعبيراً عن التبعية الكاملة لدولة الانباط لروما.

وهكذا أسدل الستار على دولة دامت لقرون طويلة ووصلت من دولة مدينة إلى أشبه بامبراطورية واسعة، ومما لاشك فيه ان اساس ازدهارها كان يعتمد

بالدرجة الاولى على تفوقها في المجال التجاري وكذلك فان التجارة وطرقها وما طرأ عليها كان سبباً الى جانب أسباب اخرى ادت الى نهاية هذه الدولة.

فالقرن الاول الميلادي شهد تطورات اثرت على البتراء ومن هذه التطورات نشاط الخط التجاري البحري الذي يمر من البحر الاحمر الى المحيط الهندي وهذا النشاط أدى إلى انتقال جزء كبير من هذه التجارة البرية مما اثر سلباً على دولة الانباط!

ويضيف بعض الباحثين أن خط التجارة البري الطولي (من اليمن الى سوريا) تزحزح نحو الشرق وهذا أفقد البتراء موقعها الحيوي على هذا الطريق، وكذلك الحال بالنسبة لخط التجارة العرضي الذي كان يمر بين وادي الرافدين والشوطئ السورية حيث مال الى الشمال فانتقلت الاهمية من البتراء إلى تدمر، هذا الى جانب بعد سياسي حربي يتمثل في سياسة روما وحرصها على ضم منطقة البتراء الى مناطق نفوذهم على اعتبار أنها تشكل حداً منيعاً امام اي محاولة توسع من قبل الفرثيين[٢٢]، ويضيف جورجي زيدان سبباً من اسباب نهاية دولة الانباط ويجعل ذلك مرتبط بأن الأنباط الذين تمكنوا في البدايات من التغلب على الكثير من القوى تغير حالهم: «.. كان الانباط قد تحضروا فذهبت عنهم خشونة البداوة وركنوا الى الزراعة... وانغمسوا في الترف فلما صارت الدولة الرومانيه إلى الإمبراطور تراجان وأصبح قادراً على الاستعانة بالجند المصري عجز النبطيون عن الوقوف في وجهه»[٢٣].

٥. حضارة الانباط:

لقد تدرج الانباط من قبائل بدوية تعيش على أطراف المناطق المعمودة الى ان تمكنت من السيطرة على مناطق كانت تحت حكم الادوميين ومنها البتراء نفسها، واسسوا دولة كان نظام الحكم فيها نظاماً ملكياً وراثياً كما مر معنا عند استعراض

اسماء ملوك الانباط. وعرفنا انهم كانوا يكتبون كما ظهر على نقودهم وآثارهم باللغتين الآرامية واليونانية، ومن هذه المسكوكات نلمح ان للمرأة دوراً في المجتمع النبطي وخاصة النساء القريبات من الحاكم فمثلاً الملكة شقيلة والدة رب ايل تولت الوصاية عليه وكانت تساعدها في الحكم زوجة رب ايل (جميلة) وكذلك منذ عهد عبادة الثالث كان للمرأة مثل هذا الدور. ولاحظنا ان سكهم للنقد كان متأثراً بالطراز اليوناني، ومن متابعة آثارهم الموجودة في البتراء وفي مدائن صالح وغيرها نجد انهم متأثرون بالفن اليوناني واذا اخذنا اسماء الهتهم نجدها آلهة سامية وتشبه الالهه التي عرفت عند العرب في الجزيرة العربية. واشرنا الى انهم يتكلمون العربية كلغة للتخاطب وعلى ذلك فان وصف الدكتور فيليب حتى لحضارتهم بانها حضارة مركبة وصف دقيق، حيث يقول: «ان حضارتهم مركبة فهي عربية في لغتها (التخاطب) آرامية في كتابتها، سامية في ديانتها، يونانية ورومانية في فنها وهندستها المعمارية، ولكنها عربية في جوهرها»[٢٤].

وأهم آثار الانباط (او ما ينسب اليهم) هي مدينة البتراء والتي ترد باسم (سيلع) في التوراة بمعنى صخرة، وفي اليونانية البتراء Petra وهي ترجمة يونانية للكلمة نفسها، وعرفت عند العرب بالرقيم، ويرى جورجي زيدان ان هذا ربما كان تحريفاً للفظ اليوناني Arke[٢٥]، ولكن الرقيم هي موقع آخر يقع الى شرق عمان في الطريق ما بين مدينة ابو علندا ومدينة سحاب، وفيه كهف يقال انه الذي ورد ذكره في القران الكريم في قصة اهل الكهف.

أما معابد الأنباط في بترا فهي تشبه المعابد الوثنية في سوريا وقوام هذا المعبد فناء تتقدمه قاعة كبيرة، او قاعتان متداخلتان يوضع فيهما او في القاعة الداخلية تمثال الاله الذي خصص المعبد له.

ومن آثارهم ذات الطرز المعمارية الهامة ما عرف مثلاً في مدائن صالح (الحجر) فهي مقابر بواجهات معمارية ضخمة منحوتة في واجهات المنحدرات الجبلية

والمقابر تنحت بشكل حجرات ضخمة نحتت في جوانبها فتحات الدفن العميق لدفن الجثث نفسها، وكذلك توجد فتحات غير عميقة لوضع الأشياء الجنائزية، ويتقدم هذه الحجرات في الواجهة مدخل مستطيل، وتمتاز هذه المقابر بتناسق فني فريد وزخارف متطورة[٢٦].

وقد عثر على آثار نبطية في سوريا وفلسطين والجزيرة العربية مما قد يدل على اتساع نفوذهم السياسي، الا ان نفوذهم الاقتصادي كان اوسع من حدود سيطرتهم الجغرافية حيث وجدت آثار تدل على تجارتهم في مصر والعراق.

وقد اهتموا بتنظيم أمور حياتهم ففي الجانب العسكري اشرنا الى قوتهم منذ القرن الرابع ق.م حيث فشلت حملة انتيغونس عليهم سنة ٣١٢ ق.م. حيث اشار ديودورس الى ان قوتهم كانت تعد بـ ١٠,٠٠٠ مقاتل، اضافة الى حصانة موقعهم طبيعياً[٢٧]. ووضعوا قوانين تتعلق بالزراعة والبناء «من امهات قوانيهن منع زراعة الحبوب او استثمار الاشجار وتحريم الخمر او بناء المنازل ويعاقبون من يخالف ذلك بالقتل مع التشديد في العمل بهذه القوانين[٢٨]، وقد وضعت جوانب قانونية اخرى تحدد الملكية وتمنع انتقال او تغيير الوصية وتوضع عقوبات على المخالفين كما سبق ان اشرنا الى النقش المتعلق بالمقبرة التي عثر عليها في مدائن صالح (الحجر).

ولا يزال الاثر الاهم، ما هو موجود في داخل مدينة البتراء مثل الخزنة، المعبد، المسرح، اضافة الى المدافن وكل هذه الآثار مزينة بزخارف ونقوش غاية في الروعة ودقة النحت والتشكيل.

ومن الالهة والمعبودات عند الانباط «اللات والعزى، ومناة وذو الشرى وشيع القوم، وقد عثر على معابد للات في منطقة صلخد والنقش لبذي يشير إلى ذلك مؤرخ بسنة ٥٦م، وهناك معابد أخرى أشارت إليها النقوش في مناطق جنوب الأردن ومنطقة مدائن صالح (الحجر)[٢٩].

ب. تدمر:

ان تاريخ تدمر وتطورها يشبه في كثير من جزئياته تاريخ دولة الانباط فتدمر كما البتراء ازدهرت بسبب وقوعها على الطرق التجارية، وكلا الدولتين أقام شبكة من العلاقات مع القوى المحيطة، فكما تأثرت البتراء بالعلاقات بين السلوقيين والبطالمة، استفادت من ذلك، كذلك فان تدمر استفادت من انتهاء حكم السلوقيين، وما تبع ذلك من الصراع بين الرومان وفارس.

وكل من تدمر والبتراء توسعتا في النفوذ الاقتصادي والسياسي مما أثار حفيظة القوى المسيطرة على بلاد الشام حتى كانت نهاية البتراء على يد الرومان كما سبق ان اشرنا سنة ١٠٦م، لتزداد اهمية تدمر تجارياً وسياسياً حتى اصبحت قوة يحسب حسابها وبذلك فكرت روما بالقضاء عليها وتم لها ذلك، وسيجد القارئ اوجهاً للتشابه بين الدولتين فيما سيأتي عند استعراض اهم مراحل التطور للدولة التدمرية.

١. موقع تدمر:

تقع تدمر على أطراف البادية التي تفصل الشام عن العراق، وهي واقعة إلى الشمال الشرقي من مدينة دمشق، وتبعد عنها حوالي ١٥٠ ميلاً. وجنوب تدمر عبارة عن صحراء قاحلة في حين ان تدمر توافرت فيها المياه، ونظراً لهذه الميزة على اطراف الصحراء اصبحت تدمر ممراً بل ومحطة استراحة وتزود بالماء لكل من يتحرك بقوافله التجارية من العراق الى الشام والعكس، وكذلك كانت مركزاً هاماً لمن يتحرك من شمال الجزيرة العربية الى الشام. وهي بذلك تقع على بقعة استراتيجية بين الشام والعراق والجزيرة العربية. ان هذا الموقع الجغرافي ازداد خطورة واهمية

حين اصبحت تدمر موقعاً حدياً بين القوى السياسية المتصارعة في بلاد الشام والعراق.

ان هذا الموقع بمزاياه جعل تدمر واحة مأهولة بالسكان منذ اقدم العصور وجمعت خلال تطورها انطلاقاً من هذا الموقع بين حياة البادية وحياة الاستقرار في المدن مما لعب دوراً هاماً في تطور جوانب حياتها المختلفة كما لعب دوراً هاماً في طبيعة نظام حكمها وعلاقاتها.

٢. اقدمية تدمر:

تعود الإشارات القديمة إلى تدمر إلى عهد تجلات بلاسر الاول ١١١٤-١٠٧٦ ق.م، حيث أشير في احد نقوشه إلى تدمر أنها واقعة الى الغرب (تدمر امورو) وذلك عند حديثه عن تحرك جيوشه من العراق الى الشام لمحاربة العموريين حوالي ١١٠٠ ق.م[٣٠] كما ورد إسم تدمر في التوراة واخذ يوسيفوس المؤرخ اليهودي ما ورد في التوراة واشار إلى أن مدينة تدمر يعود بناؤها الى عهد الملك سليمان، وتناقلت الروايات العربية ما جاء في التوراة واضافت اليه حتى اصبح تاريخ تدمر موغل في القدم بحيث، أرجع بناؤها الى الجن بامر من سليمان. ويرى البعض انها بنيت وسميت باسم تدمر بنت حسان بن أذينة ابن السميدع، والتي يعود نسبها الى سام بن نوح[٣١]. واذا عدنا الى اشارة التوراة فان المقصود بـ «تدمر» هي «ثامار» وهي بلدة واقعة جنوب شرقي يهوذا، ولكنها وردت خطأ باسم تدمر فاختلط الامر على من نقلوا من التوراة، ولم يعرف ان نفوذ سليمان قد وصل الى المنطقة التي شغلتها مدينة تدمر.

ويشار لتدمر ومشاركتها في حملة نبوخذ نصر على القدس[٣٢] وهكذا يبدو من المثالين السابقين ان تدمر كانت محطة للجيوش المتوجهة من العراق الى بلاد الشام وربما كان ذلك أحد اسباب ازدهارها وازدياد الإستيطان بها، وخاصة ان

موقعها تتوافر فيه اسباب الجذب للاستقرار حيث انها عبارة عن واحة تتوافر فيها المياه والاشجار وخاصة شجرة النخيل، والذي اثر على تسميتها فهي مدينة النخل كما سماها الاسكندر Plamyra وهي مشتقة من Palma اللاتينية بمعنى النخل، او أن الاسم مشتق من كلمة تامار، تمر العبرانية بمعنى النخل، او نسبة للقصة التي تشير على انها من بناء تدمر بنت حسان(٣٣).

وتأثرت تدمر بعد قيام الدولة البارثية حوالي ٢٥٠ ق.م وتوسعها وما تبع ذلك من انفصال بين العراق والشام قد ألحق اضراراً بمدينة تدمر كموقع علَى الطريق التجاري بين الشام والعراق، ورغم ذلك بقيت تدمر محافظة على كيانها خلال فترة الصراع بين البارثيين والسلوقيين. وبعد ان خضعت بلاد الشام للسيطرة الرومانية بدءاً من عام ٦٤ ق.م اصبحت تدمر محط انظار الرومان وهدفوا للسيطرة عليها حين حاول ماركوس انطونيوس غزوها سنة ٤٢-٤١ق.م ولكن هذه الحملة الرومانية فشلت في تحقيق اهدافها اذ انه فشل في السيطرة على ثرواتها وكنوزها(٣٤) وساعد على هذا الفشل ان سكانها كانوا يلجأون الى الصحراء تفادياً لمواجهة القوى الرومانية او حصارها، فهنا نجد ان موقع تدمر على أطراف الصحراء قد افادها لتجنب الضغوط الرومانية حتى هذا التاريخ، وهنا نجد تشابهاً مع البتراء التي كانت تجد في مدينتها الصخرية المحصنة ملاذاً من الغزوات الخارجية ورغم ان النتائج النهائية لحملة ماركوس انطونيوس قد لا تبدو بهذه البساطة اي مجرد توجيه حملة وهرب السكان وينتهي الامر، ان القضية تتعلق بمد السيطرة الرومانية وخاصة على منطقة مثل تدمر لموقعها التجاري او العسكري، ولذلك يمكننا ان نقول -بناء على المرحلة اللاحقة لتاريخ تدمر- أن الحملة كانت بداية لنوع من التبعية لروما وقد تكون تبعية محدودة مع محافظة أهل تدمر على استقلاليتهم ونظام حكمهم وحياتهم، أي انها مرحلة سابقة لالحاق تدمر بالدولة الرومانية وهكذا نجد ان الامر مع الانباط يتكرر مع تدمر.

ورغم غموض تاريخ تدمر قبل الميلاد لقلة الوثائق، حيث ان النقش المحلي الوحيد من هذه المدينة يعود الى سنة ٣٠٤ من التاريخ السلوقي الموافق للسنة ٩

ق.م[٣٥]، الا ان تاريخها يصبح اكثر وضوحاً مع بدايات القرن الاول للميلاد.

٣. تاريخ تدمر ما بين ١٠٦م-٢٧٢م:

سبق ان أشرنا عند حديثنا عن البتراء أن من أسباب سقوطها تحولاً في طرق التجارة، هذا التحول الذي انهى دولة الانباط كان من عوامل ازدهار وغنى دولة تدمر، ففي هذا العام ١٠٦م الحقت تدمر بالمقاطعة العربية التي انشأها تراجان، وتعاظم الاهتمام من الدولةالرومانية بتدمر، ففي عام ١٣٠م زارها الامبراطور الروماني هادريان ومنحها لقب هادريانا بالميرا، وسميت كذلك هادر يانابولس (مدينة هادريان) وقد أثر ذلك على نمو تدمر نتيجة امتيازات حصلت عليها جعلتهم على قدم المساواة مع سكان رومة، حيث منحهم حق الملكية المطلقة، وحرية ادارة سياستهم الداخلية، الى جانب اعفاءات ضرائبية وجمركية، واصبح بامكان سكان تدمر ان يتسمون بالاسماء الرومانية، وابقى حكومتها التي كانت ترجع الى مجلس شيوخ له رئيس، وقد عثر على هذه الامتيازات التي منحت لأهل تدمر منقوشة علي حجر من آثار تدمر ويعود تاريخه الى ١٣٧م[٣٦].

وفي عهد سبتيموس سفيرس ١٩٣-٢١١م أخذت تدمر وضعاً جديداً حيث اصبحت بدرجة مستعمرة رومانية وأصبحت مدينة اقليمية تتبعها مجموعة من المدن والمواقع منها مدينة الرصافة ومدينة دورا اوريس، وبقيت تدمر تحكم من قبل زعيم تدمري يسمى شراتجي[٣٧]، وازدادت اهميتها واهتمام الرومان بها خلال فترة انشغال الدولة الرومانية بحروبها مع الجرمان، مما جعل الرومان يعطون صلاحيات أوسع للعائلات المتنفذة في تدمر، وقد ساعد هذا الوضع أهل تدمر على زيادة نفوذهم، وجاءت ظروف سياسية جديدة، اثرت على ازدياد اهمية تدمر وذلك بعد ان قامت الدولة الساسانية سنة ٢٢٦م ودخول الساسانيين في صراع مع الدولة الرومانية وخلال مراحل الصراع المختلفة اصبحت تدمر محط اهتمام بالغ من الرومان كخط

دفاع ضد الساسانيين، وزادت الرغبة عند التدمريين لتوسيع نفوذهم، وبدأ الوضع الداخلي لتدمر بالتغير، حين برزت شخصية تدمرية من اسرة ارستقراطية طامعة بتحويل الحكم في تدمر الى نظام ملكي، وكانت تلك الشخصية هي سبتميوس او دونانوس (اذينة الاول) وتمكن من حكم تدمر كملك سنة ٢٥٠م، وكما يقول جورجي زيدان فان اذينه كان رئيس عصابة وطنية تسعى لخلع سيطرة الروم»[٣٨] وهذا ما اثار حنق الرومان عليه وأدى الأمر الى اغتياله بعد ذلك في سنة ٢٥١م[٣٩].

٤. نظام الحكم في دولة تدمر:

إن نظام الحكم في تدمــر تطور مع تطور هذه المدينة وازدياد نفــوذها الإقتصادي، وبما ان سكان تدمر كانوا بالأصل قبائل عربية توطنت واهتمت بامور التجارة فمن المنطق ان تسعى العائلات المتنفذة اقتصادياً لحماية مصالحها والعمل على ادارة شؤون بلدهم، وقد برز في المراحل الاولى من تاريخها نظام حكم عشائري كان فيه الدور الأكبر للشيخ المسؤول عن القوافل التجارية (الامير صاحب القوافل) اضافة الى رئيس الخفر الذي يسير القوافل في ظل سيطرته وحمايته[٤٠]، ثم اصبحت المدينة تحكم من قبل مجلس شيوخ له صلاحيات تنفيذية وإدارية ويبدو أن هذا التطور قد جاء بعد سيطرة الرومـان على بلاد الشـام ذلك ان رئيس المجلس كـان يسمى Proedoros، ويتبع ذلك مجموعة من أصحاب الوظائف المسؤولة عن رعاية وتنظيم شؤون تدمر، ولقد كان أذينة الأول احد اعضاء مجلس الشيوخ في المدينة الذي كان تحت سيطرة الرومان الفعلية وهذا ما دفعه الى الاستقالة من هذا المنصب في سعيه للحصول على الحكم[٤١]، وربما كان هذا النظام وسيطرة روما عليه بما يحقق مصالحها الدافع وراء عدم ارسال روما لولاة رومان لحكم تدمر، ثم تطور الأمر بعد سنة ٢٥٠م حين اصبح لتدمر نظام ملكي وراثي منذ عهد اذينة الاول.

٥. ملوك تدمر:

بعد أن تم اغتيال أذينة الاول على يد الرومان أو بدافع منهم، تولى الحكم من بعده ابنه خيران (ولقبه الروماني سبتميوس) والذي منحته روما لقب رئيس مجلس الشيوخ في مدينة تدمر[٤٢]، ولا تزودنا الأخبار بمعلومات ذات قيمة عن عهده سوى انه ترك من بعده احد ابنائه وهو المسمى «معنى». (معنيوس).

تولى الحكم بعد خيران، أذينة الثاني، وهذا الحاكم شهد عصره العديد من الأحداث الهامة على صعيد العلاقات مع الرومان والفرس، ويشار على أن أذينة الثاني كان منذ البدايات يخطط للانتقام من الرومان قتلة والده، وفي سبيل ذلك كان يعمل على تقوية نفسه والتحالف مع القوى البدوية المحيطة بتدمر لكي تكون سنداً له في محاربة الرومان[٤٣]، وكان عليه ان ينتظر الظروف الملائمة لتحقيق خططه.

في سنة ٢٥٨م منحت روما أذينة الثاني لقب قنصل في عهد فاليريانوس ويبدو ان ذلك جاء رغبة من روما في ان يكون أذينة الى جانبهم في حربهم مع الفرس الساسانيين في عهد شابور الاول (٢٤١-٢٧٢م) ولكن نتيجة الحرب بين الفرس والرومان كانت لصالح الفرس ووقع فاليريانوس في اسر الدولة الساسانية، وحاول اذينة استغلال الوضع وتحسين علاقته مع الفرس ولكن طلبه وهداياه للساسانيين قوبلت بعدم اكتراث منهم، مما دفع أذينة (وهو يكره الساسانين والرومان) الى تجديد علاقاته مع روما واقترح عليهم معاودة حرب الساسانيين هذا الامر الذي لاقى قبولاً من الرومان في عهد غاليانوس، واسفر الجهد العسكري الروماني التدمري عن انتصار حققوه ضد الساسانيين وسيطرت جيوش تدمر بعد هزيمتها لسابور على مدن نصيبين وحران، وقد كافأ الرومان أذينة على هذا الإنتصار بمنحه لقب عسكري هام «قائد جيوش الشرق»[٤٤] وذلك سنة ٢٦٢م ثم تتابعت الأحداث العسكرية بين الرومان والساسانين في حروب استمرت الى ٢٦٤م حيث وصلت قواتهم إلى حد محاصرة شابور في عاصمته المدائن، وقد عملت روما على زيادة الإغداق في الألقاب

والهبات لأذينة حيث منحته لقب «امبراطور عموم الشرق» ولقب هو نفسه «ملك الملوك» كما منحه مجلس الشيوخ الروماني لقب «اغسطس» وهو لقب كان خاصاً بأباطرة الرومان[٤٥].

ومن هذه الألقاب يلاحظ مدى القوة والنفوذ الذي تمتع به اذينة فالرومان يتقربون اليه وخاصة انه حقق لهم انجازات عجزوا عن تحقيقها في الانتصار على الفرس، أما لشعبه (ملك الملوك) فهو بلا شك محاولة منه لاغاظة الساسانيين والانتقام منهم على موقفهم منه حين عرض عليهم سياستة تحالفية منذ سنة ٢٥٨م.

ازدادت اهمية اذينة بعد سنة ٢٦٤م حيث الاضطرابات في روما ومؤامرة القائد مكريانوس ضد سلطة الامبراطور غاليانوس واستطاع اذينة ان ينهي هذه المؤامرة في بلاد الشام حيث كان بعض قادة التمرد في مدينة حمص وانتصر عليهم، وربما كان ذلك من الأسباب التي جعلت مجلس الشيوخ الروماني يمنحه لقب اغسطس، وبذلك أصبحت سيطرته واسعة تشمل بلاد الشام والجزيرة (مابين النهرين) وآسيا الصغرى، ولكن امجاد أذينة وضع لها حد نتيجة تآمر داخلي أودى بحياته سنة ٢٦٦-٢٦٧م على يد ابن أخيه معنيوس بن خيران الذي تسلم الحكم ثم قتل، ولا تعرف اسباب إقدام معنيوس على قتل عمه، هل هي لأسباب داخلية ورغبة في الحصول على الحكم على اعتبار أنه وريث والده خيران ام ان وراء ذلك تشجيع رومان، ولكن معنيوس لم يستمر في الحكم إلا أياماً معدودة حيث تم قتله على يد اهل حمص التي قتل فيها اذينة.

زنوبيا: ٢٦٧-٢٧٢م:

تسلمت الحكم بعد مقتل زوجها أذينة وكانت بمثابة الوصية على ولي عهد تدمر وهو إبنها وهب اللات، ولكنها كانت هي الحاكمة الفعلية، وحول شخصية زنوبيا (الزباء) حيكت الكثير من القصص والأساطير حول اصولها وما قامت به من اعمال وكذلك حول نهايتها ونجد ذلك في كتب المسعودي والطبري وغيرهم[٤٦]، وما يعنينا هنا

ان زنوبيا استلمت الحكم وعندها من المؤهلات الشخصية والامكانيات الخاصة بتدمر مما جعلها تسعى ليس فقط للحفاظ على ممتلكات تدمر بل الى توسيعها مستغلة الظروف التي كانت تمر بها الامبراطورية الرومانية، سواء اكان ضعفها الناتج عن حروبها المستمرة مع بلاد فارس او انتقال الحكم سنة ٢٦٨م الى اورليانوس بعد مقتل غاليانوس، اضافة الى تعرض الدولة الى غزوات الالمان والقوط في الجناح الغربي للامبراطورية، وخروج القوة العسكرية الرومانية من مصر مع قائدها بروبوس لمطاردة القراصنة[٤٧]، هذه الظروف أتاحت للملكة تدمر فرصة السيطرة علي مصر سنة ٢٦٨م وتم لها ذلك، وقد سكت زنوبيا في مصر مسكوكة من فئة أربع دراخمات تحوي على أقل من ٥٠٪ من الفضة وتحمل صورة نصفية للملكة وعلى ظهر المسكوكة صورة «سيلين» الى يمنيها هلال كبير، ومسكوكة أخرى من ذلك العهد ظهر على أحد وجهيها صورة نصفية للإمبراطور أورليانوس يرتدي التاج الشعاعي وكتبت القابه كاملة وعلى الوجه الآخر صورة نصفية لـ «وهب اللات» يرتدي اكليلاً على راسه[٤٨]، وهذه المسكوكات قد تدل على أن حكم مصر من قبل زنوبيا قد اعترف به من قبل الرومان، او ان حكم مصر كان حكماً مشتركاً بين قادة الرومان وقادة يمثلون ملكة تدمر. في حين ان حكمها للاقاليم الاخرى في أسيا الصغرى والعراق كان حكماً خالصاً ولم تشاركها روما بهذا. وبازدياد قوة تدمر وشعور زنوبيا بمقدرتها نجد انه ومنذ عام ٢٧١م أبطلت وحذفت صورة اورليانوس عن النقد مما يعني عدم اعترافها بسلطة روما عليها، وسكت النقد كما اشرنا وعليه صورة ابنها وهب اللات مع اللقب الامبراطوري (اغسطس) الخاص بقياصرة روما، وتلقبت هي بلقب الامبراطورة على نقودها التي ضربت بالخارج، في حين بقيت نقود تدمر تحمل لقب ملكة/ وبهذا تعتبر أول امرأة عربية تسك النقود باسمها مستقلة اضافة الى صورتها[٤٩].

بهذه الإجراءات من قبل الزباء وصل التحدي بينها وبين روما الى اقصى مراحله، مما دفع روما بعد ذلك وبعد أن تخلصت من بعض مشاكلها للتخطيط للقضاء على سيطرة تدمر، وبدأت الخطط العسكرية الرومانية بأن الحقت هزيمة

عسكرية بقوات تدمر في مصر سنة ٢٧١م وفي نفس الوقت كانت جيوش روما تتقدم مجتاحة اسيا الصغرى وصولاً إلى الشام بعد ان حققت انتصارات على الجيوش التابعة لتدمر في مناطق اسيا الصغرى[٥٠]، وبعد انسحاب الجيوش التدمرية جعلت ملكة تدمر خط دفاعها خارج انطاكية حيث دارت اولى المعارك بينهم في بلاد الشام وانتهت بانتصار الجيش الروماني، مما دفع التدمريين إلى الإنسحاب إلى مدينة حمص، حيث دارت معركة فاصلة بين الطرف التدمري والروماني وكان جانب القوة العسكرية (قوة الفرسان) لصالح تدمر في حين كان جانب القوة العسكرية (المشاة) للرومان. ومجريات المعركة كانت انتصاراً في بادئ الامر لفرسان تدمر والذين تابعوا مطاردة فرسان روما، مما أعطى الفرصة للمشاة الرومان بالسيطرة على ميدان المعركة في حمص[٥١]، وبعد هذه الانتصارات الرومانية كان لا بد من الزحف على تدمر حيث تتحصن ملكة تدمر وتم حصار المدينة ولم تنجح كل المحاولات لانقاذها، واستسلمت المدينة واسرت زنوبيا واخذت الى روما[٥٢] وانتهت بذلك سطوة تدمر وملكتها، ومما لا شك فيه ان اجتماع عدة عوامل كان وراء هذه النهاية، منها ما هو اخطاء عسكرية كانسحاب جزء من القوات التدمرية من مصر لمعالجة بعض القضايا في آسيا الصغرى، ومنها ما هو عسكري تكتيكي كما حصل في موقعة حمص حين تابع فرسان تدمر ملاحقة فرسان روما واعطوا الفرصة للمشاة الرومانية المتفوقة أن تسيطر على حمص، ومنها ايضاً فشل تدمر في الحصول على مساعدات من عدو روما التقليدي وهي بلاد فارس لأن ظروف فارس آنذاك وتغير نظام الحكم جعلهم يركزون على قضاياهم الداخلية، علاوة على أن تدمر كان عليها أن تحارب في أكثر من جبهة نظراً لاتساع مناطق نفوذها. كما انها لم تحصل على المساعدة التي كانت تنتظرها من القبائل البدوية التي رأت بعد الهزائم المتكررة التي لحقت بتدمر ان انقاذَها اصبح مستحيلاً في مواجهة الدولة الرومانية.

وان كانت تدمر بعد سيطرة اورليانوس عليها قد احتفظت بسكانها وعمرانها الا ان ذلك لم يطل اذ ان سكان تدمر وما ان غادرهم أورليانوس حتى اعلنوا الثورة

ضد الحامية الرومانية، مما دفع اورليانوس لمعاودة مهاجمتها وحينها بالغ في قتل سكانها وتدمير منشآتها.

ومن رسالة لأورليانوس الى أهل روما تشير الى عظم الدور الذي قامت به تدمر وملكتها في مقاومة الجيوش الرومانية يقول «يتحدث الرومان كما يطيب لهم يقولون بأني أحارب امرأة، هذا صحيح، انما احارب امرأة عظيمة، ولو عرف النقاد من هي زنوبيا لتحول نقدهم الى مديح لي، انها امرأة قوية حازمة الرأي مهمة حكيمة وشعبها يعبدها، وفي ظني لم اقابل عدواً مثلها ولكني سانتصر»[٥٣] وانتهت زنوبيا في روما حيث ماتت سنة ٢٨٥م. وسنشير عند الحديث عم مملكة الحيرة الى الخلط بيناسم الزباء (زنوبيا) وعلاقتها مع جذيمة الابرش حيث ان البعض خلط بين ملكة تدمر زنوبيا وبين الزباء (نائلة) التي كانت تحكم في مناطق بعيدة عن تدمر.

٦. جوانب من حضارة تدمر:

قامت حضارة تدمر وازدهرت بسبب ما جنت من فوائد عظيمة نتيجة موقعها على الطرق التجارية، كما استفادت في حضارتها كونها منطقة تلاقي للسلع والأفكار بين العراق والجزيرة العربية وبلاد الشام، ثم استفادت من خلال كونها منطقة حدية بين فارس ومناطق السيطرة الرومانية. وبذلك جاءت حضارتها مزيجاً من مؤثرات يونانية رومانية وسورية وفارسية، وقد تبنى هذه المؤثرات سكانها العرب فابدعوا في مجالات حضارية نلمحها في جوانب مختلفة.

وقد تشكل المجتمع التدمري من فئات مختلفة يمكن ان تقسم الى ثلاث مجموعات:

١- المواطنين الأحرار.

٢- العبيد.

٣- الأجانب.

والفئة الاولى هي من القبائل العربية التي استوطنت تدمر وعلى أيديهم قامت حضارتها، اما العبيد فهم خليط من عناصر مختلفة ويرجح أنهم كانوا يقومون بأداء مهمات تتعلق بالقوافل التجارية التدمرية، والأجانب هم القادمون الى تدمر بغرض الاتجار ومنهم اغريق وفرس(٥٤).

كانت اللغة السائدة في تدمر هي اللغة الآرامية الغربية وهي لغة لا تبعد كثيراً عن اللغة التي كانت مستخدمة عند الانباط(٥٥)، وقد ترك الانباط نقوشاً بهذه اللغة حفظت لنا جزءاً من تاريخهم الحضاري.

وكان في تدمر مجلس للشيوخ يدعى Boule ومجالس للعشائر كل منها يسمى Demos، وكان مجلس Demos يضم في عضويته كل أفراد القبيلة البالغين أما مجلس Boule فهم أصحاب الجاه والثراء من السكان، وكلا النوعين من المجالس تناقص دورها بعد أن أصبحت تدمر مملكة منذ عهد اذينة سنة ٢٥٠م. كما وجدت في المدينة وظائف تتعلق بالشؤون الاقتصادية والعسكرية وحل القضايا بين سكان المدينة وقائد جيش وقائد حامية عسكرية وقوة عسكرية لحماية القوافل التجارية(٥٦).

اما في مجال الديانة عند التدمريين فهي ديانة النظام الشمسي ومن الهتهم بعل، بعل سمين، يرحبول إله القمر ووجد ان هذه الالهه الثلاث كانت تعبد في معبد واحد. وكان معبد الشمس من اهم آثار مدينة تدمر.

ومن بين الالهة التي ذكرت في تدمر من خلال نقوش عثر عليها، اللات حيث ورد في نقش يعود الى سنة ٦٢م اشارة الى بناء معبد للات، ونقش آخر مؤرخ سنة ١٩٢م يشير الى العلاقة بين اللات والشمس(٥٧).

واكثر ما يثير الانتباه في حضارة تدمر هي الآثار التي خلفتها هذه الدولة والتي نجدها في تدمر وفي غيرها من المدن التي كانت في فلك الدولة التدمرية.

ومدينة تدمر نفسها مدينة واسعة يبلغ طولها من الشرق الى الشمال الغربي حوالي ٢٧٠٠م، واهم ما يشير الى تخطيطها شارعها الرئيسي الذي يبلغ طوله حوالي ١١٧٠م وتحيط به على الجانبين ٧٥٠ من الأعمدة المزينة، ولذا يسمى ايضاً بشارع الأعمدة وينتهي عند معبد بعل(٥٨).

ومن إبداعات التدمريين في مجال البناء والنحت علاوة على معابدهم، ما عرف عندهم «بيوت الابدية» وهي المدافن، وكانت على نماذج ثلاث:

١- المدفن البرج: وهو اول النماذج من المدافن التدمرية وقد يكون المدفن مكون من طابقين أو ثلاثة مشيدة بالحجر المهندم وتضم غرفاً للجثث.

٢- المدفن البيت: وظهر هذا النوع منذ القرن الثاني للميلاد.

٣- المدفن الأرضي: ظهر في القرنين الثاني والثالث للميلاد(٥٩).

وللمدافن التدمرية بشكل عام مدخل واحد يحيط به أو يعلوه منحوتات مختلفة بالنحت البارز المجسم، وتزين الجدران الداخلية عادة بنقوش محفورة بطريقة الحفر الغائر (العميق) في الصخر على شكل زخارف نباتية وهندسية، ورسوم النحت البارز لمن دفن فيها في وضعيات مختلفة، إضافة الى كتابات تذكارية موزعة على الجدران الداخلية لغرف المدافن.

ومن خلال المنحوتات التدمرية وصناعة التماثيل نجد أنها أقرب عندهم الى الطبيعة أي قريبة من النحت الروماني، ويظهر من هذه المنحوتات أن لباس أهل تدمر هو القميص والإزار والنساء استخدمن لباس يسمى الدرع (يقابل القميص عند الرجال) اضافة الى العباءة والطرحة واستخدمن أساور وعقود وحلي للراس(٦٠).

هوامش الفصل السادس

(١) يحيي: العرب في العصور القديمة، ص٦٠.

(٢) يحيى: نفسه، ص١٥٢.

(٣) عاقل: تاريخ العرب، ص١٠٩، يحيى: العرب في العصور القديمة، ص٣٤٥.

(٤) باشميل، محمد احمد: العرب في الشام قبل الاسلام، دار الفكر ط١، ١٩٧٣، ص٣٢، زيدان: مرجع سابق، ص٩٥-٩٦.
هاردنج، لانكستر: آ ثار الاردن، تعريب سليمان موسى، ١٩٦٥، ص١١٩.

(٥) باشميل: مرجع سابق، ص٢٢٦.

(٦) زيدان: مرجع سابق، ص١٠٤-١٠٥.

(٧) سالم: تاريخ العرب، ص١٨٦.

(٨) عاقل: تاريخ العرب، ص١١٢-١١٣، سالم: تاريخ العرب، ص١٨٨.

(٩) زيدان: مرجع سابق: ص٩٨-٩٩، عاقل: تاريخ العرب، ص١١٢.

(١٠) القسوس، نايف، الطراونه، خلف: مسكوكات العالمين القديم والاسلامي، عمان ١٩٩١، ص٢١.

(١١) عاقل: تاريخ العرب، ص١١٢.

(١٢) القسوس: مرجع سابق، ص٢١.

(١٣) سالم: تاريخ العرب، ص١٩.

(١٤) عاقل: تاريخ العرب، ص١١٢-١١٣.

(١٥) هاردنج: مرجع سابق، ص١٢٢.

(١٦) انظر فصل اليمن.

(١٧) القسوس: مرجع سابق، ص٢١.

(١٨) زيدان: مرجع سابق، ص١٠٠، عاقل: تاريخ العرب، ص١١٦.

(١٩) سالم: تاريخ العرب، ص١٩٥.

(٢٠) الانصاري، عبد الرحمن وآخرون: مواقع اثريه وصور من حضارة العرب في

المملكة العربية السعودية، قسم الآثار والمتاحف- كلية الآداب جامعة الملك سعود، ١٩٨٤، ص٢٠.

(٢١) القسوس: مرجع سابق، ص٢١.

(٢٢) يحيى: العرب في العصور القديمة، ص٣٤٦.

(٢٣) زيدان: مرجع سابق، ص٩٢-٩٤.

(٢٤) حتي: مرجع سابق، ص١٠٤-١٠٦، سالم: تاريخ العرب، ص١٩٦.

(٢٥) زيدان: مرجع سابق، ص٩٢-٩٤.

(٢٦) الانصاري: مواقع اثريه، ص٢٠.

(٢٧) باشميل: مرجع سابق، ص٣٢.

(٢٨) زيدان: مرجع سابق، ص١٠٢.

(٢٩) المعاني، سلطان: في حياة العرب الدينية قبل الاسلام من خلال النقوش، دراسات تاريخية، عدد ٤٧-٤٨ جامعة دمشق ١٩٩٣، ص١٠٠-١٠١.

(٣٠) يحيى: العرب في العصور القديمة، ص٣٤٧، عاقل: تاريخ العرب، ص١٢٦.

(٣١) سالم: تاريخ العرب، ص٢٠٢-٢٠٣.

(٣٢) سالم: نفسه، ص٢٠٣.

(٣٣) عاقل: تاريخ العرب، ص١٢٦-١٢٧.

(٣٤) حتي: مرجع سابق، ص١١٢، زيدان: مرجع سابق، ص١١٣.
يحيى: العرب في العصور القديمة، ص٣٤٧.

(٣٥) يحيى: العرب في العصور القديمة، ص٣٤٧، عاقل: تاريخ العرب، ص١٢٧.

(٣٦) زيدان: مرجع سابق، ص١١٣.

(٣٧) زيدان: نفسه، ص١١٣.

(٣٨) زيدان: نفسه، ص١١٤.

(٣٩) باشميل: مرجع سابق؛، ص٤٨.

(٤٠) زيدان: مرجع، ص١١٤.

(٤١) سالم: تاريخ العرب، ص٢٠٥، باشميل: مرجع سابق، ص٤٧.

(٤٢) زيدان: مرجع سابق، ص١١٤، عاقل: تاريخ العرب، ص١٣٠ وما بعد.

(٤٣) زيدان: مرجع سابق، ص١١٤.

(٤٤) سالم: تاريخ العرب، ص٢٠٧.

(٤٥) سالم: نفسه، ص٢٠٧.

(٤٦) الطبري: مصدر سابق، حـ١ ص١٦٧-١٦٨، المسعودي: مروج، حـ٢، ص٩٠.

(٤٧) سالم: تاريخ العرب، ص٢١١.

(٤٨) القسوس: مرجع سابق، ص٢٧.

(٤٩) الحسيني، محمد باقر: نساء عربيات من الانباط وتدمر نقشت صورتهن واسمائهن على النقود المتداوله- بحوث الندوة القطرية الخامسة لتاريخ العلوم عند العرب، مركز احياء التراث العلمي العربي، بغداد ١٩٨٩، ص٢٥٤-٢٥٥.

(٥٠) سالم: تاريخ العرب، ص٢١١.

(٥١) باشميل: مرجع سابق، ص٦٥.

(٥٢) عاقل: تاريخ العرب، ص١٤٠.

(٥٣) علي: مرجع سابق، حـ٣، ص١٢٠-١٢.
الزركلي: مرجع سابق، حـ٣، ص٧١.

(٥٤) عاقل: تاريخ العرب، ص١٤٢.

(٥٥) حتي: مرجع سابق، ص١١٤.

(٥٦) عاقل: تاريخ العرب، ص١٤٣.

(٥٧) المعاني: مرجع سابق، ص١٠٠.

(٥٨) حتي: مرجع سابق، ص١١٤، سالم: تاريخ العرب، ص٢١٩.

(٥٩) عاقل: تاريخ العرب، ص١٤٤.

(٦٠) زيدان: مرجع سابق، ص١٢١ وما بعدها.

الفصل السابع

الغساسنة والمناذرة

الفصل السابع

الغساسنة والمناذرة

أ. الغساسنة

مقدمة:

قبل الحديث عن الغساسنة ودولتهم التي اقاموها في بلاد الشام وطبيعة علاقات هذه الدولة بالقوى السياسية المعاصرة لهم، لا بد من الإشارة الى ان بلاد الشام كانت على صلات وثيقة بالجزيرة العربية مما جعل بلاد الشام ومنذ فجر التاريخ مكاناً استقرت به جماعات من القبائل العربية وساهمت في تطور تاريخ بلاد الشام وقارب ذلك بين بلاد الشام والجزيرة العربية ثقافياً مما كان له اثر بارز في فترة حاسمة من التاريخ. وهي فترة الفتوح العربية الاسلامية لبلاد الشام.

فمنذ القرن التاسع ق.م ترد اشارات في النصوص الاشورية لملك عربي مؤثر في اوضاع بلاد الشام وهو جنديبو العربي[١] وكذلك في القرن الثامن ق.م يشار في النصوص الاشورية الى الملكة العربية سمسي[٢] التي كانت على علاقات مع القوى الاشورية المؤثرة في بلاد الشام، وتتابعت اجيال عربية من الجزيرة العربية في التأثير في بلاد الشام حتى كان تأسيس دول عربية تمثلت في دولة الانباط والتي استمرت الى مطلع القرن الثاني الميلادي حتى قضى عليها الرومان ثم دولة تدمر -التي سبق الحديث عنها- حتى قضى عليها وعلى استقلالها اورليان الروماني لينتهي بذلك عهد الدول العربية المستقلة في بلاد الشام وهذا لا يعني بطبيعة الحال انتهاء النفوذ

العربي في الشام ولكنه قد يعني تغير في طبيعة سيطرة القبائل العربية على بلاد الشام وفي طبيعة علاقاتها مع القوى السياسية في بلاد الشام ومحيطها الجغرافي، وربما كان من ضمن هذا التغير هو لجوء القوى السياسية (الرومان في بلاد الشام) والفرس في بلاد العراق الى اصطناع القبائل العربية لحماية حدودها[٣]، او لصد غارات البدو وكان من ضمن هذه القبائل التي لعبت دوراً هاماً في العلاقات الرمانية الفارسية ومن بعد ذلك بطبيعة العلاقات بين الرومان والعرب في الجزيرة العربية مع بداية الدولة الاسلامية، كان من بين هذه القبائل المجموعات التي عرفت باسم الغساسنة.

وللحديث عن تاريخ الغساسنة في بلاد الشام لا بد من الاجابة على عدد من الاسئلة، منها من هم الغساسنة؟ متى جاءوا لبلاد الشام واسباب ذلك؟ مناطق سيطرتهم ودورهم؟ حكام الغساسنة؟ حضارة الغساسنة؟ وهذا ما سنحاول الاجابة عليه في الصفحات التالية:

١. من هم الغساسنة:

الغساسنة من اليمن القحطانيين، وهم من قبائل الازد (الاسد) بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ، نزحوا من اليمن في وقت لا يعرف بشكل دقيق وكان زعيمهم الذي قادهم في ترحالهم هو عمرو بن عامر ماء السماء بن حارثة الغطريف، ومن اولاد عمرو «الذي عرف بـ عمرو مزيقياء» جفنه بن عمرو ومن ولده آل جفنة والحارث المحرق وثعلبة العنقاء بن عمرو ومن ولده الاوس والخزرج وابو حارثة بن عمرو ومالك بن عمرو وكعب بن عمرو[٤].

وهؤلاء بعد نزوحهم من اليمن نزلوا في بلاد تهامة بلاد الاشعريين وعك واقاموا حول نبع ماء يدعى غسان يحدده المسعودي ما بين زبيد ورمع، ومن هنا كان

تفسير اطلاق اسم الغساسنة على هذه القبائل، فيقول حمزه الاصفهاني "وشربوا كلهم من ماء غسان فكل ولد عمرو بن عامر يدعون غسان حاشا ابا حارثه وحارثه وعمران وثعلبة العنقاء ووادعه وذهل فليسوا غسان، ولم يشربوا من ذلك الماء، فغسان هم: بنو الحارث وجفنه ومالك وكعب بني عمرو مزيقياء فقط»[٥].

ويفهم من رواية ابن حزم وغيرها على ان ابناء عمرو بن عامر لم يقيموا بعد ارتحالهم في موقع واحد، وهذا ما نجده مؤكداً في ان قسماً منهم وجد في منطقة يثرب وقسم آخر وجد في بلاد عمان، واذا عدنا الى نسبهم الى الازد نجد ان منهم ايضاً اللخميون الذين اقاموا ملكاً في الحيرة.

والغساسنة تسموا الى جانب هذا الاسم باسماء اخرى اشتهروا بها في التاريخ، فمنها ابنهم يسمون: آل جفنة على اعتبار ان من ملوكهم جفنة بن عمرو مزيقياء بن عامر ماء السماء، وفي شعر حسان بن ثابت ما يشير الى ذلك في قوله:

اولاد جفنة حول قبر ابيهم   قبر ابن مارية الكريم المفْضَل

يسقون من ورد البريص عليهم   بردى يصفق بالرحيق السلسَلِ[٦]

كما يسمون بآل ثعلبة نسبة الى ثعلبة بن مازن بن الازد[٧] كما يسمون بآل المحرق وهي صفة اطلقت على احد حكامهم وهو المنذر بن الحارث الذي خاض حروباً طويلة مع المناذرة، واحرق الحيرة وكان يطلق عليه لقب ملك الشرقيين كما كان يسمى المحرق[٨] على ان التسمية الاشهر كانت غسان والحديث يتكرر عن دولة الغساسنة وامراء الغساسنة، حيث يقول حسان بن ثابت:

أما سألت فانا معشر نجب   الازد نسبتنا والماء غسان[٩]

٢. مقدم الغساسنة الى بلاد الشام:

وهكذا وبعد ان اوجزنا في التعريف باصول الغساسنة، ننتقل الى موضوع آخر يتعلق بوجود الغساسنة في بلاد الشام واسباب ذلك، وللاجابة على هذا السؤال لا بد من العودة لمعرفة تاريخ هجرتهم من اليمن واسباب ذلك، والاشارات التي ترد في المصادر لا تعطي زمناً محدداً لهجرة الازد (الغساسنة) من اليمن وان كانت تربط ذلك بحادثة انهيار سد مأرب ويجعلون ذلك في حدود القرن الاول للميلاد، وقد سبق أن اشرنا عند الحديث عن دول اليمن على ان سد مأرب قد تعرض عبر التاريخ اليمني الى حالات تصدع واهمال على ان انهياره لم يكن الا في القرن السادس للميلاد، وعليه فان هجرة الغساسنة من اليمن وان كان من غير المستبعد ربطها بسد مأرب وما جرى عليه من اهمال او تصدع ادى الى ضعف في جوانب من الحياة الاقتصادية وخاصة تلك المتعلقة بالزراعة، الا أن المعروف ان الغساسنة لم ترتحل من اليمن الى بلاد الشام في هذا التاريخ فبعد خروجهم من اليمن طوفوا في مناطق متعددة وانقسموا الى جماعات عدة كان منها من ذهب الى مناطق تهامة اليمن شرق البحر الاحمر واقاموا هناك عند ابناء عمومتهم ابناء عك بن عدنان بن عبد الله بن الازد بن الغوث[١٠] وتغلبوا عليهم بعد فترة، كما كان للغساسنة قبل وصولهم لبلاد الشام استيطان في بلاد معد بن عدنان وفي الحجاز، وعلى ذلك فيرجح البعض ان وصول الغساسنة الى بلاد الشام لم يكن ليتم إلى بعد مرور ما يقارب ١٥٠ سنة بعد تركهم مأرب[١١]، ومعنى ذلك ان تواجدهم في بلاد الشام كان في اوائل الستينات من القرن الثالث للميلاد، وقد اشار اليهم بطليموس في القرن الثاني للميلاد[١٢]، وعدم الوضوح في تحديد الفترة الزمنية التي تواجد فيها الغساسنة في الشام قاد بعض الدارسين الى القول بان نزوحهم الى بلاد الشام كان قبل او بعد حادثة سيل العرم[١٣]، وقاد ذلك ايضاً الى عدم تحديد تاريخ محدد لمدة حكم الغساسنة في بلاد الشام وكذلك قاد الى عدم اتفاق حول عدد حكام الغساسنة في بلاد الشام.

ويشير ابن حزم على ان الذي تزعم الغساسنة حين وصلوا الى الشام كان ثعلبة بن عمرو بن المجالد بن الحارث بن عمرو واخوه جذع بن عمرو[١٤]، وفي هذه الاثناء كانت تستوطن بلاد الشام وتحكم فيها اقوام تعرف بالضجاعمة من قبائل بني سليح، وسليح هو عمرو بن حلوان بن عمران بن الحافي ابن قضاعة، ومنه حماطة وهو ضجم بن سعد بن سليح بن حلوان[١٥].

٣. علاقة الغساسنة بالضجاعمه في بلاد الشام:

وصل الغساسنة الى بلاد الشام والسيطرة على مشارفها لجيل من العرب هم تنوخ والضجاعم، وهؤلاء تسميهم مصادرنا العربية بملوك الشام.

اما كيف تطورت العلاقة بين الضجاعم المقيمون في الشام وبين الغساسنة القادمون الجدد، فمصادرنا تشير الى ان الغساسنة كانوا يؤدون اتاوة للضجاعم، وان هذا الامر قاد بعد ذلك الى محاولة من الغساسنة للتخلص منها واستطاعت ان تحقق ذلك، بل واستطاعت ان تصبح هي القوة المسيطرة[١٦].

اذن كانت علاقة الغساسنة بالضجاعمة في بداية الامر هي علاقة التبعية المقرونة بدفع مبالغ مالية، قادت بعد ذلك الى حروب بين الطرفين كانت نتائجها النهائية لصالح الغساسنة، وسوالنا هنا حول موقف الرومان من هذه الحروب بين الغساسنة والضجاعمة، وللاجابة على هذا السؤال لا بد من استقراء الاوضاع التي كانت تسود في بلاد الشام، ففي هذا الوقت (منتصف القرن الثالث للميلاد) كانت روما في صراع مع القوى الداخلية في بلاد الشام وخاصة مع تدمر في عهد الملكة زنوبيا، كما ان روما كانت على علاقات اشد ما تكون من العداوة مع القوة الفارسية، في ظل هذه الظروف جاء الصراع الغساني الضجعمي، والذي يهم روما (بعد ان رات رجحان كفة الغساسنة هو ليس القوة التي تسود بقدر ما يعنيها تحقيق

مصالحها سواء اكان الامر انتصاراً للغساسنة او الضجاعمة اي ان تعمل روما على ابقاء تبعية هذا الجيل من العرب او ذاك لها بما يحقق اهدافها في مواجهة الخطر الفارسي وضد الغارات البدوية، وعلى ذلك فان روما وبعد تغلب الغساسنة على ابناء عمومتهم الضجاعمة سارعت الى التفاهم معهم وعقد تحالف بين الطرفين، تعهد فيه الرومان بتقديم مساعدة عسكرية قوامها ما بين ٣٠-٤٠ الف مقاتل اذا حصل صراع بين الغساسنة والعرب الآخرين، وان يمد الغساسنة الروم بقوة عسكرية تقدر بعشرين الف لمناصرتهم في حال تعرضهم لخطر الفرس(١٧)

وما يمكن ان نفهمه من الروايات المختلفة حول علاقات الغساسنة بالضجاعمة انها مرت باطوار مختلفة منها طور التبعية من غسان الى ابناء عمومتهم الضجاعمه والتي كانت تقتضي ان يدفع كل فرد من الغساسنة سنوياً اتاوة قدرها دينارين عن كل رجل، ولكن يبدو ان الوضع قد بدأ يتغير تدريجياً لصالح الغساسنة لاسباب قد يكون منها ازدياد اعدادهم وقوتهم رافقه ضعف في جانب الضجاعمة حتى بلغ الامر بالغساسنة الى رفض دفع المبالغ المالية التي كانت تجبيها منهم الضجاعمة، وتورد مصادرنا الاسلامية قصة هذا الامر بالشكل التالي: ان احد رجال الغساسنة (جذع بن عمر الغساني) رفض دفع الاموال لمتولي جبايتها من الضجاعمه وهو سبطة بن المنذر السليحي ولم يكتفي بذلك بل انه قام بقتله، وقال بعد ذلك خذ من جذع ما اعطاك، وذهبت هذه المقولة مثلاً(١٨). وفي هذه الرواية دلائل هامه منها ان الذي امتنع عن دفع الاموال للضجاعمة والذي قام بقتل سبطة بن المنذر السليحي ليست شخصية عادية او من عامة الغساسنة، بل هو (كما وضحنا) من قادة الغساسنة وهو اخ ثعلبة بن عمرو بن الجالد اول من تولى الحكم على الغساسنة في بلاد الشام.

والامر الآخر الذي يجب ان نشير اليه هو ان هذه الحادثة وما تبعها من انتصار للغساسنة لم يكن لتعني انتهاء نفوذ او وجود اضجاعمة في بلاد الشام، فقد بقي الضجاعمة مقيمون في مواضع مختلفة من بلاد الشام وقد اشار اليهم النابغة

الذبياني (ت ٦٠٤م) في شعره اذ يقول:

لعمري لنعم المرء من آل ضجعم　　نزور ببصرى او ببرقه هارب

فتى لم تلده بنت عم قريبة　　فيضوي وقد يضوى سليل الأقارب[١٩]

ولكن نفوذ الغساسنة بدأ يزداد مع مرور الزمن منذ منتصف القرن الثالث للميلاد وان كان حكمهم يشمل مناطق محدودة الا أن حكامهم قد تلقبوا بالملوك تجاوزاً، وكان هذا اللقب -ملك- من الاسباب التي جعلت الروايات تضطرب حول تحديد مدة حكم الغساسنة في بلاد الشام فالبعض يجعلها ٦٠٠ سنة وآخرون يقصرونها على قرن وبعض القرن من الزمان[٢٠].

٤. ديار الغساسنة:

اختلفت المصادر الاسلامية حول تحديد المناطق التي كانت تتبع لدولة غسان، ولكن ما يمكن استخلاصه من زيارات الشعراء ومدحهم للملوك الغساسنة يساعدنا على تحديد مناطق كان نفوذ الغساسنة قد وصل اليها واقاموا فيها، فيشار الى ان ديارهم كانت ما بين الجولان واليرموك، ويشار الى مركزهم في الجابية في منطقة حوران، ويشار ايضاً الى بصرى كمركز من مراكز الغساسنة ولكن هذا ما عارضه نولدكه[٢١].

واذا عدنا واستقرأنا شعر بعض الشعراء امكننا ان نحدد بعض المناطق في الاردن وفلسطين كانت تتبع للغساسنة:

فالنابغة الذبياني (ت ٦٠٤م) يشير الى جلق (دمشق) وصيدا من مناطق كان للغساسنة نفوذ فيها.

لئن كان للقبرين قبر بجلق　　وقبر بصيداء الذي عند حارب

وللحارث الجفني سيد قومه ليلتمسن بالجيش دار المحارب[٢٢]

ويقول في رثاء النعمان بن الحارث -ويذكر الجولان، وبصرى، جاسم وحوران، من مناطق الغساسنة:

فآب مصلوه بعين جلية وغودر بالجولان حزم ونائل

سقى الغيث قبراً بين بصرى وجاسم بغيث من الوسمي قطر ووابل

بكى حارث الجولان من فقد ربه وحوران منه موحش متضائل[٢٣]

وللشاعر حسان بن ثابت في مدح ورثاء بعض حكام الغساسنة شعراً يذكر فيه مناطق يفهم انها كانت تتبع للغساسنة.

فيقول في مدح آل جفنة (الغساسنة)

لله در عصابة نادمتهم يوماً بجلق في الزمان الاول

يسقون من ورد البريص عليهم خمراً تصفق بالرحيق السلسل

اولاد جفنة حول قبر ابيهم قبر ابن مارية الكريم المفضل[٢٤]

ويقول في احدى مراثيه:

لمن الدار اقفرت بمعان بين اعلى اليرموك والصمان

من قريات من ثلاثين عدت ناسكاً منه بالقصور الدواني[٢٥]

وهكذا نجد ان الاشارات لديار الغساسنة تمتد لتشمل مناطق هي الآن ضمن اراضي المملكة الاردنية الهاشمية مثل الحديث عن معان في جنوب الاردن، وهنا نقول ان تواجد الغساسنة ونفوذهم في مناطق غوطة دمشق الى مناطق الجولان، وحوران، وحتى جنوبي الاردن، لا يعني انهم كانوا يسيطرون على هذه البقاع بشكل مستمر وانما كان ذلك يتأثر بطبيعة علاقة الغساسنة مع القوى القبلية الموجودة في بلاد

الشام وكذلك يتأثر ذلك بطبيعة علاقتهم مع الدولة الرومانية، واتساع نطاق السيطرة الجغرافية لملك الغساسنة لا يختلف في كثير عن طبيعة اتساع او ضيق الرقعة الجغرافية التي كانت تتبع -كما مر معنا- لدولة الانباط او التدمريين وتأثر ذلك بالتطورات السياسية والاقتصادية في المنطقة.

٥. اشهر حكام الغساسنة:

اختلف الدارسون حول ذكر اسماء من حكم من الغساسنة، وجاء هذا الاختلاف في تحديد عدد هؤلاء الحكام واول من تولى الحكم على الغساسنة في بلاد الشام، وقاد هذا الامر الى جعل عدد حكام الغساسنة لدى البعض يصل الى ٣٢ حاكماً حكموا فترة زمنية تقارب ستة قرون، في حين اقتصر البعض حكام الغساسنة على عشرة حكام وبالتالي كان تقدير فترة حكمهم لا تزيد على قرن من الزمان ويضع سنين[٢٦] ونرى ان سبب الاختلاف والخلط في هذا الموضوع يعود لعدد من الامور منها:

ان استخدام لقب ملك في المصادر العربية الاسلامية للشخصيات القيادية في غسان هو امر فيه تجاوز في اطلاق هذا اللقب، حيث ان الامر لا يعدو الخلط بين لفظ امير او شيخ والذي صح على العديد من زعماء الغساسنة، ولكن المصادر رسمتهم ملوك وربما كان مرد ذلك ان هذا البيت الغساني وحتى قبل هجرته من اليمن كان زعماؤه يلقبون بالملوك ومنهم عمرو بن عامر (مزيقياء) والذي لقب بابي الملوك[٢٧]، والامر الثاني في هذا الصدد هو ان اطلاق لقب ملك على حكام الغساسنة في بلاد الشام فيه تجاوز ايضاً اذ ان حكام الغساسنة حتى في ازهى عصورهم لم يكونوا اكثر من توابع للدولة الرومانية، وان كانت قد تعاملت معهم احياناً بالندية فمرد ذلك هدف روماني لتحقيق المصالح الرومانية، او بعضها والتي تتأتى من خلال مساعدات من الحكام الغساسنة، وحتى حين منح الرومان بعض حكام الغساسنة لقب ملك فان

ذلك لا يعني انه ملك متوج ويملك حرية التصرف بعيداً عن توجيهات الرومان ومصالحهم وان حصل ذلك فكانت روما تقف بالمرصاد لمثل هذا الامر.

وفي هذا الصدد يقول جورجي زيدان «ان الغساسنة حكموا لفترة في البادية كامراء لا يعرف بهم الرومان ولما استنجدوهم ومنحوهم لقب ملك، ولكن الرواة العرب اطلقوا على الجميع لقب ملوك الغساسنة»[٢٨].

واياً كان عدد الحكام الغساسنة امراء كانوا ام ملوكاً فاننا هنا سنشير الى اشهرهم، اي الذين تحققت تواريخ حكمهم او الذين قاموا باعمال ذات اثر واضح على السياسة في بلاد الشام وصراع الرومان مع الفرس وحلفائهم، ومن هؤلاء الحكام الغساسنة:

١. جفنة بن عمرو مزيقياء،

والذي حكم زمن الامبراطور البيزنطي انستازيوس الاول (٤٩١-٥١٨م)، وهو عند حمزة الاصفهاني اول من ملك من الغساسنة في الشام[٢٩]، في حين انه قد مر معنا ان اول من قاد الغساسنة وتولى حكمهم هو ثعلبة بن عمرو بن المجالد واخيه جذع بن عمرو، ورغم ذلك فانه لا تضارب بين الروايتين فالاشارة الى ثعلبة كاول حاكم للغساسنة في بلاد الشام تعني أنه اول من تولى امرتهم وهم لا يزالون من توابع الضجاعمة، والاشارة الى جفنة بن عمرو تفيد انه ربما كان اول من اعترف به الرومان بعد فترة طويلة من الصراع واتساع نفوذ ودور الغساسنة.

وتولى الحكم بعد جفنة اولاده ومنهم عمرو بن جفنة لمدة خمس سنوات ثم ثعلبة بن عمرو والذي حكم لمدة سبعة عشر عاماً ثم الحارث بن ثعلبة ثم جبلة بن الحارث، ثم الحارث بن جبلة.

٢. الحارث بن جبلة بن الحارث بن ثعلبة (٥٢٩-٥٦٩م):

وقد شهد عصر هذا الحاكم الغساني العديد من التطورات على صعيد علاقاته

بروما وعلاقاته الحربية مع الفرس وحلفائهم المناذرة وكذلك على الصعيد الديني

فروما منحت هذا الحاكم الغساني لقب ملك لحاجتهم الى قوته ليقف في وجه اعداء الدولة وخاصة الفرس وحليفهم حاكم المناذرة المنذر بن ماء السماء (٥١٤-٥٤٦م) وهذا اللقب كان موضع شك من قبل الدارسين وخاصة نولدكه الذي اشار الى ان اللقب لا يتعدى كونه Patricus (البطريق) او Phylarcus فيلاركوس (شيخ القبيلة)[٣٠]، وقد اشترك الحارث بن جبلة في حرب روما ضد فارس في سنة ٥٣١م حيث شاركت القوات الغسانية بقيادة الحارث مع القائد الروماني بليزاريوس ضد هجمات الفرس في عهد كسرى انو شروان (٥٣١-٥٧٩م) وحليفه اللخمي المنذر بن ماء السماء وقد استطاعت القوات الرومانية الغسانية ان تحقق انتصارات واسعة ضد الفرس وحلفائهم المناذرة، ولكن خلافات نشبت بين القائد الروماني بليزاريوس والحاكم الغساني الحارث مما جعل الاخير يتوقف عن تقديم المساعدات مما عكس انتصار الروم الى هزيمة على يد الفرس وحلفائهم[٣١]، ونتائج هذه الحرب تؤكد اهمية المساعدة الغسانية للرومان وربما كان فهم الرومان لذلك هو الذي جعلهم يحافظون على علاقات حسنة مع الحارث رغم توقفه عن مساعدة بليزاريوس مما عكس نتيجة الحرب.

كما نشبت الحرب بين المناذرة والغساسنة بتشجيع من القوتين الفارسيه والرومانية بل ان الحرب كانت نيابة عنهما، حيث هاجمت القوات الفارسية بلاد الشام سنة ٥٤٠م وتصدت لهم القوات الرومانية بمساعدة من الحارث.

ثم تتابعت الحروب بين المناذرة اللخميين والغساسنة في سنة ٥٤٤م وكانت نتائج هذه الحرب هزيمة لقوات الغساسنة حيث وقع احد أبناء الحارث اسيراً في يد قوات المنذر بن ماء السماء، والذي تشير المصادر على انه (المنذر) قد ضحى بابن الحارث اضحية للالهة العزى[٣٢].

وقد كان لهذه النتيجة الاثر الاكبر في استمرار الحروب الثأرية بين الغساسنة

والمناذرة حتى استطاع الحارث تحقيق انتصارات على المنذر وانتقم لابنه بأسر ابناء المنذر حيث لاقيا نفس مصير ابن الحارث حين وقوعه في يد المناذرة. وقد استطاع الحارث متابعة حروبه ضد المناذرة والتي انتهت بمقتل المنذر سنة ٥٥٤م(٣٣) وهذه الحرب اختلفت المصادر حولها فالبعض يجعلها موقعة عين اباغ، او موقعة الحيار بالقرب من قنسرين، او موقعة يوم حليمة، في حين ترى مصادر اخرى ان يوم حليمة جاء محاولة من المناذرة للانتقام من مقتل ملكهم المنذر ولكن نتائج المعركة كانت هزيمة للمناذرة مرة اخرى في عهد المنذر بن المنذر اللخمي(٣٤).

وقد تركت حروب الحارث صداها في الشعر العربي والذي اشار في جوانب منه الى هذه المواقع وإلى قوة الغساسنة.

فيقول ابن الرعلاء الضبابي:

كم تركنا بالعين عين اباغ ... من ملوك وسوقه اكفاء
امطرتهم سحائب الموت تترى ... ان في الموت راحة الاشقياء
ليس من مات فاستراح بميت ... انما الميت ميت الاحياء(٣٥)

وقال احد شعراء غسان مفتخراً بانجازات يوم حليمة:

يوم وادي حليمة وازدلفنا ... بالنعاجيج والرماح الظماء
اذا شخنا اكفنا من رقاق ... من وقعها سناء الحسناء
واتت هذه بالخلوق الى من ... كان ذا نجدة وفضل غناء
ونصبنا الجنان في ساحة المر ... ج فملنا الى جفان ملاء(٣٦)

ويقول النابغة الذبياني ذاكراً قوة الحارث وبني غسان:

وللحارث الجفني سيد قومه ... ليلتمس بالجيش دار المحارب

وثقت له بالنصر اذ قيل قد غزت كتائب من غسان غير أشائب

اذا ما عزوا في الجيش حلق فوقهم عصائب طير تهتدي بعصائب

ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب

تورثن من ازمان يوم حليمة الى اليوم قد جربن كل التجارب[٣٧]

وقد مدح الشاعر علقمة الفحل (ت ٥٦١م) الحارث الغساني بقوله:

الى الحارث الوهاب اعملت ناقتي لكلكها والقصر بين وجيب

لتبلغني دار امرئ كان نائباً فقد قربتني من نداك قروب[٣٨]

والحارث الغساني كان من اتباع مذهب الطبيعة الواحدة (اليعاقبة) وهذا المذهب يخالف مذهب الكنيسة الرسمية في القسطنطينية، وقد نجحت مجهودات الحارث في حماية هذا المذهب وانتشاره في بلاد الشام[٣٩] وتتابعت جهود الحارث على الصعد المختلفة محققاً انتصارات واسعة على اعدائه، ثم قرر زيارة القسطنطينية عام ٥٦٣م وهدف من هذه الزيارة تحقيق عدد من الامور، منها: ان يبحث مع الحكومة البيزنطية قضية من يرثه في الحكم وهو ابنه المنذر، وان يبحث مع حكام بيزنطة الخطط العسكرية لمواجهة القوى الفارسية وحليفهم عمرو بن المنذر (٥٥٤-٥٦٨م)[٤٠]، ويبدو ان علاقة الحارث مع اباطرة بيزنطة - رغم اختلافه مذهبياً عنهم- كانت جيدة، بدليل انه كان الشخص المؤهل لطلب دعم بيزنطة لامرئ القيس (ت ٥٦٠م) في الانتقام ممن قتلوا والده وانهو حكم آل كندة وكان من ضمن اعدائه قبائل بني اسد ومن ثم اللخميين في الحيرة، وقد اشار امرؤ القيس في شعره الى رحلته الى القسطنطينية ومروره ببلاد الشام في طريقه اليها، حيث يقول:

فلما بدا حوران والآل دونه نظرت فلم تنظر بعينك منظراً

تقطع اسباب اللبانة والهوى عشية جاورنا حماة وشيزرا

بكى صاحبي لما رأي الدرب دونه وايقن انا لاحقان بقيصرا

فقلت له لا تبك عينك انما نحاول ملكاً او نموت فنعذرا(٤١)

وقد كانت وفاة الحارث ما بين سنة ٥٦٩-٥٧٠م بعد ان امضى فترة طويلة في الحكم بلغت اربعين عاماً حقق من خلالها انجازات واسعة كان ابرزها انتصاراته المتكررة على الفرس والمناذرة، وحمايته لمذهب اليعاقبة في بلاد الشام.

٣. المنذر بن الحارث (المنذر الاكبر) ٥٧٠-٥٨٣م:

سبق ان اشرنا ان أحد اهداف زيارة الحارث الغساني الى القسطينطية عام ٥٦٣م هو بحث امر من يخلفه في حكم الغساسنة، وبعد وفاة الحارثة سنة ٥٧٠م تولى الحكم احد ابنائه وهو المنذر والذي يسميه حمزة الاصفهاني المنذر الاكبر(٤٢).

وقد ورث المنذر عن ابيه الصراع التقليدي مع المناذرة ولذلك كان استهلال حكمه بحرب خاضها ضد الحاكم اللخمي (النعمان ابو قابوس) الذي استغل وفاة الحارث الغساني للاغارة على بلاد الشام ولكن المنذر الاكبر تصدى له واستطاع ان ينتصر عليه سنة ٥٧٠م ويقتله في هذه الحرب(٤٣).

وعلاوة على حروب الغساسنة مع المناذرة في هذا العهد، فان من الامور الهامة التي حدثت في عهد المنذر هو ما جرى على علاقته مع الامبراطورية البيزنطية حيث ساءت هذه العلاقات وكان احد اسباب سوء العلاقات هو الخلاف الديني حيث ان المنذر كان كوالده مؤيداً وداعماً لاتباع مذهب الطبيعة الواحدة (اليعاقبة)، وثاني اسباب سوء العلاقة بحسب ما تورد المصادر هو الشك الذي ساور حكام بيزنطة حول علاقة المنذر بالفرس والمناذرة واتهامه بالتآمر معهم ضد بيزنطة. ولتوضيح اهم معالم العلاقات البيزنطية الغسانية نشير الى اهم الاحداث في هذا الصدد.

ففي عهدالامبراطور جستين الثاني (٥٦٥-٥٧٨م) بدأت العلاقات بالسوء مع المنذر منذ سنة ٥٧٥م للاسباب التي سبق ان اشرنا اليها، وقد قاد ذلك الى زيادة

الشك عند المنذر من محاولة بيزنطة العمل على اغتياله عن طريق البطريق مرقيانوس، وقد كان المنذر على علم بهذه الخطط البيزنطية مما الجاه الى اعلان الثورة على بيزنطة، وانسحب الى البادية بعيداً عن سيطرة القوات البيزنطية واستمر على هذا الحال مدة ثلاث سنوات حتى عام ٥٧٨م، وقد كان هذا الامر مغرياً للمناذرة والفرس لاستغلال هذه الظروف فبدأوا بمهاجمة الاراضي الشامية في غياب مساندة الغساسنة للقوات البيزنطية، ونتيجة هذه التطورات عادت بيزنطة وتحقيقاً لمصالحها لاسترضاء الحاكم الغساني المنذر سنة ٥٧٨م[٤٤] ودخلت بعدها علاقات المنذر مع بيزنطة مرحلة من الهدوء المؤقت وذلك في عهد الامبراطور طيباريوس الثاني (٥٧٨-٥٨٢م)، ومن علائم الهدوء والتحسن في العلاقة بين الطرفين تلك الزيارة التي قام بها المنذر الى القسطنطينية سنة ٥٨٠م حيث تم منحه مزيداً من الاحترام واضفيت عليه جملة من الالقاب اهمها لقب «ملك الشرقيين»[٤٥] وفي نفس العام وبعد عودة المنذر الى بلاد الشام عادت العلاقة بين الطرفين الى حالة من السوء والشك بسبب فشل غزو بيزنطي لاراضي فارس وكان المنذر وقواته من المشاركين في الغزو وقد حملت بيزنطة مسؤولية الفشل العسكري لهذه الحملة للمنذر وقواته على اعتبار انه كان متآمراً مع الفرس، والمناذرة، ولم تنجح محاولات المنذر بابعاد هذه التهمة عنه، فعلى الرغم من انه قام بغزو بلاد فارس والمناذرة، واستطاع تحقيق انتصارات باهرة على اللخميين في الحيرة، وعاد بالغنائم والاسرى في محاولة لاثبات انه ليس حليفاً للمناذرة او الفرس، ولكن بيزنطة رأت في هذا العمل تحدياً لها ومحاولة من المنذر لاثبات كفاءته على حساب القوات البيزنطية، وقادت بيزنطة سلسلة من الاجراءات ضد المنذر اسفرت عن اعتقاله وحمله الى العاصمة البيزنطية لتفرض عليه وعلى بعض افراد اسرته الاقامة الجبرية[٤٦] وبعد وصول موريقيوس الى الحكم في بيزنطة (٥٨٢-٦٠٢م) امر بنفي المنذر الى صقلية وعمل على التضييق على الغساسنة بأن قطع عنهم الامدادات الماليه هذا الامر الذي ساهم في اعلان الغساسنة بزعامة ابناء المنذر للقيام بالثورة ولجأوا كما لجأ والدهم من قبل الى البادية، وعادت بيزنطة لاستخدام اساليب متعددة للقضاء على هذه الثورة فجردت الحملات العسكرية التي لم تؤد الى

نتيجة مما الجأها الى اتباع اسلوب المهادنة المقرونة بالتآمر حتى استطاعت القبض على اكبر ابناء المنذر وهو النعمان ليذهب به الى عاصمة الدولة البيزنطية ليتكرر بذلك ما حصل لوالده، بُعد ذلك دخلت دولة الغساسنة والقوى المؤيدة لها في صراعات متشعبة مع بيزنطة وصراعات بينية قادت الى ضعف للغساسنة وتأثر للمصالح البيزنطية»[٤٧].

٦. حكام الغساسنة بعد سنة ٥٨٣م:

بعد نفي النعمان بن المنذر منذ سنة ٥٨٣م اضطربت اوضاع بلاد الشام، ويشير نولدكه الى انقسام عرب غسان وحلفائهم الى فرق متعددة متصارعة متباينة في ولائها -بعضها للفرس بعضها لبيزنطة- متباينة في مذاهبها حيث أن بعضهم عاد واعتنق مذهب الدولة البيزنطيه متخلين عن مذهب الطبيعة الواحدة (اليعاقبة)، وادت هذه الاختلافات الى ضعف في البنية السكانية والاقتصادية لبلاد الشام، مما كان مغرياً لفارس لاستغلال هذه الاوضاع لصالحها، وقد سارعت بيزنطة لتلافي هذه الاخطار والعمل على تعيين حاكم على غسان[٤٨].

وتشير المصادر الى عدد من الحكام الذين تولوا امر الغساسنة بعد سنة ٥٨٣ منهم الحارث الاصغر بن الحارث الاكبر، ثم الحارث الاعرج ابن الحارث الاصغر وكلاهما لم يحكم الا فترة قصيرة، ثم ابو حجر النعمان ٥٨٣-٦١٤م وفي عهده كانت القوات الفارسية قد سيطرت على بلاد الشام منذ سنة ٦١٣-٦٢٩م وقد اشار النابغة الذبياني الى هذا الحاكم الغساني بقوله:

إن يرجع النعمان نفرح ونبتهج ... ويأت معداً ملكها وربيعها
ويرجع الى غسان ملك وسؤدد ... وتلك المنى لو اننا نستطيعها
وان يهلك النعمان تُعر مطية ... ويلق الى جنب الفناء قطوعها[٤٩]

واشار اليه في قصيدة رثاء:

وقفت بربع الدار قد غير البلى | معارفها والساريات الهواطل
فما كان بين الخير لو جاء سالماً | ابو حُجر الاليال قلائل
فآب مصلوه بعين جلية | وغودر بالجولان حزم ونائل(٥٠)

ويعد هذا الحاكم الغساني تضطرب المصادر في ذكر من ولي امر الغساسنة، وهناك اشارة الى عمرو بن النعمان، وحجر بن النعمان ولكنها (المصادر) لا تزودنا بمعلومات عن هذين الحاكمين، ثم تردنا اشارات عن شخصيات غسانيه كانت تحكم في بلاد الشام تحت سيطرة الرومان وخاصة بعد ان استطاع هرقل ان يخلص بلاد الشام من السيطرة الفارسية، وفي هذه الاثناء كان هناك تطور على قدر كبير من الاهمية يحدث في منطقة الحجاز حيث شرعت الدولة الاسلامية الناشئة في نشر الاسلام الى المناطق التخومية للجزيرة، وتزودنا المصادر باشارات عن وفود بعث بها الرسول الكريم الى عرب بلاد الشام وما يعنينا هنا هو الاشارات الواردة عن شخصيات غسانية كانت لا تزال موالية لبيزنطة ومعادية للدولة الاسلامية ومن هذه الشخصيات التي يشار اليها الحارث الغساني الذي رفض دعوة الاسلام وقتل مبعوثي الدولة الاسلامية، وكذلك شخصية شرحبيل بن عمر الغساني الذي كان في منطقة مؤته هو الذي قتل مبعوث الدولة الاسلامية الحارث عمير الازدي، وتتكرر الاشارات للغساسنة في احداث بلاد الشام قبل معركة مؤته سنة ٨هـ، وكذلك الحال في معركة اجنادين ١٣هـ، ومعركة اليرموك ١٥هـ، وهذه الاشارات تؤكد بقاء الغساسنة قوة مؤثرة في بلاد الشام وان كانت هيبتها اقل مما كانت عليه سابقاً وتؤكد استمرار تحالفها مع بيزنطة ضد الدولة الاسلامية(٥١)

جبلة بن الايهم - آخر حكام الغساسنة:

استطاع الامبراطور البيزنطي هرقل ان يحقق نجاحات هامة، منها انه خلص بلاد الشام من السيطرة الفارسية، ووحد الغساسنة واوكل امر زعاماتهم الى جبلة بن الايهم وذلك بحدود سنة ٦٣٥م، وقد وقف جبلة بن الايهم الى جانب بيزنطة في

حروبها مع فارس، كما حارب الى جانب القوات البيزنطية ضد جيوش الفتح الاسلامي، وتشير المصادر الاسلامية الى كونه آخر حكام الغساسنة وانه اقبل على الاسلام في عهد الخليفة الراشدي عمر بن الخطاب، ثم عاد الى نصرانيته بعد ان اقتص منه القضاء الاسلامي للطمة احد المسلمين، فاغاظه ذلك وعاد الى النصرانية وغادر اراضي الدولة الاسلامية والتحق ببيزنطة عند هرقل[٥٢]، وبذلك تكون دولة الغساسنة قد انتهت بعد ان اصبحت بلاد الشام من الاطار الجغرافي والسياسي لدولة الاسلام.

٧. حضارة الغساسنة:

مما لا شك فيه ان الغساسنة كانوا مؤهلين لإنشاء حضارة تتناسب مع موروثاتهم التي جاءوا بها من بلاد اليمن في مجالات الحياة الاقتصادية الزراعية والتجارية، كما ان اقامتهم الطويلة في بلاد الشام وطبيعة علاقاتهم مع القوى المؤثرة فيها وعلى حدودها قد اكسبهم خبرة في مجالات حضارية متنوعة اكتسبوها من علاقاتهم مع الرومان والفرس، وتبين لنا من خلال تاريخهم الذي اشرنا اليه مدى القوة التي وصلوا اليها وخاصة في الميدان العسكري.

وقد اهتم الغساسنة بامر الزراعة ولا بد ان ذلك جاء بعد انتقالهم من طور التوابع للضجاعم الى دور القيادة في بلاد الشام وسيطروا على مناطق مؤهلة للانتاج الزراعي بطبيعتها وتوفر المياه فيها مثل مناطق غوطة دمشق والجابية ومناطق حوران، وقد كانوا اهل ثراء وكرم يجزلون العطايا وتقوم على خدمتهم الولائد البيض ومنعمون في ملبسهم وشؤون حياتهم، وقد اشار الى مثل هذه الامور الشاعر النابغة الذبياني في قوله:

مـــحلتـــهم ذات الاله ودينهم   قويم فما يرجون غير العواقب

رفــاق النعــال طيب حــجـزاتـهم يحـيون بالريحـان يوم السبـاسب

تحـيـيـهم بيض الولائد بينهم واكسية الاضـريج فوق المشـاجب

يصـونون اجساداً قديماً نعيمها بخالصة الاردان خضر المناكب[٥٣]

وقد اشارت الدراسات الى اهتمامات عمرانية لدولة الغساسنة تمثلت بعدد من القلاع والحصون والاديرة، فمنها كنيسة في مدينة الرصافة يعود زمن بنائها الى عهد المنذر بن الحارث (٥٦٩-٥٨٢م) ودير في قصر الجبر الغربي بناه الحارث بن جبلة سنة ٥٥٩م[٥٤]. ويشار الى بناء لهم في منطقة القسطل[٥٥]، بل ومن الآثار الهامة التي تنسب اليهم -ولكنها موضع شك من قبل الدارسين- قصر المشتى[٥٦].

ب. المناذرة:

١. هجرة التنوخيين الى بادية العراق:

كانت هجرة القبائل العربية الى بلاد العراق تزداد تبعاً لحالة هذه القبائل من القوة والضعف والحاجة وتبعاً للاوضاع السياسية والعسكرية التي كانت تسود في بلاد العراق، فكلما شهدت اوضاع العراق الداخلية ضعفاً في النظام السياسي والعسكري تبع ذلك بروز دور اكبر للقبائل في داخلية العراق وبنفس الوقت تشهد اراضي العراق موجات جديدة من هجرة القبائل اليها من جزيرة العرب.

ومن اشهر القبائل التي يشار الى هجرتها الى بلاد العراق مستفيدة من ظروفه الداخلية هي هجرة قبائل تنوخ وهي من قبائل جنوب الجزيرة العربية هجرت موطنها لاسباب داخلية ذكر منها ما ذكر بشأن هجرة الغساسنة هو الامر المتعلق بتصدع او انهيار سد مأرب (سبق ان ناقشنا ذلك عند الحديث عن هجرة الغساسنة) وان هذه القبائل قامت في بادئ امرها في منطقة البحرين منتظرة لظروف تتيح لها الانتقال الى مناطق العراق[٥٧]، وكانت الظروف في العراق مضطربة منذ تقسيم الاسكندر المقدوني لبلاد فارس لعدد من الدويلات الصغيرة تولى حكمها ملوك وحكام كانوا يسمون ملوك الطوائف واستمروا الى سنة ٢٢٦م الى بداية عهد اردشير بن بابك مؤسس حكم آل ساسان. وفي عهد ملوك الطوائف كانت هجرة التنوخيين الى بلاد العراق وكما يشير الطبري فان قائد هجرتهم هو مالك بن فهم بن غنم بن دوس قد وصلوا الانبار وسيطروا عليها وكانت للارمانيين وهم من نبط السواد وطلع قوم آخرون على نفر وهي للاردوانيين وهم من ملوك الطوائف وكان طلوعهم بعد ان استوطنوا البحرين فترة من الزمن، وقد تجمع في الانبار والحيرة على ضفاف الفرات

اقوام عرب كثيرون يقيمون في المظال والاخبية وملكوا عليهم مالك بن فهم»[٥٨]

وهكذا فان التنوخيين من الازد بدأت سيطرتهم على مناطق الحيرة والانبار منذ عهد مالك بن فهم واسسوا دولة استمرت الى ظهور دولة الاسلام، وقد كانت علاقة حكام الحيرة مع الدولة الفارسية مشابهة لعلاقات الغساسنة مع الدولة الرومانية حيث حرصت فارس على الاستفادة من ملوك الحيرة في حماية حدود دولتهم من غارات القبائل البدوية وكذلك من غارات الدولة الرومانية وحلفائها.

٢. ملوك الحيرة:

توالى على حكم الحيرة اثنان وعشرون حاكماً كانت مدة حكمهم حوالي ٣٦٤سنة كان من بينهم ستة عشر حاكماً من آل نصر اللخميين، وستة آخرون من قبائل عربية اخرى او ولاة من الفرس[٥٩]. على ان هناك مجموعة اخرى من الحكام من الازد قبل انتقال الحكم الى اللخميين، وسنشير الى اهم حكام الحيرة وفق التقسيم التالي:

ا. الحكام الازديون:

وأول هؤلاء الحكام هو مالك بن فهم وهو اول من حكم من تنوخ وحكم مدة تقارب عشرين عاماً وكان يقيم في منطقة الانبار واتخذها مقاماً له وظل فيها حتى رماه سليمة بن مالك بسهم فقتله خطأ، وفي ذلك يقول مالك بن فهم:

اعلمه الرماية كل يوم　　فلما اشتد ساعده رماني
فلا ظفرت يداه حين يرمي　　وشلت منه حاملة البنان
فبكوا يا بني علي حولاً　　ورثوني وجازوا من رماني[٦٠]

وبعد مقتل مالك بن فهم تولى الحكم بعده عمرو بن فهم والذي لا تزودنا

بالمصادر باي معلومات عنه، ليصل الحكم بعد ذلك الى شخصيه اطنبت المصادر في الحديث عنها وهي شخصية جذيمة بن مالك بن فهم وهو الذي عرف بجذيمة الابرش وجذيمة الوضاح وجذيمة الصباح، وتعود فترة حكم جذيمة الى بداية عهد الدولة الساسانية بل وتشير بعض الروايات الى ان تعيينه حاكماً كان على يد اردشير ابن بابك الذي قضى على ملوك الطوائف[٦١]، ومن المصادر المختلفة امكن التثبت من ان جذيمة قد حكم في القرن الثالث للميلاد، وهناك اشارة الى اسمه كحاكم على تنوخ في نقش نبطي ويوناني عثر عليه في (ام الجمال) ويرجع تاريخ النقش الى سنة ٢٧٠م، وورد فيه «هذا موضع (قبر) فهر ابن شلي (سلي) مربي جذيمة ملك تنوخ»[٦٢].

وحول مدة حكم جذيمة فهناك تباين في تحديدها ففي حين يجعلها البعض تستمر ما بين ٢٠٨-٢٦٨م وأخرون يجعلونها تستمر مائة وثماني عشرة سنة اومائة وعشرون سنة[٦٣]. ويبدو اضحاً ان في الرأي الأخير الكثير من المبالغة والبعد عن الحقيقة، واذا كان الامر غير واضح فيما يتعلق ببداية حكم جذيمة فهي عند البعض٢٠٨م كما اشرنا، في حين يفهم من الروايات السابقة التي تشير الى ان حكمه يبدأ مع حكم اردشير بن بابك ومعنى ذلك ان حكمه يبدأ منذ عام ٢٢٦م او بعد ذلك بقليل، ويفهم ان نهاية حكمه تكاد تكون حقيقة من حيث انتهائها سنة ٢٦٨م على اعتبار ان هذا التاريخ هو بداية حكم خليفة جذيمة وهوعمرو بن عدي كما سنشير لذلك فيما بعد. وخلال حكم جذيمة الذي امتد الى ما يزيد عن اربعين سنة برزت له العديد من الاعمال ونسبت اليه الروايات الكثير من الحروب والمآثر.

ومن حروب جذيمة حروبه لقبيلة اياد في منطقة الجزيرة وكان سبب الحرب بينه وبين اياد هو الصراع حول المياه وطرق التجارة والمراعي وخاصة ان منازل حذيمة وقومه -مابين الحيرة والانبار وبقه وهيت وناحيتها وعين التمر واطراف البر الى الغدير وجفنه والقطقطانه، ومنازل اياد او بعضهم فيما بين البصرة والكوفة وفيما يلي الحيرة واكثرهم في عين اباغ[٦٤]، كما ان الطبري يشير الى مناطق خاض فيها جذيمة

حروباً ضد قبائل متعددة يفهم منها ان حدود حكمه امتدت الى مناطق خارج العراق(٦٥)، ونفهم من ذلك ان قوة وسطوة جذيمة جعلت العديد من القبائل في مناطق مختلفة تدين له وتهاب قوته.

وما يهمنا هنا هي قصة حروبه مع اياد لما لها من دلالات هامة ادت فيما بعد الى انتقال الحكم من الازد الى اللخميين، وما يمكن ان نستخلصه من الروايات حول حروب وعلاقات جذيمة مع قبيلة اياد وفق ما ورد عند الطبري والمسعودي:(٦٦) «ان جذيمة حارب اياد للاسباب التي ذكرناها سابقاً وتضيف المصادر هنا سبباً آخر وهو ان جذيمة كان له صنمين يقال لهما الضيزنان كان يستسقي بهما ويستنصرهما على العدو، وان اياد ارادت الانتقام من جذيمة فارسلت من سرق الصنمين ثم تتابع الروايات الحديث عن صلح او مهادنة بين اياد وجذيمة حيث تكفلت اياد باعادة الصنمين لجذيمة وارسلت معهما غلاماً كان قد طلبه جذيمة وهو عدي بن نصر اللخمي الذي سمع عنه جذيمة وعن ظرفه ووسامته ورغب ان يكون من ندمائه، وتتابع الروايات سرد القصة حول عدي ومكانته عند جذيمة وكيف انه استطاع ان يصل الى قلب اخت جذيمة والتي تسميها المصادر «رقاش» ووقع كلاهما في حب الآخر واحتالا على الزواج باستغلال فترة شراب جذيمة وسكره حيث وافق على زواج عدي ابن نصر من رقاش، وتتابع المصادر سرد القصة بان جذيمة بعد ان صحى من سكره ووجد امر الزواج قد تم، قال مخاطباً اخته رقاش بقوله:

خبريني رقاش لا تكذبيني ابحر زنيت ام بهجين

ام بعبد، فانت اهل لعبد ام بدون، فانت أهل لدون(٦٧)

وما يعنينا من هذه القصة هو ان نتيجة هذا الزواج كان ميلاد عمرو بن عدي الذي تولى الحكم بعد جذيمة ناقلاً الحكم من الازد الى بني لخم، وعودة الى جذيمة فهو آخر الحكام الازد في العراق ووصفته المصادر بالملك المحارب وافضل الملوك رأياً واظهرهم حزماً ونسبت اليه انه اول من عمل المنجنيق واول من جلس على السرير من

ملوك العرب واول من لبس الطوق وغيرها من الامور[٦٨].

اما نهاية جذيمة فهي موضع خلاف بين الدارسين وان كان هناك اجماعاً على ان مقتله كان على يد الزباء (نائلة) انتقاماً منه لغزواته على قومها وقتله والدها عمرو بن الظرب بن حسان بن اذينة بن السميدع الذي كان يحكم بارض الجزيرة ومشارف بلاد الشام، حيث تقربت منه الزباء وارغبته بالزواج منها وهي تنوي التخلص منه بقتله ثأراً لوالدها، ووفق الروايات تم الزواج واستطاعت الزباء تحقيق مآربها والتخلص من جذيمة، ولكن هذه القصة اثارت التساؤل حول شخصية الزباء، هل المقصود بها زنوبيا ملكة تدمر ام شخصية اخرى كانت تحكم في مناطق الجزيرة الفراتية[٦٩].

ب. حكام الحيرة من بني لخم (آل نصر):

١. عمرو بن عدي ٢٦٨-٢٨٨م:

تولى الحكم بعد خاله جذيمة وورث عنه قصة الصراع مع الزباء حتى تمكن من القضاء عليها انتقاماً لمقتل خاله وقد اتبع في ذلك اسلوب الحيلة والخداع الى ان تم له ذلك على يد منفذ عملية قتل الزباء وهو قصير بن سعيد اللخمي الذي كان من الشخصيات المقربة من جذيمة ومن الذين رفضوا زواج جذيمة من الزباء[٧٠]. وقد اشتهر عمرو بن عدي بالقوة وشدة البأس حتى ذات صيته بين القبائل العربية، والى عمرو بن عدي يرجع الفضل بتمصير الحيرة بعد ان مر عليها وقت اهملت فيه، وكان سكان الحيرة في عهده يتكونون من مجموعات ثلاث هم:

- عرب الضاحية: وهم اصحاب المظال وبيوت الشعر والوبر والاخبية الذين لم يسكنوا بيوت المدر في الحيرة. وهؤلاء في قسم كبير منهم من التنوخيين الاوائل الذين هاجروا الى العراق من اليمن وكانت منازلهم ما بين الحيرة والانبار.

- العباد: وهم قوم من نصارى العرب وكانوا اهل استقرار في الحيرة، ويشمل هذا القسم مجموعات من قبائل مختلفة جمع بينهم الديانة النصرانية وحياة الاستقرار مقارنة بعرب الضاحية.

- الأحلاف: وهم يشكلون مجموعات من قبائل مختلفة التحقوا بأهل الحيرة وربما كانوا أقواماً اعترفوا بسيادة المناذره او أنهم حالفوهم[٧١].

٢. امرؤ القيس بن عمرو بن عدي ٢٨٨-٣٢٨م:

ويعرف هذا الحاكم بامرئ القيس البدء او الأول ويشار الى انه اول من تنصر من ملوك آل نصر، وتضطرب الروايات حول مدة حكمه فحمزه الاصفهاني يجعل حكمه يصل الى ١١٤ سنة[٧٢] وهو امر مبالغ فيه واقرب المؤرخين دقة في تحديد فترة حكمه هو اليعقوبي والذي يجعلها مدة خمسة وثلاثون سنة[٧٣]، وهو زمن يقارب ما ذكر عنه في نقش النمارة الذي يمدد وفاته بسنة ٣٢٨م، ولنقش النمارة اهمية في تحديد ملامح عصر امرؤ القيس وفتوحاته وحروبه ومبلغ ما وصل اليه من سطوة ونفوذ على القبائل العربية وعلاقته مع فارس، وها نحن ننقل نص النقش للاهمية التي ذكرناها.

«هذا قبر امرئ القيس عمرو ملك العرب كلهم الذي تقلد التاج/ واخضع قبيلتي اسد ونزار وملوكهم وهزم مذحج الى اليوم وقاد/ الظفر الى اسوار نجران مدينة شمر واخضع معداً واستعمل بنيه/ على القبائل وانابهم عنه لدى الفرس والروم، فلم يبلغ ملك مبلغه/ الى اليوم، توفي سنة ٢٢٣ وفق بنوه للسعاده»[٧٤]

ووفاته الواردة في النقش سنة ٢٢٣ بتقويم بصرى يضاف اليها ١٠٥ سنوات حيث ان تقويم بصرى يبدأ بسنة ١٠٥م بدخولها في حوزة الروم، وبذا يصبح تاريخ وفاته سنة ٣٢٨م.

٣. عمرو بن امرئ القيس ٣٢٨-٣٧٧م:

ويعرف بعمر والثاني، وعاصر من ملوك الفرس سابور ذا الاكتاف واخاه اردشير بن هرمز وبعض ايام سابور بن سابور، وشهدت نهاية عصره اضطراباً في البيت الحاكم حول وراثة الحكم مما ادى الى انتقال الحكم الى شخصية ليست من البيت الحاكم (آل نصر)، حيث قام سابور بتعيين أوس بن قلام لحكم الحيرة ليعمل على توطين الامن وحسم مادة الخلاف بين ورثة عمرو بن امرئ القيس[٧٥].

٤- امرؤ القيس بن عمرو بن امرئ القيس ٣٨٢-٤٠٣م:

ويلقب بامرئ القيس الثاني تمييزاً له عن امرئ القيس البدء (الاول) ويلقب المحرق الاول لانه اول من عاقب بالنار[٧٦]، وقد عاصر خلال فترة حكمه من حكام الفرس سابور بن سابور وبهرام بن سابور ويزد جرد.

٥- النعمان بن امرئ القيس الثاني ٣٩٠-٤١٨م:

وعرف بالنعمان الاول كما عرف بلقب النعمان الأعور، النعمان السائح والاخيرة من القابه جاءت نتيجة ما قيل عن زهده في الدنيا في اواخر ايام حكمه حيث تخلى عن الحكم ولبس المسوح وساح الارض[٧٧] وحول فترة حكمه هناك اختلاف حول بداية هذا الحكم ونهايته فهي عند جورجي زيدان تبدأ من سنة ٤٠٣م وتنتهي سنة ٤٣١م[٧٨]. وقد حظي النعمان بشهرة واسعة في تاريخ ملوك الحيرة حيث نسبت اليه انجازات على الصعيد العسكري حيث خاض حروباً عدة مع القبائل العربية في بلاد الشام، وكانت لديه قوة عسكرية مكونة من خمسة اقسام هي:

١- الدواسر: وهي قوة لتنوخ.

٢- **الشهباء**: وهي من قوات فارسية.

٣- **الرهائن**: وهي قوة عسكرية قوامها خمسائة رجل من القبائل العربية تقيم في خدمة النعمان لمدة سنة وتستبدل، ويمكننا ان نستنتج ان هذه القوة كانت تدل على مدى نفوذ النعمان على القبائل العربية من جهة وعلى عدم اطمئنانه لولاء هذه القبائل له فيأخذ منها رهائن لديه لضمان ولائها والا كان افرادها عرضة للقتل.

٤- **الصنائع**: وهم بنو قيس وبنو تيم اللات ابني ثعلبة وكانوا من خواص الملك.

٥- **الوضائع** : وهم قوة فارسية تتكون من الف رجل يقيمون عند النعمان في الحيرة نجدة له ويتم استبدالهم سنويا[٧٩] .

والى جانب القوة العسكرية فمن الاعمال التي تعود الى عصر هذا الحاكم هو بناء الخورنق وهو قصر بظاهر الحيرة واختلف في قصة بنائه وهل كان ذلك برغبة وامر من النعمان ام ان ذلك جاء بناء على رغبة واوامر الحاكم الفارسي يزد جرد بن بهرام رغبة منه في ان يجد مكاناً مناسباً لابنه بهرام في قصة ذكرها الطبري[٨٠]، وينسب العمل المعماري في بناء الخورنق الى شخص يسمى سنمار والذي ابدع في صنعته وحسب رواية الميداني في الامثال لقي سنمار القتل حتى لا يبني مثله لغير النعمان وهناك روايات اخرى عن سبب مقتله، ولقد كانت فعلة النعمان وهناك روايات اخرى عن سبب مقتله، ولقد كانت فعلة النعمان بسنمار مثلاً من امثال العرب لمن يجازي الاحسان بالاساءة، وفي ذلك يقول الشاعر:

جزتنا بنو سعد بحسن فعالنا   جزاء سنمار وما كان ذا ذنب[٨١]

وينسبون للنعمان ايضاً بناء قصر السدير[٨٢] وهو قصر قريب من الخورنق، والسدير مختلف في معناها فقيل ان الكلمة فارسية بمعنى ثلاثة قباب متداخلة، او ان هذا الاسم جاء نظراً لكثرة مواد القصر وشجره،

ومما يشار اليه وهو ذو دلالة في عصره عن اعتناق النعمان للمسيحية وربط ذلك تأكيد لاعتناقه المسيحية ما اشرنا اليه سابقاً من انه لقب بالنعمان السائح، ولكن هذا الامر كان موضع شك وربما كان الامر لا يتعدى كون النعمان ممن يعطفون على النصاري او يتسامحون معهم(٨٣).

٦. المنذر الاول بن النعمان ٤١٨-٤٦٢م:

كان المنذر على علاقة جيدة مع الحاكم الفارسي يزدجرد، هذه العلاقة التي جعلت الحاكم الفارسي يفوض المنذر بالحكم على جميع ارض العرب، كما ان المنذر كان مشاركاً في الحروب الى جانب فارس ضد بيزنطة في عهد بهرام جور بن يزدجرد تلك الحروب التي انتهت الى توقيع صلح بين فارس وبيزنطة سنة ٤٢٢م(٨٤).

ويرى جورجي زيدان ان حكم المنذر بدأ سنة ٤٣١م واستمر الى سنة ٤٧٣م على اعتبار ان حكم والده انتهى سنة ٤٣١م وليس سنة ٤١٨م(٨٥)، وقد خلفه في الحكم النعمان الثاني بن المنذر ولكن المصادر لا تزودنا بمعلومات عن فترة حكمه.

٧. الاسود بن المنذر الاول بن النعمان ٤٧٦-٤٩٣م:

اشتهر هذا الحاكم بحروبه ضد القبائل العربية اذ حارب تجمع قبائل بني اسد وبني ذبيان(٨٦)، كما حارب غساسنه الشام وحقق انتصارات عليهم في العديد من المواقع واسر منهم اعداداً كبيرة، وقد اراد ان يعفو عن اسرى غسان ولكن احد ابناء عمومته وهو ابو اذينة حرضه على عدم فعل ذلك، وقال في ذلك شعراً.

ما كل يوم ينول المرء ما طلبا   ولا يسوغه المقدار ما وهبا

وانضف الناس من ان فرصة عرضت   لم يجعل السبب الموصول مقتضبا

والعفو الا عن الاكفاء مكرمة   من قال غير الذي قلته كذبا
قتلت عمراً وتستبقي يزيد لقد   رأيت راياً يجر الويل والحربا
لا تقطعن ذنب الافعي وترسلها   ان كنت شهماً فاتبع رأسها الذنبا[87]

ويعد عهد الاسود توالى على الحكم عدد من الحكام حكموا لفترات قصيرة ولم تشهد المصادر بحوادث هامة في عهدهم حتى مجيئ المنذر بن ماء السماء، ومن هؤلاء الحكام المنذر بن المنذر بن النعمان (٤٩٦-٤٩٨م) والنعمان بن الاسود ابن المنذر (٤٩٨-٥٠٢م) وامرؤ القيس الثالث بن النعمان بن امرؤ القيس ما بين ٥٠٥-٥١٢[88].

٨. المنذر بن امرؤ القيس الثالث بن النعمان المعروف بابن ماء السماء (٥١٢-٥٥٣)م

عرف هذا الحاكم بانه من اشهر حكام الحيرة لعدد من الاسباب منها: طول فترة حكمه ولحروبه المتعددة التي خاضها ضد بيزنطة وحلفائها الغساسنة، وكذلك لان علاقته مع فارس تأرجحت ما بين المحالفة والمخالفة.

ومن حروبه المشهورة التي خاضها مع الحاكم الغساني الحارث بن جبلة بن الحارث ابن ثعلبة (٥٢٩-٥٦٩م) والتي سبق ان اشرنا اليها عند الحديث عن دولة الغساسنة مثل موقعة عين اباغ وموقعة الحيار ويوم حليمة واشرنا الى ان هذه الحروب انتهت بمقتل المنذر في موقعة يوم حليمة مما جعل العلاقة تستمر عدائية بين المناذرة والغساسنة بعد هذه الموقعة لان المناذرة في عهد عمرو بن المنذر كانوا يرغبون بالانتقام والثأر لمقتل سيدهم في يوم حليمة.

اما عن علاقة المنذر بالدولة الفارسية فيشار الى انها شهدت اضطراباً في عهد الحاكم الفارسي قباذ (٤٨٨-٥٣١م) الذي كان يعمل على جعل المنذر يعتنق المزدكية

ولكنه رفض ذلك، الامر الذي قاد الى محاولة فارسية اثمرت عن خلع المنذر عن حكم الحيرة وتعيين الحارث بن عمرو الكندي، ويرى جواد علي ان الصراع بين قباذ والمنذر استمر في الفترة ما بين ٥١٥-٥٣١م وان جوهر الصراع لم يكن دينياً بقدر ما كان تخوفاً من جانب قباذ من قوة المنذر وخشية من توسعه او محاولة تحالفه مع الرومان ضده ولذلك قرر التخلص منه[٨٩]، ولكن المنذر عاد الى الحكم بعد ان تولى مقاليد الامور في فارس كسرى انو شروان الذي عزل الحارث بن عمرو الكندي الذي كان قد عينه والده على حكم المناذرة.

وللمنذر تنسب الروايات الغريين الذي بناهما بظاهر الحيرة، وهما عبارة عن طريالين (صومعتين) بناهما على نديمين له وهما خالد بن نضله الفقعسي وعمرو بن مسعود وكان قد امر بدفنهما احياء بعد ان راجعاه في امر من الامور، وهذين الغريين كان يلطخهما بدماء القتلى الذين يقوم بقتلهم في يوم بؤسه[٩٠]، ذلك ان الروايات تشير على ان للمنذر في كل سنة يوم بؤس ويوم نعيم في الاول يقتل ما ظهر له من انسان او غير ذلك، وبعض الروايات تجعل هذا الامر (يوم البوس ويوم النعيم) خاصاً بابنه النعمان بن المنذر[٩١]. وممن تعرض لانتقام المنذر في يوم بؤسه الشاعر الجاهلي عبيد بن الابرص بن عوف بن جشم الاسدي حيث قتله ولطخ بدمه الغريين، وعبيد بن الابرص هو القائل في حضرة المنذر قبل ان يقتله:

اقفر من اهله عبيد   فاليوم لا يبدي ولا يعبد[٩٢]

ويورد الميداني في الامثال قصة امتناع المنذر عن عادة القتل في يوم بؤسه قصة ينسبها الى عهد ابنه النعمان بن المنذر، وتتمثل القصة في ان المنذر في احد ايام صيده اضافة احد رجالات طيء هو حنظله بن عفراء دون ان يعرف ان ملك من ملوك الحيرة، وان المنذر لقاء كرم الضيافة طلب من الطائي ان يتمنى عليه لقاء كرمه ووعده الطائي بفعل ذلك لاحقاً، ثم تشير الرواية الى ان الطائي تعرض لضائقة فذهب الى الحيرة طلباً في عون ملكها وصادف ان كان يوم مقدمه يوم بؤس المنذر وكان لا

بد من قتل الطائي حسب عادة المنذر ولكن الطائي طلب مهلة لابلاغ اهله ويعود اليه، فطلب منه كفيلاً للوفاء بعودته وقد كفله احد رجالات كلب ممن يقيمون عند المنذر وهو قرادة بن اجدع على ان يعود الطائي بعد سنة وقد عاد الطائي وهذا ما أدهش المنذر وخاصة ان الطائي عائد ليلاقي الموت، فسأله المنذر: ما حملك على الرجوع بعد افلاتك من القتل؟ قال: الوفاء، قال: وما دعاك الى الوفاء؟ قال: ديني، قال المنذر: وما دينك؟ قال: النصرانية، وحينها وحسب الرواية ترك المنذر ديانة قومه واتبع هو وسكان الحيرة الديانة النصرانية، وقال الطائي بعد ان نجى من الموت موجهاً شعره الى المنذر:

ما كنت اخلف ظنه بعد الذي ... اسدى الي من الفعال الخالي

ولقد دعتني للخلاف ضلالتي ... فابيت غير تمجدي وفعالي

اني امرؤ مني الوفاء سجية ... وجــــزاء كل مكارم بذال

وقال مادحاً قراد بن أجدع:

الا انما يسمو الى المجد والعلا ... مخاريق امثال القراد بن أجدعا

مخاريق امثال القراد واهله ... فانهم الاخيار من رهط تبعا(٩٣)

وقصة الطائي هنا لا تكاد تختلف في هدفها عن تلك القصص التي حيكت في زمن النعمان السائح لتأكيد صورة للديانة المسيحية وهو ان الوفاء يرتبط بها، وهو تصوير فيه مبالغة واتهام لاخلاق العرب ويتضح ذلك من اسئلة المنذر للطائي وسبب عودته، ونقول ان العرب في جاهليتهم كان من مآثرهم الوفاء وعدم الغدر، ونشك بان القصة كلها منسوجة للهدف الذي اشرنا اليه ولا يستبعد ان يكون ذلك من تأثير الروايات المسيحية التي كانت مشهورة في منطقة الحيرة.

٩. عمرو بن المنذر (٥٥٤-٥٧٤م):

وهو المعروف بعمرو بن هند نسبة الى والدته هند بنت الحارث بن عمرو ابن حجر واليها ينسب بناء دير هند الكبرى.

وقد ورث عمرو بن هند ثأر ابيه من قبائل غسان ولذلك كثرت حروبه ضد الروم والغساسنة في اعوام ٥٦٣م، ٥٦٦م، ٥٦٧م، واستطاع ان يتغلب في بعض هذه الحروب على الغساسنة ويفرض عليهم اتاوة بعد الصلح الذي وقع بين الروم والفرس سنة ٥٦٣م وكان امتناع الغساسنة عن دفع هذه الاتاوة سبباً في تجدد الحروب بين الطرفين، كما حارب قبائل بني تغلب لرفضهم مساعدته في حربه ضد الغساسنة[٩٤]، كما حارب بني تميم الذين قتلوا أخاه سعد بن المنذر بطريق الخطأ فاغار عليهم وقتل منهم عدداً كبيراً فيما يعرف بيوم أوارة الثاني[٩٥]. وقد وصف عمرو بن المنذر بانه كان حاكماً جباراً عنيداً متكبراً وشاركه في هذه الصفات اخوه قابوس، وقد امكن استخلاص بعض مزايا عصره وعلاقاته من خلال شعر الشعراء الذين زاروا الحيرة في عهده او الذين نظموا فيه مدحاً او هجاءً ومن هؤلاء الشعراء طرفه بن العبد (ت ٥٦٥م) الذي كان يعيش مع اهله في منطقة البحرين وكانت اجزاء من هذه المنطقة تخضع لنفوذ الحيرة، وقد وصل طرفه املاً في تحسين حاله الى الحيرة الى عند عمرو بن المنذر وكان يرافقه في رحلته الى الحيرة خاله المتلمس، وقد كان لطرفة والمتلمس حياة قريبة من عمرو بن هند واخيه قابوس وشاهدا ما كانا عليه من ظلم وتجبر ولذا جاءت قصائدهما معبرة عن ذلك وهذا ما دفع المنذر لمحاولة التخلص منهما بان ارسلهما مع كتابين الى عامله على البحرين يأمره بقتلهما حين وصولهما اليه، وربما لجأ عمرو بن المنذر لهذا الاسلوب خوفاً من نقمة قبيلة الشاعر وهي قبيلة بكر.

ومن شعر طرفة في هجاء عمرو بن هند وقابوس بن هند:

فليت لنا مكان الملك عمرو   رغوثاً حول قبتنا تخور

لعـمـرك ان قـابوس بن هند ليـخلط ملكه نوك كـثـيـر

وقال يهجو بني المنذر بن عمرو

من الشر والتبريح اولاد معشر كـثـيـر ولا يعطون في حـادث بكرا

هم حـرمل اعـيـا على كل آكل مـبـير ولو أمـسى سـوامـهم دثرا(٩٦)

وكان لعمرو بن المنذر دوراً بارزاً في اصلاح الامر بين القبائل العربية وخاصة بين قبائل بكر وتغلب على نفس سيرة والده في الاصلاح بين قبيلتي بكر وتغلب بعد حرب البسوس. وكان سيد تغلب هو عمرو بن كلثوم وسيد بكر، الحارث بن حلزة وقد تحاكما بشأن خلافات قبلية عند عمرو بن المنذر، وتشير الروايات على ان عمرو بن المنذر كان متحاملاً على عمرو بن كلثوم فقضى لصالح بكر ضد تغلب التي كان سيدها يتفاخر بشرفه وحسبه ومجده. وتشير الروايات على ان عمرو بن المنذر اراد التقليل من شأن عمرو بن كلثوم باهانة والدته وجعلهاتخدم ام عمرو بن المنذر بعدان استدعاه ووالدته لزيارته في الحيرة، وقد ادى ذلك الى مقتل عمرو بن المنذر على يد عمرو بن كلثوم سنة ٥٧٩م(٩٧) ومن قصائد عمرو بن كلثوم، معلقته التي يتهدد فيها عمرو بن المنذر:

أبا هند فـلا تعـجل علينا وانظرنا نخـبـرك اليـقـينا

بانا نورد الرايات بيـضـاً ونصـدرهن حـمـراً قـد روينا

وفي جزء آخر من المعلقة ويبدو انه قاله بعد قتله لعمرو بن المنذر:

باي مـشـيـئـة عـمـرو بن هند تطيع بنا الوشـاة وتزدرينا

باي مـشـيـئـة عـمـرو بن هند نكون لقـبـيلكم فـيـهـا قطينا

تهـددنا وتوعـدنا رويداً مـتى كنا لامك مـقـتـوينا

فـان قناتنا يا عـمـرو اعـيت على الاعـداء قـبلك ان تلينا(٩٨)

ويعد عهد عمرو بنالمنذر تضطرب الروايات فيمن تولى امر حكم الحيرة فيشار الى قابوس بن المنذر وهو احد اخوان عمرو بن المنذر، ويجعل جورجي زيدان فترة حكمه ما بعد عمرو بن المنذر حتى عام ٥٨١م، في حين يرى الاصفهاني ان قابوس لم يتسلم الحكم وانما سمي ملكاً لان اباه واخاه كانا ملكين[٩٩]، وسبق ان اشرنا الى قابوس بانه كان مشاركاً في حروب اخيه ضد الغساسنة في غزوات سنة ٥٦٦م، و٥٦٧م. وما يمكن أن نستخلصه أن البيت الحاكم في الحيرة شهد صراعاً على الحكم بين أبناء المنذر بن ماء السماء وخاصة بين المنذر بن المنذر وقابوس بن المنذر وربما كان ذلك سبباً لتدخل فارس وتعينها حاكماً فارسياً على الحيرة وهذا يذكرنا بالصراع الذي حصل بين افراد البيت الحاكم في الحيرة بعد وفاة عمرو بن امرئ القيس سنة ٣٧٧م.

١٠. المنذر بن المنذر بن ماء السماء بن امرؤ القيس، او المنذر الرابع (٥٧٩-٥٨٣م):

ومما يلاحظ على فترة هذا الحاكم خلوها من الاحداث الهامة على الصعيد الخارجي وربما كان مرد ذلك استمرار الصراع بين افراد الاسرة الحاكمة مما جعل الفرصة مواتية لفارس لكي تتدخل وتعين حاكماً من فارس على الحيرة حيث يشار الى أن فترة هذا الحاكم قد تخللها حكم فيشهرت او سهراب في عهد كسرى انو شروان لمدة سنة[١٠٠].

١١. النعمان (ابو قابوس) بن المنذر بن المنذر بن ماء السماء (٥٨٣-٦٠٥م):

ويمثل حكمه البداية الفعلية لنهاية حكم اللخميين في الحيرة، ولذا يعتبر آخر حكام اللخميين على الحيرة على الرغم من وصول بعض افراد الاسرة الى الحكم بعد انتهائه بسنوات لكن حكم هؤلاء لم يستمر الا اشهراً قبل نهاية الدولة بشكل نهائي.

وهذا الحاكم اللخمي وصل بحدود سيطرته الى مناطق البحرين والتي كانت تتبع في كثير من الاحيان لسيطرة الحيرة كما مر معنا عند الحديث عن عمرو بن المنذر، وامتد نفوذه الى مناطق جبال طيء، وهذا الاتساع في رقعة سيطرته ادخلته في صراعات مع القبائل البدوية، وكان بلاطه مقصداً للشعراء ومنهم الشاعر النابغة الذبياني (ت ٦٠٤م) الذي قربه النعمان اليه واجزل اليه العطاء وكان من ندمائه، ثم ساءت العلاقة بينهما لاسباب مختلفة قيل ان منها القصيدة التي نظمها النابغة في وصف زوجة النعمان المتجردة، وقيل ان منها قصيدة هجاء في النعمان قالها اعداء النابغة وهم عبد القيس التميمي ومرة بن سعد السعدي. وجاء في هذه القصيدة تعريض باصول والدة النعمان وهي ابنة صائغ من فدك، وجاء في هذه القصيدة:

قبح الله ثم ثنى بلعن وارث الصائغ الجبان الجهولا

من يضر الادنى ويعجز عن ضر الاقاصي ومن يخون الخليلا

يجمع الجيوش ذا الالوف ويغزو ثم لا يرزأ العدو فتيلا[١٠١]

وهناك العديد من القصائد الشعرية التي قالها النابغة في النعمان ومنها قصائد اعتذارية واخرى يمدح فيها النعمان وافعاله، ومنها:

نبئت ان ابا قابوس اوعدني ولا قرار على على من زأر الاسد

مهلاً فداء لك الاقوام كلهم وما أثمر من مال ومن ولد[١٠٢]

وفي عهد النعمان يشار الى شخصية لعبت دوراً هاماً في حياته كما تورد المصادر وهذه الشخصية هي عدي بن زيد بن حماد الذي ينتهي نسبه الى مضر وكان اجداده قد هاجروا من اليمامة واقاموا في الحيرة التي ولد ونشأ فيها عدي وتنقل منها الى المدائن عاصمة كسرى واصبحت له منزله عند اللخميين والفرس وتزوج عدي هند بنت النعمان وكان له الفضل في وصول الحكم الى النعمان نتيجة علاقاته القوية مع الفرس، ولكن علاقة عدي ابن زيد ساءت مع النعمان مما ادى في

نهاية المطاف الى سجنه ثم قتله، ويشار الى تأثير عدي بن زيد على النعمان حول اعتناقه الديانة النصرانية، ويقول الشنتمري نافياً ذلك «ولست اجد مظهراً لنصرانية عدي في شعره، فليس فيه ما يوجد في شعر امية بن ابي الصلت... وأما الحكمة في شعره فلا تدل على نصرانيته، بل قد تدل على انه كان متحنفاً»[١٠٣]

وحول مقتل عدي بن زيد تربط الروايات الدور الذي قام به زيد بن عدي بن زيد من تآمر لدى فارس حتى تمكن من الانتقام لوالده عن طريق الحاكم الفارسي الذي سجن النعمان وقتله، وفي ذلك يقول الشاعر هانئ بن مسعود:

إن كسرى عدا على الملك النعمان   حـتى سـقـاه امَّ الرقـوب[١٠٤]

وبعد وفاة النعمان بن المنذر يكون حكم الحيرة قد خرج من ايدي اللخميين على الرغم من الاشارات الواردة الى تولي المنذر (المغرور) بن النعمان (ابو قابوس) لحكم الحيرة لفترة قصيرة ما بعد سنة ٦٣١م ثم غادرها الى منطقة البحرين في الوقت الذي كانت فيه الجيوش الاسلامية تتقدم لمحاصرة المرتدين وكان معهم المنذر وكانت نهايته.

جـ. حكام الحيرة الدخلاء:

ونقصد بهم الحكام الذين تولوا امر الحكم في الحيرة ولم يكونوا لا من الازديين الحكام الاول في الحيرة كما انهم ليسوا من اللخميين (آل نصر)، ويبلغ عدد هؤلاء الحكام الدخلاء ستة.

اولهم هو اوس بن قلام (٣٧٧-٣٨٢م) والذي وضعته فارس لحكم الحيرة بعد وفاة عمرو بن امرئ القيس ونتيجة للاضطرابات التي حصلت داخل البيت اللخمي، وتم التخلص من هذا الحاكم بقتله من قبل احد افراد آل نصر وعاد الحكم الى اللخميين من بعده حيث تولى الحكم امرؤ القيس الثاني[١٠٥]، وثانيهما هو علقمة الذميلي

ابو يعفر والذي تولى الحكم في الحيرة في الفترة الفاصلة بين حكم النعمان بن الاسود بن المنذر ويختلف في الفترة التي سيطر فيها على مقاليد الامور في الحيرة فهي عند البعض من سنة ٥٠٢-٥٠٥م وفريق آخر يرى انها تشمل الفترة ما بين سنة ٥٠٤-٥٠٧م[١٠٦]، وثالث الحكام الدخلاء على حكم الحيرة هو الحارث بن عمرو والكندي والذي عينه قباذ لحكم الحيرة بعد خلافه مع المنذرين امرؤ القيس (٥١٢-٥٥٣م) حول رفض المنذر لاعتناق المزدكية او خشية من توسع نفوذ المنذر، وقد بلغ الحارث في حكمه قوة ومهابة مدعوماً بقوة الحاكم الفارسي قباذ، ولكن حكم الحارث لم يستمر فبعد تغير الحاكم في فارس ومجيء كسرى انوشروان كما سبق ان اشرنا.

وقد اشار امرؤ القيس الى حكم الحارث في العراق بقوله:

ابعد الحارث الملك بن عمرو   له ملك العراق الى عمان

مجاورة بن شمحي بن جرم   هو انا ما أتيح من الهوان[١٠٧]

ورابع الحكام الدخلاء كان فارسياً وهو فيشهرت او سهراب ويسميه جورجي زيدان باسم زيد وقد تولى الحكم اثناء فترة الصراع الداخلي على الحكم، حيث عين كسرى انوشروان فيشهرت لحكم الحيرة لمدة سنة خلال فترة حكم الحاكم اللخمي المنذر الرابع[١٠٨].

وفي الفترة التي تلت مقتل آخر حكام اللخميين وهو النعمان بن المنذر على يد كسرى، عملت فارس على تقليد الحكم في الحيرة لاحد اشراف الحيرة وهو اياس بن قبيصة الطائي والذي حكم فترة تتراوح ما بين ثمانية اشهر في رواية الى اربعة عشر سنة في رواية اخرى، ويرجح السيد عبد العزيز سالم فترة حكمه بتسع سنوات ما بين ٦٠٥-٦١٤م، في حين يجعلها جورجي زيدان ما بين ٦١٣-٦١٨م[١٠٩].

وكان آخر من تولى الحيرة هو حاكم فارسي هو ازاذبة بن مهرا بنداد وكان نفوذه مقتصراً على منطقة الحيرة وحينها انقطع حكم العرب عن الحيرة حتى جاء

الفتح الاسلامي رغم ان هناك اشارات الى محاولات من عرب الحيرة ادت الى عزل ازاذبة وتعيين المنذر (المغرور) بن النعمان ولكن فترة حكمه لم تتجاوز اشهراً وبعدها دخلت الحيرة في حوزة الدولة الاسلامية حيث فتحها خالد بن الوليد صلحاً.

٣. وقعة ذي قار:

تسمى هذه الوقعة في المصادر التاريخية بعدة اسماء، منها يوم قراقر، ويوم الحن (حنو ذي قار) ويم حنو قراقر ويوم الجبايات، ويوم ذي العجرم ويوم البطحاء (بطحاء ذي قار)[١١٠]. وتاريخ هذه المعركة مختلف فيه ايضاً فالبعض يرجعها الى عام ٦٠٤م وآخرون يجعلون ذلك سنة ٦١١م، ويرجح السيد عبد العزيز سالم ان تاريخ المعركة ينحصر بين سنتي ٦٠٩م او سنة ٦١٠م[١١١]، واذا ربطنا ذلك بتاريخ دولة اللخميين فان المعركة حصلت بعد مقتل النعمان بن المنذر على يد الفرس وفي فترة تولي حكم الحيرة من قبل إياس بن قبيصه والذي سبق ان اشرنا أنه حكم ما بين ٦٠٥-٦١٤م في رواية وما بين ٦١٣-٦١٨م في رواية اخرى.

اما اسباب وقعة ذي قار فان المصادر تربطها مجدداً بذيول علاقة النعمان ابن المنذر بالدولة الفارسية -التي سبق ان اشرنا اليها- ففي الفترة التي ساءت فيها علاقة النعمان بن المنذر مع الدولة الفارسية حاول النعمان البحث عن حلفاء يحمونه من سطوة الحاكم الفارسي، ويضيف الطبري ان النعمان ضمن محاولاته تلك ذهب الى قبيلة طيء والتي امتنعت عن نصرتته خشية من سطوة فارس حتى كان من النعمان ان نزل في بني شيبان عند زعيمها هانئ بن مسعود بن عامر بن عمرو بن ابي ربيعة واستودعه سلاحه واولاده[١١٢].

وبعد مقتل النعمان وتسلم حكم الحيرة من قبل اياس بن قبيصة سعى الحاكم الفارسي لطلب اموال واسلحة النعمان وكلف بذلك واليه على الحيرة اياس بن قبيصة

والذي حاول ولكن قبائل بكر بن وائل امتنعت ان تدفع له ما استودعه اياها النعمان بن المنذروهذا بدوره اغضب كسرى ابرويز الذي هدد بالانتقام من قبائل بكر بن وائل، وزاد من حدة نقمة كسرى على بكر بن وائل ما قام به احد ابناء بني تغلب وهو النعمان بن زرعة التغلبي[١١٣].

ومعروف ان تغلب وبكر بينها عداوات قديمة حيث تشير المصادر على انه كان من الناصحين لكسرى بان يمهل قبيلة بكر بن وائل الى الصيف حيث ينزلون على ماء لهم بذي قار حيث يستطيع القضاء عليهم، وقد اخذ كسرى برأيه بل وجعله رسوله الى قبائل بكر بن وائل ليخيرها بين ثلاثة امور هي الاستسلام لكسرى، او الرحيل عن ديارهم او القتال، وقد اختارت بكر بن وائل القتال.

وفي وقعة ذي قار كان معسكر الفرس يضم بشكل رئيسي قوات فارسية وقوات من الحيرة وبعض القبائل العربية مثل بهراء واياد وتغلب ونمر ابن ساقط، وفي الطرف المقابل بكر بن وائل ومجموعات قبلية مؤيدة لها.

وما يهمنا هنا ان وقعة ذي قار بايامها المختلفة قد اسفرت عن ظاهرة جديرة بالاهتمام وهي ان العرب و في ميدان المعركة انحازوا الى جانب عروبتهم ضد عدوهم الفارسي حيث مالت قبائل مثل اياد الى مساندة بكر بن وائل وكانت النتيجة انتصار عربي واضح على الفرس[١١٤]. واصبحت معلماً من معالم التاريخ العربي والذي كان مقدمة للانتصارات العربية الاسلامية على فارس فيما بعد.

وقد اشار الشعراء العرب لهذا الانتصار في مواضع عدة من شعرهم ونكتفي هنا بايراد ما قاله احد بني عجل التي شاركت منذ بداية المعركة الى جانب بكر بن وائل وهو الشاعر العديل بن الفرج العجلي، اذ يقول:

ما اوقد الناس من نار لمكرمة الا اصطلينا وكنا موقدي النار

وما يعدون من يوم سمعت به للناس افضل من يوم ذي قار

جئنا باسلابهم والخيل عابسةٌ   لما استلبنا لكسرى كل اسوار[١١٥]

اما نتائج ذي قار على صعيد الحيرة فكان ذلك مؤذناً بنهاية حكم اياس ابن قبيصة حيث عادت الحيرة لتحكم من قبل والي فارسي هو آزاذبة بن ماهان، كما كان ذلك مقدمة لمحاولة المناذرة استعادة حكمهم على يد احد اولاد النعمان وهو المنذر بن النعمان (المغرور) ونجحوا في ذلك الى حين حيث تم بعد ذلك خضوع الحيرة وغيرها للك الدولة الاسلامية ضمن اطار الفتوحات الاسلامية.

٤. جوانب من حضارة الحيرة:

لقد كانت مدينة الحيرة تتمتع بموقع هام بين العراق والشام وبلاد العرب مما كان له الاثر الاكبر في جعلها ملتقى للثقافات الفارسية السريانية اليونانية والعربية، فهي جمعت بين هذه الثقافات وانتجت حضارة متميزة. ولقد اخيف لذلك ان حكامها من البيت اللخمي كانوا يشجعون الوان الثقافة المختلفة، وقد مر معنا كيف ان بلاط اللخميين كان مقصداً للعديد من الشعراء مثل النابغة الذبياني، عمرو بن كلثوم، وطرفة العبد والمتلمس وغيرهم.

اما من حيث الناحية الدينية فقد كانت بها الديانة الوثنية باشكالها المختلفة الى جانب الديانة المسيحية والتي تسمى معتنقوها بالعباد، كما اشرنا الى موقف بعض حكامها من الديانة المسيحية ومن القول بان بعضهم قد تنصر مثل النعمان السائح، او النعمان بن المنذر، ووجدنا حكامها يساهمون ببناء الاديرة التي انتشرت في انحاء مختلفة من دولة اللخميين ومن هذه الاديرة المشهورة، دير هند الكبرى الذي بنته ام عمرو بن هند، وقد جاء في نقش عثر عليه في هذا الدير، ما يلي:

«بنت هذه البيعة هند بنت الحارث بن عمرو بن حجر الملكة بنت الاملاك، وام الملك عمرو بن المنذر، أمة المسيح، وام عبده، وبنت عبده في ملك ملك الاملاك خسرو

انوشروان في زمن مار افريم الاسقف، فالاله الذي بنت له هذا الدير يغفر لها خطيئتها، ويترحم عليها وعلى ولدها، ويقبل بها ويقومها الى اقامة الحق، ويكون الله معها ومع ولدها الدهر الداهر»[١١٦].

وهناك عدد آخر من الاديرة مثل دير هند الصغرى قرب القادسية بنته هند ابنة النعمان بن المنذر، ودير اللج الذي بناه النعمان بن المنذر ابو قابوس[١١٧].

كما شهدت الحيرة بناء العديد من القصور -التي اشرنا اليها- مثل قصر الخورنق وقصر السدير، وبناء الكنائس والاديرة والقصور في مناطق الحيرة والانبار اسفر عن تطور طراز معماري خاص عرف بالطراز الحيري او النموذج الحيري خاصة في القصور والاديرة.

كما كان للحيرة دور بارز في مجال العلم وادواته، فالبعض ينسب اليها الخط الحيري والذي اعتبر اساساً للخط العربي وخاصة الكوفي[١١٨] كما نبغ فيها العديد من العلماء في المجالات المختلفة كالترجمة والطب وقد وصلت الى مرحلة ازدهار علمي لم تصله اي عاصمة عربية قبل الاسلام[١١٩].

اما في مجال الحياة الاقتصادية فهي بلا شك كانت متنوعة وثرية، وقد وضح اثناء حديثنا عن سكان الحيرة بانهم ينقسمون الى قسام تدل ايضاً على انماط حياتهم الاقتصادية حيث يجمع سكانها بين حياة الاستقرار وجزء آخر يعيش حياة البداوه مما جعل اقتصادها متكاملاً ظهرت فيه نهضة زراعية وصناعية الى جانب ممارسة التجارة حيث استفادت الحيرة من موقعها ونفوذها، كما ان جزءاً من سكانها اعتمد حياة البداوة. ولا ادل على غناها الاقتصادي ما زخرت به من عمران وما زخر به بلاط حكامها من وفود للشعراء الذين كانت تجزل لهم العطايا والهبات. ولا شك ان غنى الحيرة وتعدد ثقافاتها جعلها مدينة مفتوحة على كل التيارات كما كانت مدينة مفتوحة على مناحي اللهو والترف مع ماالذلك من آثار سلبية. وقد استمرت الحيرة بعد الفتح الاسلامي محافظة على ازدهارها وخاصة ان فتحها تم

صلحاً وبقيت مدينة عامرة مأهولة ومكاناً للزيارة الى اواخر القرن الرابع للهجرة[١٢٠].

هوامش الفصل السابع

(١) يحيى. لطفي عبد الوهاب: استقبال بلاد الشام للفتح العربي، المؤتمر الدولي الثالث لتاريخ بلاد الشام، م٣ عمان ١٩٨٧، ص٣٧.

(٢) يحيى: نفس المرجع السابق، ص٣٨.

(٣) Nicholson, R.A: Aliterary history of the Arabs, Cambridge, 1953, P. 33.

(٤) ابن حزم: مصدر سابق، ص٣٣١.

(٥) ابن حزم: نفس المرجع ص٣٣١.

(٦) ابن قتيبه الدينوري، ابو محمد عبد الله بن مسلم: الشعر والشعراء، او طبقات الشعراء حققه وضبط نصه د. مفيد قميحه، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨١، ص١٣٩.

(٧) نولدكه، ثيودور: أمراء غسان، ترجمة بند لي جوزي وقسطنطين زريق، بيروت ١٩٣٣، ص٤، ابن حزم: مصدر سابق ص٣٣١.

(٨) نولدكه: المرجع السابق، ص٢٦.

(٩) المسعودي: مروج، حـ٢، ص١٠٧، سالم: تاريخ العرب، ص ٢٢٣.

(١٠) ابن حزم: مصدر سابق، ص ٣٧٥.

(١١) باشميل: مرجع سابق، ص١٨١.

(١٢) زيدان: مرجع سابق، ص٢٤٦.

(١٣) سالم: تاريخ العرب، ص٢٢٣.

(١٤) ابن حزم: مصدر سابق، ص٣٧٤-٣٧٥.

(١٥) ابن حزم: مصدر سابق، ص٤٥٠.

(١٦) سالم: تاريخ العرب، ص٢٢٥.

(١٧) حسن، حسن ابراهيم: تاريخ الاسلام السياسي، القاهرة ١٩٥٩، ط، ص٤٢. باشميل: مرجع سابق، ص١٩٣.
ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد: كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، طبعة

بيروت ١٩٦٥، حـ٢، ص٥٨٢-٥٨٣.

(١٨) الميداني، ابو الفضل احمد بن محمد النيسابوري: مجمع الامثال، حققه وفصله وضبط غرائبه وعلق حواشيه محمد محي الدين عبد الحميد، منشورات دار النصر دمشق- بيروت (د. ت)، ط ص٢٢١.

(١٩) ابن قتيبه، ابو محمد عبد الله بن مسلم: كتاب المعارف، القاهرة ١٣٠٠هـ ص٢١٦

المسعودي: مروج، حـ٢ ص١٠٧.

(٢٠) زيدان: مرجع سابق، ص٢٤٨-٢٤٩.

(٢١) نولدكه: مرجع سابق، ص٥١.

(٢٢) الاعلم الشنتمري: مصدر سابق، جـ١ ص٢٠٣.

(٢٣) الاعلم الشنتمري: نفسه، حـ١ ص٢٤٥.

(٢٤) الجمحي: مصدر سابق، ص٨٥.

ابن قتيبه: الشعر والشعراء، ص١٣٩.

(٢٥) باشميل: مرجع سابق، ص١٩٢.

(٢٦) زيدان: مرجع سابق ص٢٤٨-٢٤٩، نولدكه: مرجع سابق، ص١٢.

(٢٧) باشميل: مرجع سابق، ص١٧٧. Nicholson: OP. Cit, P.5

(٢٨) زيدان: مرجع سابق، ص٢٥٣.

(٢٩) الاصفهاني، حمزه: تاريخ سني ملوك الارض والانبياء، ص٧٧.

(٣٠) نولدكه: مرجع سابق، ص١٢-١٤، سالم: تاريخ العرب، ص٢٢٨.

(٣١) نولدكه: مرجع سابق، ص١٨، حسن، علي ابراهيم: التاريخ الاسلامي العام مكتبة ا لنهضة المصرية، القاهرة، ١٩٧١، ص٩١.

(٣٢) حسن: التاريخ الاسلامي العام، ص٩١.

(٣٣) ابن الاثير، علي بن احمد بن ابي الكرم: الكامل في التاريخ، طبعة دار صادر، بيروت ط١، ص٥٤٦، زيدان: مرجع سابق، ص٢٥٨.

حسن: تاريخ الاسلام السياسي، حـ١، ص٤٣.

(٣٤) باشميل: مرجع سابق، ص٢١١-٢١٤، نولدكه: مرجع سابق، ص٢٠-٢١.

(٣٥) باشميل: مرجع سابق، ص٢١٢.

(٣٦) باشميل: نفسه، ص٢١٤.

(٣٧) الاعلم الشنتمري، مصدر سابق، ص٢٠٣-٢٠٥.

(٣٨) نفس المصدر السابق: ص١٤٥.

(٣٩) نولدكه: مرجع سابق، ص٢١، عاقل: تاريخ العرب، ص١٥٩.

(٤٠) سالم: تاريخ العرب، ص٢٣١، نولدكه: مرجع سابق، ص٢٠-٢١.

(٤١) الاعلم الشنتمري: مصدر سابق، حـ١، ص٦٦.

(٤٢) الاصفهاني: مصدر سابق، ص١٠٠.

(٤٣) عاقل: تاريخ العرب، ص١٥٩-١٦٠.

(٤٤) نولدكه: مرجع سابق، ص٢٥-٢٦، عاقل: تاريخ العرب، ص١٦١-١٦٢.

(٤٥) زيدان: مرجع سابق، ص٢٥٩.

(٤٦) نولدكه: مرجع سابق، ص٣١، عاقل: تاريخ العرب، ص١٦١.

(٤٧) نولدكه: نفسه، ص٣١، عاقل: نفسه ص١٦٢-١٦٣.

(٤٨) نولدكه: نفسه ص٣٤، عاقل: نفسه، ص١٦٣.

(٤٩) الاعلم الشنتمري: مصدر سابق، حـ١ ص٢٣٨.

(٥٠) الاعلم الشنتمري: نفسه، حـ١، ص٢٤٥.

(٥١) الجبوري، يحيى: تجربة مؤته بين التاريخ والشعر، المؤتمر الدولي لتاريخ بلاد الشام م٣/١٩٨٧، ص١٠١-١٢٣.
عاقل، نبيه: موقف سكان بلاد الشام من الفتح، المؤتمر الدولي لتاريخ بلاد الشام، م٣/١٩٨٧، ص١٤٩-١٧٥.

(٥٢) سالم: تاريخ العرب، ص٢٣٨.

(٥٣) الاعلم الشنمتري: مصدر سابق، حـ١، ص٢٠٦.

(٥٤) عاقل: موقف سكان بلاد الشام، ص١٦٥.

(٥٥) زيدان: مرجع سابق، ص٢٦٠.

(٥٦) كونل، ارنست، الفن الاسلامي، ترجمة احمد موسى، القا هرة ١٩٦١، ص١١-١٣.

(٥٧) عاقل: تاريخ العرب، ص١٧٠، سالم: تاريخ العرب، ص٢٤٢-٢٤٣.

(٥٨) الطبري: مصدر سابق، حـ١ ص٦١١-٦١٢.
فريحات، عادل: جذيمه الابرش الازدي في المصادر العربية، دراسات تاريخيه دمشق، عدد ٤٧-١٩٩٣/٤٨، ص٢٣-٣٠.

(٥٩) حسن: تاريخ الاسلام، ط، ص٣٥.

(٦٠) زيدان: مرجع سابق، ص٢٦٣.

(٦١) فريحات: مرجع سابق، ص٥٤.

(٦٢) اليعقوبي: مصدر سابق، حـ١، ص٢٠٨، فريحات: مرجع سابق، ص٢٥.

(٦٣) الاسد، ناصر الدين: مصادر الشعر الجاهلي، القاهرة، ١٩٦٩، ص٢٦.

(٦٤) فريحات: مرجع سابق ص٢٦.

(٦٥) سالم: تاريخ العرب، ص٢٤٦، فريحات: مرجع سابق، ص٢٧.

(٦٦) الطبري: مصدر سابق، حـ١، ص٦١٤، عاقل: تاريخ العرب، ص١٧٣.

(٦٧) الطبري: مصدر سابق، حـ١، ص٦١٤، سالم: تاريخ العرب، ص٢٤٧-٢٤٨.

(٦٨) فريحات: مرجع سابق، ص٢٧.

(٦٩) فريحات: مرجع سابق، ص٢٩، سالم: تاريخ العرب، ص٢٢٨-٢٤٩.

(٧٠) سالم: تاريخ العرب، ص٢٤٩ حيث يجعلها ملكة لتدمر، بينما يرى عادل فريحات وجورجي زيدان انها ليست ملكة تدمر
الدينوري، ابو حنيفة احمد بن داود: الاخبار الطوال، تحقيق عبد المنعم عامر القاهرة، ١٩٦٠، ص٥٥ (يجعلها من الفساسنة).

(٧١) اليعقوبي مصدر سابق، جـ١، ص٢٠٩، سالم: تاريخ العرب، ص٢٥٠، زيدان: مرجع سابق، ص٢٦٩.

(٧٢) سالم: تاريخ العرب، ص٢٥٤.

(٧٣) الاصفهاني: مرجع سابق ص٦٧-٦٩.

(٧٤) اليعقوبي: مصدر سابق، حـ١، ص١٧٠، سالم: تاريخ العرب، ص٢٥٦.

(٧٥) زيدان: مرجع سابق، ص٢٧١.

(٧٦) زيدان: نفسه، ص٢٧١.

(٧٧) الاصفهاني: مصدر سابق، ص١٠١.

(٧٨) الاصفهاني: نفسه، ص٦٨.

(٧٩) زيدان: مرجع سابق، ص٢٧٢.

(٨٠) سالم: تاريخ العرب، ص٢٥٩-٢٦٠.

(٨١) الطبري: مصدر سابق، حـ١، ص٨٥١، سالم: تاريخ العرب، ص٢٦٠.

(٨٢) الميداني: مصدر سابق، حـ١، ص١٥٩-١٦٠.

(٨٣) الاصفهاني: مصدر سابق، ص٦٨، حسن: التاريخ الاسلامي العام، ص٧٣.

(٨٤) عاقل: تاريخ العرب، ص١٨٥.

(٨٥) زيدان: مرجع سابق، ص٢٧٢.

(٨٦) علي: المفصل، حـ٤، ص٤٨.

(٨٧) زيدان: مرجع سابق، ص٢٧٥.

(٨٨) عاقل: تاريخ العرب، ص١٨٥-١٨٦، زيدان: مرجع سابق، ص٢٧٥.

(٨٩) علي: المفصل، حـ٤، ص٦٧-٧٠.

(٩٠) ابن قتيبه الدينوري: مصدر سابق، ص١٢٠.

(٩١) ابن قتيبه الدينوري: نفسه، ص١٢٠، الميداني: مصدر سابق، حـ١، ص٧٠.

(٩٢) ابن قتيبه الدينوري: نفسه، ص١١٩-١٢٠.

(٩٣) الميداني: مصدر سابق، حـ١، ص٧٠-٧٢، سالم: تاريخ العرب، ص٢٦٧-٢٦٨.

(٩٤) عاقل: تاريخ العرب، ص١٩١.

(٩٥) حسن: التاريخ الاسلامي العام، ص٨١، سالم: تاريخ العرب، ص٢٦٩.

(٩٦) الاعلم الشنتمري: مصدر سابق، حـ٢، ص٨٨-٩٥.

(٩٧) الاعلم الشنتمري، نفسه،حـ٢، ص١٧٠، سالم: تاريخ العرب، ص٢٧٠.

(٩٨) الاعلم الشنتمري: نفسه، حـ٢، ص١٧٤-١٧٨.

(٩٩) الاصفهاني: مصدر سابق، ص١١٠، زيدان: مرجع سابق، ص٢٧٩.

(١٠٠) الاصفهاني: نفسه ص٧٣.

(١٠١) الاعلم الشنتمري: مصدر سابق، حـ١ ص١٧٥.

(١٠٢) الاعلم الشنتمري: نفسه، حـ١، ص١٧٨.

(١٠٣) الاعلم الشنتمري: نفسه، حـ٢، ص٢٣٤.

(١٠٤) العتوم: مرجع سابق، ص٤١٤.

(١٠٥) سالم: تاريخ العرب، ص٢٩٢.

(١٠٦) الاصفهاني: مصدر سابق، ص١٠١، زيدن: مرجع سابق، ص٢٧٢.

(١٠٧) الاصفهاني: نفسه، ص١٠٤.

(١٠٨) الاعلم الشنتمري: مصدر سابق، حـ١، ص١٠٩.

(١٠٩) الاصفهاني: مصدر سابق، ص٧٣، زيدان: مرجع سابق، ص٢٧٩.

(١١٠) سالم: تاريخ العرب، ص٢٨٢-٢٨٣، زيدان: مرجع سابق، ص٢٨٢.

(١١١) الطبري: مصدر سابق، حـ١ ص١٠١٦.

(١١٢) سالم: تاريخ العرب، ص٢٨٩.

(١١٣) الطبري: مصدر سابق، حـ١، ص١٠٢٨، المسعودي: مروج، حـ٢، ص١٠١.

(١١٤) سالم: تاريخ العرب، ص٢٨٤.

(١١٥) سالم: نفسه، ص٢٨٤-٢٨٦.

(١١٦) العتوم: مرجع سابق، ص٤١٤.

(١١٧) زيدان: مرجع سابق، ص٢٦٧.

(١١٨) سالم: تاريخ العرب، ص٣٠٥-٣٠٦.

(١١٩) عاقل: تاريخ العرب، ص٢٠٦.

(١٢٠) سالم: تاريخ العرب، ص٢٩٤، ٢٩٦، ٢٩٩.

الفصل الثامن

الحياة الاجتماعيه

الفصل الثامن

الحياة الاجتماعية

مقدمه:

قبل الحديث عن بعض جوانب الحياة الاجتماعية للعرب قبل الاسلام لا بد من الاشارة الى أن فتره قبل الاسلام في تاريخ العرب قد دخل اليها الكثير من التشويه فيما وصل الينا، حتى أنه ولفترة غير بعيدة كان ينظر الى عرب الجزيرة قبل الاسلام وكأنهم أقوام كانوا بعيدين عن سبل الحضارة والتمدن باشكاله المختلفه، وأن هذا التصور غير الدقيق في جوانب مختلفه منه جاء نتيجة عوامل عدة، منها قلة المعلومات التي وصلت الينا عن هذا التاريخ ومنها ايضاً أن هذا القليل قد كُتب في فترة لاحقة لتاريخ العرب قبل الاسلام فجاء متأثراً بطبيعة هذه الفترة ومؤثراتها، ومنها ايضاً النظرة التعميمية التي جعلت عرب الجزيرة قبل الاسلام ضمن اطار واحد يهمل الفروقات الأساسية بين اجزاء الجزيرة ارضاً وسكاناً، وفي هذا الاطار ايضاً حين نُظر الى هذه الفوارق صورت وكأنها عوامل مختلفه لا اتساق أو اتصال بينها. وأياً كانت الأسباب والمؤثرات التي شوهت التاريخ الاجتماعي للعرب قبل الاسلام، فإن المكتشفات الآثاريه في مناطق مختلفه من الجزيرة العربية تشير بما لا يدع مجالاً للشك على أن سكان الجزيرة قبل الاسلام قد قطعوا اشواطاً هامة في ميادين الحضارة سياسية، اقتصادية، فنية، اجتماعية، أهلت هؤلاء السكان وهذه الرقعة الجغرافية لتكون منطلق رسالة الاسلام العالمية، فمما لا شك فيه أن العناية الالهية اختارت العرب ليكونوا حملة هذه الرسالة لما تمتعوا به من مؤهلات ومزايا جعلتهم

قادرين على أداء ذلك.

على أن ذلك لا يعني أن جوانب حياة العرب وبخاصة الاجتماعية منها قد خلت من عيوب ومناقص، فالقرآن الكريم والشعر العربي يرد فيهما إشارت لجوانب سلبية في الحياة الاجتماعية كما ان فيهما اشارات لجوانب ايجابية استمرت وحرص الاسلام على توكيدها.

ولفهم أفضل للحياة الاجتماعية في الجزيرة العربية قبل الاسلام لا بد من القول بان الجزيرة العربية بحكم تكوينها الطبيعي واقسامها الجغرافية. التي سبق الاشارة اليهما قد حوت انماطاً مختلفة من الحياة الاجتماعية وكذا الحال على الجانب السياسي والاقتصادي، فمناطق تميزت بموقع وطبيعة جغرافية جعلت نمط الحياة يأخذ شكل الاستقرار بمعنى ان المجتمع اعتمد في جوانب حياته الاقتصاديه على الزراعة والتجارة بشكل رئيسي كما هو الحال في جنوب الجزيرة العربية، وعلى التجارة كما هو في مكه أو زراعي كما هو في المدينه والطائف وبعض الواحات الأخرى. ونمط حياة آخر مغاير لما ذكر ومتأثراً بالطبيعة والموقع حيث عاش السكان حياة التنقل والاستمرار في التنقل موسمياً لاعتماد حياتهم على الرعي وتربية الماشيه. على أن هذين النمطين لم يكونا من الانماط الثابتة، فدراسة تاريخ الجزيرة قبل الاسلام وبعده تشير الى تغيرات جعلت جزءاً ممن يعيشون حياة الترحال يتحولون الى حياة الاستقرار بما يتبع ذلك من تغير أو تطور في انماط الحياة الاقتصادية السياسية الذي أثر بدوره على الحياة الاجتماعية، ولنا أن نجد الامثلة المتعددة في هجرات القبائل داخل الجزيرة شمالاً وجنوباً، ودراسة تاريخ اليمن ودراسة تاريخ مكة والمدينة وحتى بلاد الشام تعطي دلائل على ذلك. فانماط حياة الاستقرار في اليمن، مكة، المدينة، الطائف وبعض الواحات وانماط حياة الارتحال في البادية والصحراء في مناطق مختلفة لم يشكلا في تاريخ الجزيرة عوالم مختلفه أو متناقضة على الدوام، فالقبائل العربية مرتحلة بدوية أو مستقرة متحضرة شمالية كانت ام جنوبية تداخلت وتشابكت مصالحها اتفاقاً وتضاداً، مما قاد الى علاقات بين

هذه القبائل فظهرت صيغ للأحلاف والولاء وعلاقات المصاهرة وحتى علاقات العداء والحروب.

١. النظم والاعراف الاجتماعيه في القبيلة

لم تعد القبيلة هي أساس التنظيم الاجتماعي والسياسي للبدو والحضر، بل أصبحت الأسرة هي اللبنة الاساسيه في النظام الاجتماعي للبدو، حيث الأسرة تتمثل في سكان الخيمة أو البيت، وعليه ظهر في هذا المجتمع سلطة الرجل أو الأب، ويرى البعض أن العشيرة هي الهيئة الاجتماعيه عند البدو حيث تمثل مرة أخرى وحدتها الاساسية الاسرة التي تمثل البيت أو الخيمة ومن تجمع الخيام (البيوت) تتكون مضارب الخيام أو الحمى التي يسكنها قوم، ثم تتشكل القبيلة التي تتألف من اقوام أو عشائر تربطها ببعضها البعض، روابط وأواصر النسب[١] يرجعون في نسبهم الى جد واحد ويجمعهم مصالح مشتركه في حلهم وترحالهم تجعلهم متضامنون في كل ما يعترض سبل حياتهم سلماً وحرباً، وينظم امورهم ويطيعون أوامر قائد واحد هو شيخ القبيلة الذي وجب أن تتوافر فيه صفات تؤهله لقيادة القبيلة، حيث كانت العرب لا تُسود عليها الا من توافرت فيه ست خصال هي: السخاء والنجدة والصبر والحلم والتواضع والبيان، ومن القبائل ما تُسود على الرأي أو الكرم أو النسب[٢]

وزعيم أو شيخ القبيله نجد بعض صفاته في قول الشاعر

والبيت لا يبتنى الا له عمد ولاعماد اذا لم ترس اوتاد
فان تجمع اوتاد واعمدة وساكن بلغوا الامر الذي كادوا
لا يصلح الناس لاسرارة لهم ولاسراة اذا جهالهم سادوا
تبقي الامور باهل الرأي ما صلحت فان تولت فبالاشرار تقاد[٣]

وزعيم القبيلة قد يصل الى مرتبة الزعامه إما عن طريق الوراثه أو عن طريق

الاختيار، وإن كان الطريق الاول هو الاكثر انتشاراً الا أن ذلك لا يلغي ان تتوافر في الذي يتولى زعامة القبيلة صفات رئيسه تؤهله لذلك، ونجد في شعر عامر بن الطفيل ما يشير الى ذلك:

انـي وان كنت ابن سـيـد عـامـر وفـارسـها المشهور في كل موكب

فـمـا سـودتني عـامـر عن وراثة أبى الله ان أسـمـوا بـأم ولا أب

ولكني احـمـي حـمـاهـا وأنفي أذاها وأرمي من رماها بمنكب(٤)

وشيخ القبيلة لاهميته وعظم المسؤوليه التي يتولاها في حالات السلم والحرب وجب على الجميع طاعته وعدم الخروج على رأيه، وتبع ذلك ان تؤدى له حقوق ماديه إلى جانب الحقوق الأدبية والمعنويه، وقد تمثلت بعض هذه الحقوق لشيخ القبيلة في بيت الشعر التالي:

لك المرباع فـيـنا والصـفـايا وحكمك والنشـيطه والفـضـول(٥)

حيث يتضح ان له ربع الغنائم (المرباع) علاوة على ما يصطفيه أو يختاره لنفسه من الغنيمة قبل ان تقسم على مجموع القبيلة (الصفايا)، كما ان ما يتم الحصول عليه من اموال العدو قبل اللقاء يكون خاصاً لشيخ القبيلة وهو ما عرف (بالنشيطه) كما أن له ما زاد من الغنائم ولا يمكن ان يقسم بين أفراد القبيلة (الفضول).

وان كان لكل قبيلة زعيمها المسؤول عنها الا ان منصب شيخ القبيلة قد تزداد اهميته وتتطور اذا استطاع وفق ظروف ومعطيات مختلفه ان يزيد من الرقعه الجغرافيه التي يسيطر عليها أو تعترف بزعامته مجموعات قبليه مختلفه حتى يصل الأمر الى حد أن يصبح هذا الشيخ حاكماً متوجاً أو يسير في هذا الاتجاه ونجد أمثله على ذلك في مناطق الجزيرة المختلفه كما كان الحال عليه في جنوب الجزيرة العربية وتطور الأمر بما يتعلق بالأذواء والاقيال الى ملوك، اوكما عرف عند قبيلة كنده

حين شكلوا دولة واصبح حكامها يحملون لقب ملوك، ونجد الأمر شبيهاً بذلك في مكه وعند قريش بعد أن جمعها قصي وشكل تنظيماً ارقى مما كان عند بعض القبائل في مناطق مختلفة من الجزيرة العربية. والقبيلة العربية بحكم تكوينها الاجتماعي تقف متضامنة مع أفرادها في كل الظروف وكان لسان حالهم في ذلك

لا يسألون أخاهم حين يندبهم　　　في النائبات على ما قال برهانا[٦]

إن هذا التلاحم والتضامن بين أفراد القبيلة الواحدة جعل الفرد في القبيلة ضمن سياق اتباع راي قبيلته والسير معها والعمل وفق قراراتها وفي غالب الأحيان دون ان تكون المصلحة أو التفكير الفردي هو اساس التصرف وهذا ما نجده في قول الشاعر

وهل انا إلا من غزيه ان غوت　　　غويت وان ترشد غزية أرشد

والقبيلة العربية تكبر أو تصغر بحسب تفرعات كثيره، وقد اشار الدارسون على ان القبيلة تتكون من أصول عشرة، هي

١- الجذم ٢- الجمهور ٣-الشعب ٤- القبيلة ٥- العماره ٦-البطن ٧-الفخذ ٨- العشيره ٩- الفصيل ١٠- الرهط[٧]

ومنهم من اشار الى العرب وأصولهم الى قحطان وعدنان وأن ذلك جُعل في ست طبقات هي:-

١- الشعب: وهو النسب الا بعد كعدنان وسمي شعب لان القبائل تتشعب منه

٢- القبيلة: وهي ما انقسم فيه الشعب كربيعة ومضر، وسميت قبيله لتقابل الانساب فيها ، وربما سميت القبائل جماجم تجمع في تنظيمها وتفريعاتها البطون.

٣- العماره: وهي ما انقسم فيه انساب القبيلة كقريش وكنانه.

٤- البطن: وهي ما انقسم فيه انساب العماره كبني عبد مناف وبني مخزوم.

٥- الفخذ: وهو ما انقسم فيه انساب البطن كبني هاشم وبني أميه.

٦- الفصيله: وهي ما انقسم فيه أنساب الفخذ كبني العباس وبني عبد المطلب[٨].

ويغض النظر عن هذه التقسيمات واختلاف أقسامها زيادة أو نقصاناً الا ان ما هو مجمع عليه ان أفراد القبيلة يرتبطون بعضهم ببعض برابطة الدم والذي عملت القبائل على الحفاظ عليه، الا ان ذلك لم يكن مانعاً من اختلاط الأنساب على المستوى الفردي كما هو على المستوى القبلي وذلك وفق طرق ووسائل مختلفه بالزواج والتحالف والولاء وغيرها والتي كانت تصبح مع تقادم الزمن نسباً اصيلاً ومن حلب القبيلة[٩]

ب. التكوين الاجتماعي للقبيلة:

رأينا بأن القبيلة يرتبط أفرادها برابطه النسب اوالدم أو الجد الواحد إلا ان ذلك لم يمنع من اختلاط الانساب للاسباب التي ذكرنا، وعليه أمكن القول بان القبيلة تتكون اجتماعياً من ثلاث طبقات رئيسه، هي:

١. طبقه الأحرار (الصرحاء):

وهم ابناء القبيلة الصرحاء الأصليون الذين ينحدرون من جد أعلى، اي أن الذي يجمعهم دم واحد ونسب مشترك، وبذا يرى كل فرد من هذه الطبقه انه مساوٍ للآخرين، وله حقوق متساويه ويفترض ان يؤدي واجبات متساويه. وأفراد وهذه الطبقه اذا خالفوا أو قصروا في أداء واجباتهم أو ارتكبوا عملاً من الاعمال التي تعاب عليها القبيله يتخذ ضده من الاجراءات المتفق عليها كأن يترك القبيله أو يُخلع من القبيله ويحرم من حقوق كانت له قبل ارتكابه هذا العمل[١٠]، وفي حال تركه القبيله أو خلعه منها قد ينضم الى قبيلة اخرى أو ينعزل ويصبح قاطع طريق.

وأفراد هذه الطبقه يتميزون على غيرهم في امور مختلفه مثل قضية الثأر لمقتل الحر وكذلك بالنسبة للديه حيث تتحكم فيها اعراف وتقاليد(١١)

٢. طبقة الموالي او الحلفاء

وهم أفراد أو جماعات من غير أفراد القبيلة الأصليون انضموا الى القبيلة وهم في الأصل أحرار ان كانوا من قبائل اخرى، وقد يكون من أفراد هذه الطبقة الأفراد الذين تم عتقهم أو تحريرهم داخل القبيلة، وبالعموم فهولاء يضعون انفسهم تحت رعايه، أو حماية القبيلة أو فرد منها، والحمايه تتم بطرق منها الجوار، الحلف، العتق، ويسمى الشخص في هذه الحاله باسم مولى؛ ومعنى ذلك ان ما يربط هؤلاء بالقبيلة التي انضموا اليها هي روابط اجتماعيه غير رابطة النسب. وأفراد هذه الطبقه لهم حقوق وعليهم واجبات لكنها اقل من حقوق الطبقه الاولى. ولكنها مختلفه ايضاً حسب حالة الولاء، فالولاء بالجوار مؤقت، حيث أن الجوار هو في الأصل هو بحق طرف عن حماية طرف آخر أو تحقيق نفع من طرف آخر أو مساعدة طرف قوي لآخر ضعيف، فقد يلجأ طرف (فرد أو مجموعه) لحماية قبيلة من القبائل حيث يقيم بينها، وقد تجاور مجموعة أو أفراد قبيلة معينه للاتجار معها أو للزواج، وقد يلجأ الى الجوار من خلع من قبيلته، أو من يطلب ثأراً ويعجز عنه ويبحث عن عون في هذا السبيل وغير ذلك من الأسباب. ولاهمية الجوار عند العرب قبل الاسلام نجد أن له طرقاً مختلفه يعقد بها كأن يطلب المستجير من مانح الجوار ذلك صراحه وان يجيبة الى ذلك، أو ان يدخل المستجير الى خيمة جاره أو ان يلمسها أو يقعد الى جوارها وغير ذلك ويعد عقد الجوار يلتزم كل من المستجير والمجير بحقوق وواجبات منها حمايه المستجير ودفع الديه عنه ووراثة ان لم يكن له وريث وبالمقابل على المستجير ان يحافظ علي حرمة مجيره وان لا يمارس اعمالاً تلحق الأذي بمجيره وقبيلته، وبما أن رابطه الجوار مؤقته فهي اقل من رابطه الولاء بالحلف، وتنتهي رابطه الجوار بطرق مختلفه، منها أن يترك المستجير أرض القبيلة التي طلب منها الجوار، وأن يرد المستجير جوار جاره علناً وامام الناس حتى لا يعاب المجير في حال تعرض

المستجير لاحقاً لشيء يهدد حياته، كما ينتهي الجوار ويعتبر لاغياً حال تصرف المستجير تصرفاً يعيب القبيلة التي طلب منها الجوار. وفي كل الاحوال يمهل المستجير عند انتهاء الجوار مدة ثلاثه ايام يبقى خلالها في حماية القبيلة حتى يصل أو يعود الى قبيلته الأصليه أو يحصل على جوار قبيلة آخرى [١٢] وحق الجوار عند العرب لم يكن مقتصراً في منحه على الرجال بل تعدى ذلك إلى النساء، وقد ورد في الشعر العربي ما يشير الى ذلك في قصة ام غيلان التي منحت جوارها لضرار بن الخطاب ابن مرواس، والذي قال فيها:

جزى الله عنا ام غيلان صالحاً ونسوتها اذهن شعث عواطل

فهن دفعن الموت بعد اقترابه وقد ظهرت للثائرين مقاتل[١٣]

وهناك الى جانب الولاء بالجوار، الولاء بالحلف وهو أعلى مرتبة من الولاء بالجوار، حيث انه جوار دائم واذا استمر يصبح قريباً من النسب من حيث القوه والتعاضد وما يترتب على ذلك من حقوق وواجبات، ومعروف ان الاحلاف لعبت دوراً هاماً في حياة العرب في مراحل حياتهم المختلفه، والحليف مثل الجار رجل حر انضم الى قبيلة غير قبيلته وهو يلي في المرتبة الرجل الصريح من ابناء القبيله وعليه ما على الاحرار من واجبات، والحلف قد يكون بين فرد وآخر أو بين فرد وقبيله أو بين قبيلة وأخرى.

أهم الاحلاف:

ونظراً لاهميه الأحلاف في تاريخ العرب نجد انهم وضعوا لها قوانين وقواعد تنظمها ورافق عقد الاحلاف طقوس وممارسات تؤكد على اهميتها، فمثلاً كان أفضل الأوقات لعقد الاحلاف هي الأشهر الحرم، أو في الأسواق العامه. وفي مكه كانت مراسيم الحلف تقام حول الكعبه اوفي دار الندوه، أو في بيت احد شيوخ القبائل، ومن المراسيم والطقوس المرافقه لعقد الاحلاف اقامة ولائم الطعام ، أو غمس الايدي

في مواد معينه كالماء، الملح، الرماد، الطيب، الدم وغير ذلك.

واذا كان الحليفان فردين يصبح بذلك الحليف مولى لمن حالفه وله حقوق أفراد الاسره والقبيله. وكان يحصل أن يتبنى الرجل مولاه وينتسب اليه واستمر هذا الأمر حتى مجيء الاسلام، حيث حرم ذلك بنص قرآني بقوله تعالى: "وما جعل ادعياءكم ابناءكم ذلك قولكم بافواهكم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل، ادعوهم لآبائهم هو اقسط عند الله فان لم تعلموا اباءهم فاخوانكم في الدين ومواليكم"(١٤)

والحليف شأنه شأن أفراد الطبقه الاولى (الأحرار أو الصرحاء) يمكن ان يخلع، كما انه اذا حالف فرد فرد أو قبيلة قبيله فان على الحليف ان يقطع صلته بالقبيلة الاولى ليدخل في القبيلة الجديده الحليفه دخولاً كاملاً بحيث يشاركها في كل جوانب حياتها ويتحمل تبعات ذلك، وكما هو في الجوار فان من حق الحلفاء ان يفسحون الحلف فردياً كان ام جماعياً وربما هذا ما يفسر كثرة نشوء احلاف وزوال اخرى (١٥)، وعلى سبيل المتمثيل نذكر بعض هذه الاحلاف

ا. **حلف الاحابيش:** وعقده عبد مناف بن قصي بن كلاب مع خزاعه وبني الحارث بن عبد مناه بن كنانه، ومما يشار اليه في هذا الحلف هو اشتراك عاتكه بنت مره بن هلال زوج عبد مناف، ويعتبر اليعقوبي انها كانت السبب في عقد هذا الحلف وانه عقد على يديها(١٦)

ب. **حلف المطيبين:** وهو من الاحلاف الهامه في تاريخ العرب وقد اشارت اليه المصادر بروايات مختلفه، منها ان قبيلة قريش لما شاهدت عبد المطلب قد وصل الى مرتبة عاليه من الشرف والسؤدد في المجتمع، تداعت الى ان تتحالف مع بعضها ليعز جانبها، حيث اقدم بنو عبد الدار على ذلك حيث اجتمعوا مع بني عبد مناف باستثناء بني عبد شمس وضموا اليهم بنو اسد وزهره وبنو تميم وبنو الحارث بن فهر ومجموع هؤلاء الذين تحالفوا اطلق عليهم اسم المطيبين وذلك لان ام حكيم بنت عبد المطلب أو اختها عاتكه

اخرجت جفنه مليئة بالطيب ووضعتها على حجر عند الكعبه وطيبت به المشتركون في الحلف[١٧].

ومن الروايات الاخرى حول اسباب عقد هذا الحلف حسب قول ابن هشام هو ان بني عبد مناف بن قصي قد اجمعوا على أن يأخذوا ما بايدي بني عبد الدار بن قصي من حجابه ولواء وسقايه ورفادة.

جـ. حلف لعقة الدم: وهو من الأحلاف التي عرفت في مكه قبل الاسلام، والبعض يرجعه الى اختلاف وقع بين القرشيين حول موضع الركن عند بناء الكعبه وقد قاد الخلاف حول أحقية كل فريق في ذلك الى تحالف بنو عبدالدار مع بني عدي بن كعب، وهناك رأي يرى ان هذا الحلف جاء كرد فعل على حلف المطيبين، وان سبب تسمية هذا الحلف بحلف لعقه الدم يعود الى ان بني عبد الدار كانوا قد احضروا جفنه مملوءة بالدم وغمس القوم الذين تحالفوا ايديهم بها تاكيداً منهم على الموت في سبيل ما تحالفوا عليه[١٨]. وهنا نجد أن هذا الحلف وما سبقه يتفق ان يكون بين فئات أو فروع من قبيله واحده كما انه جائز ان يكون بين قبائل مختلفه أو بين أفراد وقبائل.

د. حلف الفضول: وهو يعتبر من الأحلاف الهامة في تاريخ العرب قبل الاسلام ومما يؤكد على اهميته ان الرسول (ص) قد اشار اليه واشار الى أن اهداف هذا الحلف تتفق مع مبادئ الاسلام. وهذا الحلف كان اوسع نطاقاً من الاحلاف السابقه كما ان اهدافه كانت ترقى لتشمل المجتمع المكي بكامل فئاته كما تشمل تحقيق الأمن لمن يقدم مكه لسبب اقتصادي أو ديني أو غير ذلك، كما انه يشكل قفزه نوعيه في تطور الوعي المجتمعي حيث شاركت فيه قريش ومجموعة قبائل جاورتها أو شاركتها السكن في مكه مما يؤكد على نمو نوع من الوعي الجماعي الذي يهدف لتحقيق المصالح العامه، وقد عقد هذا الحلف في دار عبدالله بن جدعان في حدود سنة ٥٨٠م وكان من

المشاركين فيه بنو هاشم، بنو عبدالمطلب بنو اسد، بنو زهره وبنو تميم، وقد تعاقد وتحالف هؤلاء جميعاً على نفي الظلم عن اهل مكه احراراً كانوا ام عبيداً وتعاهدوا على نصرة المظلوم قريباً كان ام بعيداً من اهل مكه أو القادمين اليها، وقد اشار الرسول (ص) الى هذا الحلف بقوله "لقد شهدت في دار عبدالله بن جدعان حلفاً ما أحب أن لي به حمر النعم، ولو دعي به في الاسلام لأجبت"[١٩]

ويقال ان سبب عقد هذا الحلف أن احد القادمين الى مكه قد باع متاعاً لاحد سكان مكه ولم يعطه المشتري ثمن بضاعته، فما كان منه الا أن استجار برجل من بني جمم فلم يجره، فقال،

يا آل قصي كيف هذا في الحرم

وحرمة البيت واحلاف الكرم

اظلم من لا يمنع عنى الظلم

ويشار الى ان ابي سفيان رد مال المظلوم وبناء على ذلك اجتمعت بطون قريش وغيرها لعقد هذا الحلف باهدافه التي سبق ان اشرنا اليها، وفي هذا الحلف يقول أحد شعراء قريش:

تيم بن مرة ان سألت وهاشماً ... وزهرة الخير في دار ابن جدعان

متحالفين على الندى ما غردت ... ورقاء من فنن من جذع كتمان[٢٠]

وبعد فان كنا قد اتينا على نماذج من الأحلاف بمعناها الاوسع اي تلك التي تكون بين قبائل وخاصه تلك التي عاشت حياة الاستقرار كما هو الحال في مكه الا أن ذلك لا يعني ان مفهوم الحلف قد أخذ هذه الطبعه فقط بل انه اخذ جانباً آخر على صعيد أفراد يتحالفون مع أفراد ليقود في بعض الحالات الى تحالف قبائل هذه الأفراد معاً. وسؤالنا الآن عن اثر هذه الاحلاف في حياة مجتمع العرب قبل

الاسلام؟ فما لا شك فيه ان نشوء الاحلاف باشكالها المختلفه كان تلبية لحاجات فرضتها طبيعة حياة العرب بانماطها المستقره في المدن والواحات أو المتنقله في البوادي والصحاري، وان هذه الاحلاف لم تكن بطبيعة الحال ذات آثار ايجابيه ويشكل دائم على المجتمع العربي قبل الاسلام، لكن ذلك لم يكن نافياً بان لها بعض الآثار الايجابيه وذلك لو من زاويه جمع القبائل بعضها الي بعض حول اهداف مشتركه مما ننظر اليه على انه تطوير لفكرة العمل المشترك التي قادت الى تحقيق فوائد للاقوام أو الأفراد المتحالفين مما دفع باتجاه تشكيل شبه مؤسسات أو حكومات مركزيه كالذي كان في مكه والمدينه، ولنا ان نقول ان ذلك كان خطوه علي طريق طويل يقود الى فكرة الوحدة السياسيه الشامله أو وصولاً الى مفهوم الأمه بمعناها الاوسع سياسياً ودينياً وذلك ما تبناه الاسلام متجاوزاً فكره الولاء للحلف أو الجوار الى ما هو اسمى واوثق الا وهو الولاء للعقيده.

واذا عدنا مجدداً الى طبقه الموالي أو الحلفاء نرى ان من أفراد هذه الطبقه مجموعة من العتقاء اي ممن كانوا عبيداً في القبيلة ونالوا حريتهم واصبحوا يتمتعون بحقوق وواجبات لم تكن لهم في حال عبوديتهم، وحول هؤلاء الذين نالوا حريتهم يشار على ان وضعهم كان افضل من وضع المولى بالجوار على اعتبار ان الولاء بالجوار كما سبق ان اشرنا هو وضع مؤقت وغير دائم في حين ان ولاء العتق دائم. وقد يصل الامر الى حد ان يتبنى المعتق العتيق مما يضفي عليه درجه ومرتبة اجتماعيه تتناسب مع درجة ومرتبة الذي تبناه.

٣. طبقة الارقاء او العبيد

وهي بطبيعة الحال اقل الطبقات حظاً في المجتمع العربي قبل الاسلام سواء اكان ذلك عند القبائل المتنقله أو عند القبائل والمجتمعات المستقره كما هو الحال في جنوب الجزيرة العربية أو في مدن مثل مكه ويثرب والطائف وغيرها. وهذه الطبقه لم

تتساوى مع الطبقتين السابقتين لا في الحقوق ولا في الواجبات، فهم اقل حقوقاص من غيرهم رغم ان عليهم واجبات اكثر من غيرهم، وبلغ الزمر باستهانة هذه الطبقه ان حرمها المجتمع العربي قبل الاسلام من حقوق اساسيه وانسانيه كحق التملك أو الزواج أو اختيار العمل فحرمو من ان يكونوا ملاكا باي شكل من الاشكال وحرموا من تكوين اسر اناثاً أو ذكوراً الا بإذن اسيادهم وكان بعضهم يجبر على ممارسة مهن تدر ربحاً على سيده وتهدر كرامة الانسان (العبد) وبذا كانوا يكلفون بأعمال يأباها العربي، أو السيد على نفسه.[٢١]

وأفراد هذه الطبقه في مجتمع عرب ما قبل الاسلام كانوا موفوري العدد ذلك ان مصادر الرق كانت متنوعه عن طريق الحرب أو عن طريق الشراء من اسواق النخاسة، ونظراً لاتساع ظاهرة الرق والعبوديه في هذا المجتمع نجد ان الاسلام قد أولاها عناية خاصة بان وسع باب العتق ومنح الحرية وضيق باب الاسترقاق في حدودة الدنيا.

وبعد فان ما ذكرناه من طبقات ثلاث تنقسم اليها القبيله لا يعني باي حال من الاحوال ان ذلك هو ما كان سائداً في جميع انحاء الجزيرة، حيث نجد ان ترتيب الاهميه للطبقات أو الفئات تختلف في جزئياتها من بيئه الى أخرى ولكنها تتفق في عمومياتها عند الجميع، فمثلاً في مجتمع جنوب الجزيرة العربية نجد احياناً ان طبقه أو فئة رجال الدين تحتل قمه الهرم الاجتماعي وتليها فئة الحكام والسادة

والأشراف ووجوه القوم ثم طبقة التجار وفي آخر السلم فئة الخدم والأجراء، ولكن ذلك لم يكن حدياً قاطعاً بل كان هناك انتقال من فئه الى أخرى بمستويات مختلفه ووفقاً لمعطيات وظروف مختلفه ايضاً.

وعلى اية حال فان مجتمع عرب الجزيرة قبل الاسلام وبغض النظر عن المستوى الحضاري الذي وصل اليه بقي يعطي للقرابه في النسب اهمية كبرى سواء اكان ذلك عند اهل المدر (الحضر) أو عند اهل الوبر (البدو)[٢٢]

جـ. الاسرة ومكانة المراة في الجاهليه:

سبق أن أشرنا على أن الاسرة شكلت اللبنة الأساسية في بناء المجتمع العربي قبل الاسلام. واوضحنا ان السلطة في هذا كانت سلطة أبويه أو ذكوريه، لكن المرأه كانت تشكل بحكم الطبيعة ركناً اساسياً في هذه الاسرة - البيت أو الخيمة.

على ان دور المرأه في المجتمع العربي قبل الاسلام كما اشارت اليه العديد من الدراسات وكما وصل الينا في العديد من الروايات قد تعرض للتشويه والمبالغه في ذلك حتى أصبح ما يطفو علي السطح يشير الى ان المجتمع العربي قبل الاسلام ببيئاته المختلفه قد وقف ضد الانوثه وضد المرأه، وحقيقه الأمر مغايره لذلك في كثير من التفصيلات، والتشويه الذي حصل لدور المرأه ومكانها لا يخرج عن اطار التشويه وعدم الدقه التي نظر بهما الى تاريخ العرب قبل الاسلام بشكل عام.

فالمرأة في نظر البعض لم تكن اكثر من متاع وتورث كما تورث الاشياء ويبلغ حتى ان المرأه اتهمت بتعدد الازواج كما حرمت من الارث والتركات[٢٢]. ورغم ان مثل هذا الامر كان معروفاً عند البعض الا ان الخطأ ان ينظر الى ذلك وكأنه الأمر الطبيعي والسائد لدى العرب، فبعض النساء وفي بعض البيئات اوعند بعض القبائل عاشت من مثل هذه النظرة والتصرفات وكذا الحال لبعض الرجال في بيئات وظروف معينه، فالدارس لتاريخ العرب يجد ذلك ويجد نقيضه فيجد ان المرأه شكلت عنصراً ضعيفاً يخشي عليه ويتعرض للسبي مما قد يعرض سمعة القبيلة لمعايب واخطار لا يرضاها العربي. وفي نفس الوقت يجد ان المرأه في مجتمع عرب قبل الاسلام وصلت الى اعلى المراتب الاجتماعيه السياسيه والاقتصاديه فمن النساء من وصلت الى مرتبة الكهانة الدينيه ومنهن من وصلت الى سدة الحكم في جنوب الجزيرة العربية وشمالها ولنا في تاريخ دولة سبأ ودولة الانباط وتدمر شواهد على ذلك، وفي المجتمعات البدويه وجدناها تظهر ضروباً من الشجاعه وتملك حتى منح الجوار وتدافع

عن بيتها وتشارك في جوانب الحياة المختلفه.

اما ما اشير اليه من تعرض الإناث لعملية الوأد وهو وان كان حقيقه بشواهد كثيره اهمها النص القراني الذي يشير الى ذلك، بقوله تعالى "واذا بشر احدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم، يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هونٍ ام يدسه في التراب الا ساء ما يحكمون[٢٤] ان ذلك رغم كونه حقيقه عند البعض الا انه كان يمثل امراً شاذاً ومحدوداً عند قبائل معينه وبناء على ظروف معينه فابن حبيب يشير الى انه عرف عند بعض القبائل مثل قيس، كنده، هذيل، اسد، وتميم ويورد ايضاً ان سائر اهل اليمن وحضرموت وعك واياد بن غزار وغيرهم لم يلجأوا الى ذلك[٢٥]، كما ان هناك من وقف ضد هذه المظاهره وقاومها وعمل على التخفيف من قساوتها فها هو الفرزدق يشير الى ان جده صعصعة بن ناجية كان ممن يفدون اللواتي كن يتعرضن لعمليه الوأد قبل الاسلام، حيث يقول في ذلك

أجار بنات الوائدين ومن يجر على الفقر يعلم انه غير مخفر
على حين لا تحيا البنات واذهم عكوفاً على الاصنام المدوّر[٢٦]

ولا يجوز ان ينظر اليه (الوأد) خارج هذا الاطار لان ذلك لا ينسجم مع طبيعة بقاء المجتمع واستمراريته، كما ان ذلك لا ينفي أن المرأه كانت دون الرجل في المجتمع العربي قبل الاسلام بشكل عام رغم وجود استثناءات، الا انها (المرأه) كانت مشاركه فاعلة في حياة مجتمعها فهي تؤدي واجبات اقتصاديه هامه للاسرة فهي تحتطب وتجلب الماء وتحلب الماشيه وتنسج المسكن والملبس وغير ذلك[٢٧].

وفي سبيل توضيح بعض الجوانب من حياة المرأه نشير اختصاراً الى مفاصل هامه من حياتها فيما يتعلق بالزواج والطلاق والمهر والإرث.

١. الزواج والطلاق:

ففي حالة الزواج وهو امر يشترك في قراره الذكر والانثي نجد ان الرجل العربي كان يعطي جل اهتمامه باختيار الزوجه بحيث تكون من ذوات الحسب والنسب سواء اكان ذلك مقروناً بجمال أو ثراء أو لم يكن كذلك[٢٨] وبعض الرجال كان يفضل ان تكون زوجته من قبيلته ومن الأقارب وذلك انطلاقاً من ان هذه الزوجه القريبة نسباً اكثر صبراً وتحملاً ومشاركة للزوج على مصاعب الحياة، والبعض الآخر كان يرى ضرورة ان يكون زواجه من امرأه بعيده وفي النسب عنه لان ذلك أفضل لان الابناء سيكونون اقوى وافضل حتى اصبح ذلك وارداً في امثالهم بقولهم "النزائع لا القرائب، وقولهم "العرق دساس" و "عرق الخال لا ينام"[٢٩].

وكذلك الحال كان بالنسبه للمرأه، فهي في احيان كان لها حريه اختيار الزوج أو ابداء الرأي في ذلك، ولنا في قول هند بنت عتبه لابيها حين كان الخطاب يطلبون يدها "اني امرأه قد ملكت أمري فلا تزوجني رجلاً حتى تعرضه علي، فقال: لك ذلك[٣٠] كما ان المرأه أو بعض النساء كن يفضلن الزواج داخل القبيلة من الاقارب كما هو الحال عند الرجل، وقد ورد قول لإبنة أوس بن حاريه الطائي ما يشير الى ذلك، حيث قالت لابيها حين عرض عليها الزواج من الحارث بن عوف حيث قالت" لا تفعل لأني لست بابنة عمه فيرعى حرمي وليس بجارك فيستحي منك[٣١] وفي نفس السياق ورغبة الانثى في الزواج داخل القبيله، ذلك القول الصادر عن احداهن شر الغريبه يعلن وخيرها يدفن تزوجي في قومك[٣٢].

ومن الامور الاخرى المتعلقه ببعض الحريه التي تمتعت بها المرأه من حيث اختيار الزوج نجد في قصة ماويه بنت عفرز حين اتاها حاتم الطائي خاطباً ووجد عندها لنفس الغرض النابغة الذبياني ورجلاً من النَّبيت وارادت ماويه اختبار هؤلاء الخاطبين لاختيار افضلهم بمزايا اهمها حسب وجهة نظرها جودة الشعر والكرم،

وتورد المصادر قصه ذلك بان ماويه طلبت منهم ان ينقلبوا الى رحالهم ويقولون شعراً يذكرون فيه فعالهم ومناصبهم، ثم اتتهم متنكرة في ثياب أمة تطلب منهم طعاماً ووجدت في نهايه الأمر ان اكرمهم هو حاتم وتزوجته بعد ان انشدها شعراً عرفت حدقه ومنه قوله

أمـــاويَّ ان المال غـــاد ورائح   ويبقى من المال الاحاديث والذكر

امـــاويَّ اني لا اقـــول لســـائل   اذا جاء يوماً حلَّ في مـالنا نذر

امـــاوي امـــا مـــانع فـــمـــبين   واما عطاء لا ينهنهه الزجـر[٣٣]

وكذلك الحال نجده في موقف تماضر بنت عمرو بن الشريد (خنساء بنت عمرو) حين ردت ورفضت خطبة دريد بن الصمة لها حيث قالت له: اتراني تاركة بني عمي كأنهم عوالي الرماح ومرتثة شيخ بني جشم[٣٤] ، وكذلك نجد ان خديجة وزواجها من الرسول الكريم ما يشير الى ان المرأه كانت تختار في احيان معينه ما ترضيه من الرجال زوجاً لها، فالسيده خديجه اختارت محمد بن عبدالله (الرسول ص) لقرابته وشرفه وأمانته وحسن خلقه وصدقه رغم كونه آنذاك من الفقراء، ومما لاشك فيه ان الكثير من كانوا يرغبون بالزواج منها لغناها وشرفها ونسبها ولكنها فضلت الصفات والاخلاق التي ترتضيها في الزواج وفعلت ذلك[٣٥] ان ما ذكرناه من أمثله لا يجوز ان يؤخذ على اساس ان هذا النمط والحريه للمراه هي التي كانت سائده في قضيه الزواج بل ان ذلك يمثل واقعاً لا يمكن نفيه بنفس القدر الذي لا يمكن نفي وجود حالات امتهان للمرأة في قضية الزواج من زواج قسري حيث تجبر الانثى على الزواج من شخص يريده ولي الأمر ولا ترضاه هي وهذا ما جاء الاسلام ليعدله ويلغيه ويجعله من الامور الهامه والتي يجب مراعاتها اي ان يتم الزواج بحضور الولي علي ان لا يكون ذلك مقروناً بالاكراه.

واستكمالاً للفائده نذكر بعض انواع الزواج التي كانت معروفه أيام الجاهليه مثل زواج المقت وهو ان يخلف الولد الاكبر اباه بعد موته على زوجته، وهناك زواج المتعه،

زواج الشغار، زواج الاستبضاع، زواج الاسترقاق، زواج السبي، وزواج الرهط دون العشره بامرأة واحده[٣٦]

وكذلك الحال فيما يتعلق بالزواج فالعصمه والطلاق كان احياناً بيد المرأه وكذلك الامر بالنسبه للرجال، وكان طلاق المرأه للرجل في الجاهليه يتم بان تحول المرأه باب بيتها كأن يكون باب البيت الى المشرق فنحوله الى المغرب أو غير ذلك مما كان يفهمه الرجل ان زوجته قد طلقته .[٣٧]

ورغم كل ذلك لا بد من القول ان طبيعة حياة المجتمع العربي قبل الاسلام كانت تميل الى تفضيل الذكور على الاناث واحياناً كانت تحمل النساء جريره اعمال لم يقترفنها أو اموراً ليست المرأه مسؤله عنها، ومثال ذلك هجرة الزوج لبيت الزوجيه لان زوجته انجبت له انثى وقد وجد ذلك صداه في شكوى احدى النساء يقولها:

ما لأبي حمزه لا يأتينا
يظل في البيت الذي يلينا
غضبان الا نلد البنينا
تالله ما ذلك في ايدينا
وانما نأخذ ما اعطينا
ونحن كالارض لزارعينا
ننبت ما قد زرعوه فينا[٣٨]

ورغم ان الاسلام بعدالته وانسانيته قد عدل من ذلك ورغم ان العلم الحديث قد اثبت بما لا يدع مجالاً للشك في عدم مسؤوليه المرأه عن الانجاب فيما يتعلق بجنس المولود نقول رغم ذلك ورغم بعد الزمن الحالي عن عصر الجاهليه لا زلنا نرى ان الكثير من الفئات في المجتمع العربي وبنسب متفاوته تنظر للأنثى نظره في بعض

جوانبها لا تختلف عن النظره العربية القديمه. وعلينا بنفس الوقت ان نشير على أن النظره للمرأه وفي العصر الجاهلي وتقدير المجتمع لدور المرأه لم يكن حالة فريدة بل نجد ما هو مشابه وأشد ايلاماً في مجتمعات أخرى وعن حضارات مختلفه في عصور مختلفه.

٢. المهر والإرث

وهي من القضايا التي عالجها الاسلام وفصل في أمورها ليعدل ما كان سائداً لدى العرب قبل الاسلام، ونجد في قضيتي المهر والإرث في مجتمع الجاهليه ما وجدناه حول قضية الزواج والطلاق ألا وهو وجود انماط مختلفه ومواقف مختلفه منه، فإذا كان المهر هو ما يدفع لأهل الزوجه وما يتبعه من صدقه يدفعها الرجل لزوجته وهو في الحالين من حق المرأه إلا أن الانسان العربي آنذاك كان احياناً يصادر هذا الحق مما يوقع الظلم بالمرأه وهذا ما جعل القرآن الكريم في سورة النساء معالجن قضية تعدد الزوجات وقضية الزواج من اليتيمه التي تكون في وصاية احدهم كما يعالج قضية أخذ المهر الذي هو حق للمرأه ، بقوله تعالى "وان خفتم الا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم ألا تعدلوا فواحده أو ما ملكت ايمانكم وذلك أدنى ألا تعولوا، وأتوا النساء صدقاتهن نحله فان طبن لكم عن شيء منه فكلوه هنيئاً مريئاً".[٢٩]

وكذلك الحال فإن المهور كانت تختلف من امرأه الى اخرى بحسب نسبها وشرفها وغناها وكذلك الحال بحسب حال الذي يتقدم للزواج ووضعه وهو ما نجده مشابهاً لما هو سائد في أيامنا هذه، إلا ان بعض القبائل كانت تغالي في المهور وهناك إشارات الى مبالغه بعض القبائل بذلك وخاصه قبيلة كنده حتى ان الرسول (ص) اشار الى ذلك بقوله "اللهم إذهب ملك غسان وضع مهور كنده".

اما فيما يتعلق بقضيه الارث للمرأه فهو مرتبط بطبيعة الدور الذي كانت

تؤديه المرأه وبطبيعة المرأه التي سبقنا ان اشرنا اليها فيما يتعلق بالمرأه، فهناك إشارات على العديد من القبائل العربية لم تكن تورث الإناث حيث يشير ابن حبيب الى ذلك بقوله "كان العرب في الجاهليه مجمعين علي توريث البنين دون البنات وكان لا يورثون الا من حاز على الغنيمه وقاتل على ظهور الخيل[٤٠]، والبعض الآخر كان لا يورث النساء وكذلك صغار السن ونجد ان ذلك مرتبط بأن هذه الفئات هي الأقل مشاركه في الأمور التي تتعلق بالدفاع عن القبيله وربطوا ذلك بالإرث، ولكن ذلك لم يمنع وورود بعض الإشاراتعلى بعض عرب الجاهلية كان يورث للبنين ضعف ما يورث للاناث[٤١]. ومما يؤكد وجود نصيب للمرأة في الإرث عند بعض القبائل ماأشار اليه الشاعر طرفه الشاعر الشاب (٥٤٠-٥٦٥) حيث اورد شعراً يذكر فيه أن حرمان المرأه من الأرث يثير الحفيظه والحنق، وقد ذكر ذلك حين وجد ان اعمامه يريدون حرمان امه من حقها في الأرث فقال:

ما تنظرون بحق وردة فيكم ... صغر البنون ورهط وردة الغيب
قد يبعث الأمر العظيم صغيره ... حتى تظل له الدماء تصبب
والظلم فرق بين حيي وائل ... بكر تساقها المنايا تغلب
ادوا الحقوق تفر لكم اعراضكم ... ان الكريم اذا يحرب يغضب[٤٢]

د. ايام العرب

وبعد ذلك لا بد من الاشارة هنا الى ان المجتمع العربي في هذه المرحلة التي اطلق عليها الجاهلية ووهي مرحلة تمتد من بدء التاريخ العربي الى قيام دولة الاسلام قد نظر اليه ولا تزال هذه النظره محتويه على العديد من الآراء والتقيمات في ابراز مثالب ومحاسن هذا المجتمع، فهي من وجهة نظر البعض لا تخرج عن اطار ان هذه المرحلة تمثل مرحلة المجتمع البدائي في حياته الاجتماعية هذا المجتمع القائم على الاعتزاز بالانسان والانتماء للقبيلة ومسايرتها لا جميع ماتقدم به صح ذلك ام كان

خاطئا بحيث تلغى في هذا المجتمع شخصية الفرد ويصبح الفرد يرتبط بهذا المجتمع القائمه على العصبية القبيلية اي يرتبط بمجتمع يقوم على التجانس وعدم التنوع فيها يصبح الفرد فمن أفراد المجتمع كماً وعدداً متشابهاً يتبع للقبيلة بما يلغي من حرمة تفكيره وبذلك نجد لسان الحال يشير الى ذلك.

وهل انا الامن غــزيه ان غــوت   غــويت وان ترشــد غــزيه ارشــد

وقول الشاعر تعضيداً لنصرته لأفراد قبيلته دونما مناقشة أو مساءله

لا يســألون اخـاهـم حين يهـذبهم   في النـائبـات على مـا قـال برهانا[٤٣]

وكما نظر الى هذا المجتمع دينياً بمنظار المرحلة اللاحقة اي مرحلة الاسلام وعظمته واكتماله كديانه سماويه وطبيعي ان تأتي النظرة للمجتمع الجاهلي من قبل البعض من هذه الزاوية على انه مجتمع عبادة الاصنام أو الأوثان والشرك بالله وهو وان كان حكماً صائباً في جوانب كثيرة منه الا انه لم يكن عاماً وضمن هذا الاطار وإلا أخر جناه عن سياق التطور الطبيعي للمجتمعات البشريع كما نظر الى هذا المجتمع على انه مجتمع دائم الصرا ع القبلي لاسباب مختلفة وركز في هذا السياق على ايام العرب كما ركز على ان الاقتتال كان من طبيعة العرب آنذاك اقتتال بين قبائل مختلفة أو بين قبيلة وأفرادها، وفي ذلك يقال:

واحــيــاناً على بكر اخــينا   اذا لـم نجـــــد الا أخـــــانا[٤٤].

وذكـرت الدراســات العــديدمن ايام العـرب سـواء اكـانت بين القــحطانين والعدنانين أو بين القبائل نفسها.

مثل يوم خزارى التي كانت بين عرب الشمال وعرب الجنوب وكانت بدرجة رئيسه بين قبائل معد وكليبي وائل وكانت نتائها لصالح معد وضد مصالح قد جم[٤٥].

وحرب البسوس بين بكر وتغلب واستمرت لفترة طويلة وهي حرب بين ابناء العمومه واستمرت بحسب بعض الروايات اريعون عاماً وكان من اشهرها خمسة ايام

هي: يوم عنيزه وكانت فيه القوى متكافئه ويوم واردات وكان التغلب على بكر ويوم الحنو وكان لبكر على تغلب ويوم القصيبات وكان لتغلب على بكر واليوم الخامس وهو آخر ايام هذه الحرب هو يوم قضه وكان لبكر وفيه اسر الشاعر مهلهل بن ربيعه وهو خال امرئ القيس[٤٦].

وحرب داحس والغبراء وهي من الحروب المشهورة بين عبس وذبيان وقد استمرت لمدة عشر سنوات وكان من ابطالها عنتره بن شداد وهوالقائل مفتخراً بانعاله فيها:

انى لتعرف في الحروب مواطني　　في آل عبس مشهدي وفعالي

منهم ابي حقا فهم لي والد　　والأم من حام منهم اخوالي[٤٧].

وهناك ايام وحروب وقعت بين العرب المستقرين ايضا كالذي كان بين الاوس والخزرج مثل يوم بعاث وغيرها والتي سبق الاشارة اليها عند الحديث عن مجتمع يثرب[٤٨]، ويوم عين أباغ ويوم حليمه بين كل من الغساسنه والمناذره[٤٩].

وايا كانت النظرة للمجتمع في نمط حياته المستقر اوالمعتمد على الارتحال فان هذا المجتمع لا يخلو رغم تخلف جوانب حياته من أفق حضاري وقيم حضاريه في مجالات الحياة المختلفة، فمجتمع عرف النخوه، الكرم، الشجاعه الصدق، المروءة وغير ذلك من الصفات التي امتاز بها العربي.

فهذا المجتمع العربي رأى الصدق فضيله وميزه، وفي ذلك يقول الشاعر

والصدق بالفه الكريم المرتجى　　والكذب يالفه الدنيء الاخيب[٥٠].

كما عرف الوفاء وضربت به الامثال وليست قصة السموءل بن عاديا الذي استودعه امرؤ القيس سلاحه ومتاعه ورفض السموءل تسليم ذلك للحارث الغساني الا مثالاً واحداً من امثله متعدده على الوفاء[٥١] وكذلك الكرم وتمجيد الشخصيات التي اشتهرت بذلك من امثال حاتم وكذلك الكرم وتمجيذ الشخصيات التي اشتهرت بذلك

من امثال حاتم الطائي وكعب بن ماجه وهرم بن سنان، نقول ان ذلك ليس الاجانباً من حياة هذا المجتمع.

ان هذا المجتمع الذي اشرنا ايجازاً الى جوانبه المجتمعية كان مجتمعاً تتلاقى فيه الحضارة والبداوة وتتفاعل فيه مؤثرات محلية مع مؤثرات عاليه قاوت عبر تطور زمني الى جعل هذا المجتمع مجتمعاً مؤهلاً لنقله حضاريه بمقاييس عالميه نقله ثوريه غيرت وعدلت واضافت الي هذا المجتمع حتى اصبح رائداً للعالم حين كلف بنشر الرسالة السماوية رسالة الاسلام الى العالم.

هوامش الفصل الثامن

(١) حتى: مرجع سابق ص٢٥

(٢) مهران، محمد بيومي: دراسات في تاريخ العرب القديم، الرياض ١٩٧٧، ص١٩-٢٢

(٣) القالي، ابو علي: الامالي، مطبعه السعاده، مصر ١٩٥٣، جـ٢، ص٢٢١-٢٢٢

(٤) العتوم: مرجع سابق، ص٣٦٠
البلاذري: انساب، جـ٢، ص١٧٩

(٥) الشريف: مكه والمدينه ص٣٠، العتوم: مرجع سابق ص٣٦١

(٦) امين: فجر الاسلام ص١٠، الشريف: مكه والمدينه، ص٣١

(٧) مهران: مرجع سابق، ص١٩-٢٢

(٨) السويدي، ابو الفوز محمد امين البغدادي: سبائك الذهب في معرفه قبائل العرب، مكتبه الرياض الحديثه، الرياض (د.ت)، ص٧

(٩) عبد الحميد، سعد زغلول: في تاريخ العرب قبل الاسلام، بيروت ١٩٧٥، ص٣٠٤

(١٠) ابن الاثير: مصدر سابق، جـ١، ص٣٥٩

(١١) الشريف: مكه والمدينه، ص٣٢

(١٢) النويري: نهايه الأرب، جـ١٥، ص٣٥٨

(١٣) الجمحي: مصدر سابق، ص٩٨

(١٤) القران الكريم: الاحزاب (٣٣) آيه ٣-٤

(١٥) علي: المفصل، جـ٤، ص٣٧٣

(١٦) اليعقوبي: تاريخ، جـ١ ص٢٤١

(١٧) اليعقوبي: نفسه، جـ١ ص٢٤٨

(١٨) ابن هشام: السيره، جـ١، ص٤٣٤، عاقل: تاريخ العرب، ص٢٥٦.

(١٩) ابن هشام: نفسه، جـ١ص١٣٤ عاقل: تاريخ العرب، ص٢٥٦.

(٢٠) الالوسي: بلوغ الأرب، جـ١، ص٢٧٥-٢٧٦

(٢١) الشريف: مكه والمدينه، ص٣١-٣٦

(٢٢) العلي: محاضرات في تاريخ العرب، ص١٣٤-١٣٥
بافقيه: تاريخ اليمن القديم، ص٢١٥
علي: المفصل، جـ٤، ص٥٥

(٢٣) مولانا، محمد علي: حياة محمد ورسالته، بيروت ١٩٦٧، ص٢٧-٢٨

(٢٤) القرآن الكريم: النمل (١٦) أيه ٥٧-٥٩

(٢٥) ابن حبيب: المحبر، ص١٧٩-١٨٦

(٢٦) العتوم: مرجع سابق، ص٣٥٤ ابن قتيبه الدينوري: طبقات الشعراء،ص٢٣٥

(٢٧) امين: مرجع سابق، ص١٠-١١

(٢٨) الحوفي، احمد محمد: المرأه في الشعر الجاهلي، القاهره، ١٩٥٢، ص١٨

(٢٩) الحوفي: مرجع سابق ص١٢٧، الميداني: مجمع الامثال، جـ١، ص١٢٤

(٣٠) العتوم: مرجع سابق ص٣٤٥

(٣١) كحاله: أعلام النساء، جـ١، ص١٣١

(٣٢) الميداني: مصدر سابق، جـ١، ص١٢٤

(٣٣) ابن قتيبه الدينوري: الشعر والشعراء، ص١٠٧-١٠٨

(٣٤) ابن قتيبه الدينوري: نفسه ص

(٣٥) كحاله: مرجع سابق، ص١، ص٢٧٥-٢٧٧، ابن هشام: مصدر سابق، جـ١، ص٧

(٣٦) الرفاعي، انور: الاسلام في نظمه وحضارته، ص٢٩

(٣٧) العتوم: مرجع سابق، ص٢٤٧

(٣٨) نفسه، ص٣٤٧

(٣٩) القرآن الكريم: النساء (٤) آيه ٢-٤

(٤٠) ابن حبيب: مصدر سابق، ص٢٣٦-٢٣٧

(٤١) ابن حزم: مصدر سابق، ص.٢٩، ابن حبيب: مصدر سابق، ص٢٣٦-٢٣٧

(٤٢) الاعلم الشنتمري: مصدر سابق، جـ٢ ص.١-١١

(٤٣) الشريف: مكه والمدينه، ص٣١، امين: مرجع سابق، ١٠

(٤٤) امين: مرجع سابق ص٩.

(٤٥) المولى، محمد احمد جاد: *ايام العرب في الجاهليه*، القاهره ١٩٥٣، ص.١١، العتوم: مرجع سابق، ص٤٠١ الاعلم الشنتمري: مصدر سابق، جـ٢،ص١٧٥

(٤٦) المولى: مرجع سابق، ص١١٢، العتوم: مرجع سابق، ص٤٠١-٤٠٢

(٤٧) ابن قتيبه الدينوري: الشعر والشعراء، ص١١١-١١٢
الاعلم الشنتمري: مصدر سابق، جـ٢، ص١٠٨

(٤٨) للمزيد، انظر: فصل الحجاز.

(٤٩) للمزيد، انظر: فصل الغساسنة والمناذرة

(٥٠) الاعلم الشنتمري: مصدر سابق، جـ٢، ص.٩

(٥١) ابن قتيبه الدينوري: الشعر والشعراء، ص٤٢-٤٣.

الفصل التاسع

الحياة الدينيه

الفصل التاسع

الحياة الدينيه

مقدمة:

من الجوانب الهامه التي لا زالت تحظى باهتمام الباحثين في تاريخ جزيره العرب قبل الاسلام، ذلك الجانب المتعلق بمعرفة التطور الديني في هذه المنطقه وبين سكانها بمختلف مستوياتهم الحضاريه وطبيعة حياتهم، وقد خلص الباحثون من ذلك الى عدد من الامور، منها:

١- ان العرب كانوا يقرون بوجود الله ويعترفون كما يبدو من طقوسهم وكما يظهر في اشعارهم بان هناك الها كبيراً يتحكم في الكون، وان هذا الاله الكبير هو الاله الذي كان مشتركا عند الساميين القدماء وهو الذي كان يسمى عندهم "ايل" وهو الله الذي كشفت عنه النقوش العربيه القديمه كالنقوش الثموديه والصفويه

٢- ان الجزيره العربيه ومحيطها الجغرافي كانت مهداً للعديد من الرسل والانبياء، الذين كانوا يبعثون في سكان هذه المنطقه كلما انحرفوا من عبادة الله واتخذوا معه الهه أخرى، وكانت مهمة هؤلاء الانبياء والرسل هي دعوة سكان هذه المنطقه الى العوده عن انحرافاتهم، وعليه كان ظهور هود عليه السلام في منطقة الاحقاف، وظهور النبي صالح عليه السلام في قوم ثمود وظهور شعيب في مدين.

٣- ان ظهور ابراهيم عليه السلام وبنائه البيت الحرام كان بداية مرحله هامه في التاريخ العربي القديم حيث على يديه تمت تجليه فكره الاله الواحد بين سكان جزيره العرب، وان العرب الذين انحرفوا عن دعوته عادوا الى اتخاذ اوثان كالهه وارباب لهم وان هذا قد انتشر في ارجاء مختلفه من جزيره العرب، على الرغم من ان هؤلاء (سكان الجزيره) لم يغفلوا عن الله بل كانوا يرون انهم يعبدون هذه الاشياء لتقربهم الى الله، كما انهم ظلوا متمسكين بشعائر من ديانه ابراهيم التوحيديه كالحج الى الكعبه، والعمره واهداء البُدن وغير ذلك. ومعنى ذلك ان التدين عند العرب مرتبط اساساً بما يمكن ان يطلق عليه مذهب التوحيد الفطري وان الذي شاب هذا التوحيد الفطري قد قاد الى الشرك بالله دون ان يصل الامر الى حد الكفر الالحادي، وهذا ما اكد عليه القرآن الكريم بتأكيد ان فطرة التوحيد فطرة انسانيه مصداق قوله تعالى:

"واذا أخذ ربك من بني آدم. من ظهورهم ذريتهم واشهدهم على أنفسهم الست بربكم قالوا: بلى شهدنا ان تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين".

٤- ان الجزيره العربية لم تكن في مراحل تاريخها المختلفه منطقه منعزله بل كانت منطقه تأثر وتأثير مع محيطها الجغرافي بما انعكس على جوانب الفكر الديني تشابهاً مع هذا المحيط وكذلك انعكس في تنوع وتعدد مظاهر التدين، واكد ذلك ايضاً اختلاف جزيرة العرب في طبيعتها من جزء الى آخر مما اثر على انماط الحياه اختلافاً في اجزائها المختلفه وما ارتبط بذلك من تأثير على مستوى الفكر عند سكان هذه المناطق ونظرتهم وتفسيرهم لما يحيط بهم في البيئه الطبيعيه، وانطلاقاً من ذلك وجدنا تعدداً للمعبودات والديانات في جنوب الجزيره ووسطها وشمالها، وان هذا التعدد كان متشابهاً في المناطق المختلفه وان اختلفت المسميات وطقوس التعبد، وقد ساعد على هذا التشابه ان اقسام الجزيره العربيه كانت دوماً على اتصال لأسباب مختلفه منها الاقتصادي ومنها السياسي، وقد وضح لنا ذلك من خلال الحديث عن الدول التي قامت في

جنوب جزيره العرب، وعلاقاتها مع المناطق الأخرى حيث تاكد لنا ان الحركه السكانيه كانت دائمة في الاتجاهات المختلفه من اراضي الجزيره العربيه وما رافق هذه الحركة والانتقال السكاني من تبادل للافكار والتصورات الدينيه.

٥- ان مصادر دراسة التطور الديني لدى سكان الجزيره العربيه هي بطبيعة الحال مصادر متنوعه شملت النقوش العربيه وكذلك النقوش في المناطق المجاوره كالنقوش الأشوريه، ومن المصادر ايضاً الشعر العربي رغم كونه شعراً دنيوياً الا انه عرض في جوانب منه لاسماء الهه ومعبودات عند العرب وخاصة في الفتره السابقه للاسلام، والمصدر الأهم لمعرفة جوانب من التطور الديني عند العرب في جزيرتهم هو ما جاء في القرآن الكريم من ذكر لمعبودات العرب واسمائها ونظرة العربي اليها، وبيان الانحراف الذي حصل عن عبادة الاله الواحد وتبيان لمحاولات الرسل والانبياء لتصحيح هذا الانحراف في مراحل مختلفه من تاريخ العرب.

٦- ان طبيعة التدين عند العرب كان متاثراً بطبيعة حياه اقسام العرب ومستوياتهم الحضاريه، فالتدين عند عرب الشمال وعند البدو الرحل مختلف عنه عند سكان المناطق الاكثر استقراراً كما هو الحال في جنوب جزيره العرب.

٧- ان ارض الجزيره بنتيجه ما مر شهدت عبادات مختلفه من عبادة التوحيد الفطري، الى عبادة مظاهر الطبيعه، الى معرفة بالديانات السماوية كاليهوديه والنصرانيه، وان ارض الجزيره التي شهدت هذا التنوع في المعبودات كانت كذلك وبحكم موقعها المنطقه التي حظيت برسالة الاسلام كآخر وخاتمه الرسالات لتكون رساله عالميه أبديه وما يعنيه اختيار الارادة الالهيه لهذه المنطقه وسكانها ليكونوا حمله الهدايه الى العالم.

من خلال ما مر وتسهيلاً وايجازاً يمكننا ان نقسم اديان العرب ومعتقداتهم الى اقسام هامه منها:

١. الاحناف (الموحدون):

ويمثلها الفئة التي اعلنت تمسكها بدين ابراهيم عليه السلام، وانها تؤمن كما آمن ابراهيم عليه السلام باله متفرد بالعبوديه، وسميت هذه الديانه الحنيفيه وان اتباعها سموا الحنفاء، وان الحنيفيه صفه لابراهيم الخليل عليه السلام، مصداقاً لقوله تعالى: "ملة ابيكم ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين"[١].

ورغم ان كلمة حنيف وجدت تفسيرات مختلفه لدى الدارسين الا أن اهم معانيها هو الاستقامه على ملة ابراهيم، وهناك من يرى ان هذا الاتجاه واصحابه لا يمثلون ديانة واضحة المعالم بل هي تمثل اتجاهاً لمجموعة اشخاص، استنكروا عبادة الأصنام وتأثروا بالتعاليم السماويه في الديانتين اليهوديه والنصرانيه ولكنهم ليسوا نصارى ولا يهود[٢]، وفي ذلك يقول أحد هؤلاء الاحناف وهو ابوقيس ابن الأسلت

فلولا ربنا كنا يهوداً   وما دين اليهود بذي شُكول
ولولا ربنا كنا نصارى   مع الرهبان في جبل الجليل
ولكنا خلقنا اذ خلقنا   حنيفا ديننا عن كل جيل[٣]

فالأصل ان العرب كانوا في بدء امرهم موحدين، ولكنهم ولعوامل متعدده ومع تطاول ومرور الزمن حرفوا هذه الديانه وابتعدوا عنها، شأنهم في ذلك شأن اليهود والنصارى الذين حرفوا ديانتهم وابتعدوا عنها، والى معنى ابتعاد العرب في مرحلة من مراحل تاريخهم عن ديانه التوحيد يشير ابن كثير بقوله: "ان العرب كانوا قديماً متمسكين بدين ابراهيم الخليل عليه السلام، فبدلوه وغيروه وقلبوه وخالفوه واستبدلوا بالتوحيد شركا وباليقين شكا وابتدعوا اشياء لم يأذن بهاالله [٤]". ويفهم ايضاً ان ديانة التوحيد رغم ما أصابها من انحرف لدى بعض العرب الا ان جذورها بقيت حية في نفوس البعض الذين آمنوا باليوم الآخر وعملوا على الابتعاد عن الرذائل وابقوا على الحج والعمرة والتلبيه[٥]، وقد وردت اشارات قرآنيه تدل على مثل ذلك بقوله تعالى" قل من يرزقكم من السماء والاراض أمن يملك السمع والابصار، ومن يخرج

الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الامر فسيقولون الله، فقل أفلا تتقون»[٦].

واذا نظرنا الى اتباع الحنيفيه في اطار مجتمعهم العربي آنذاك فهم شكلوا جماعة مصلحين ارادوا اصلاح الاوضاع في مجتمعهم وعملوا على رفع شأن العقل، فهم ضد الأوضاع التي كانت سائده في مجتمعهم، فمنهم النصراني الذي لا يؤمن ببعض المعتقدات النصرانيه ومنهم من هو حائر في امره يعيب على قومه ماهم فيه[٧].

وان كنا نفهم من الأخبار عن الأحناف على انهم لا يمثلون ديناً جديداً الا انهم لم يشكلوا جماعة مؤثره قادرة على تغيير ما كان سائداً الا أن الاحناف وحركتهم كان مؤشراً على تغيير قادم يعيد التدين الى أصله وفطرته.

وقد ذكرت لنا المصادر أسماء عدد من الاشخاص من اتباع الحنيفيه، فيذكر المسعودي منهم حنظلة بن صفوان، خالد العبسي الذي قال عنه الرسول (ص): ذلك بني أضاعه قومه[٨]. وشخصيه زيد ابن عمرو ابن نفيل العدوي القرشي، وزهير بن ابي سلمى، قس ابن ساعدة الإيادي وكعب بن لؤي بن غالب وعامر بن الظرب العدواني وكذلك شخصيه أباذر الغفاري والذي أوصله تأمله لعبادة التوحيد[٩] ولعل في قول زيد بن عمرو العدوي ما يشير الى ايمان هذه الفئه بالله الواحد المتزه عن ما عبده العرب وما تقربوا به الى الله من اصنام مختلفه، حيث يقول شعراً

أربا واحداً ام الف رب ... ادين اذا تقسمت الامور

عزلت اللات والعزى جميعا ... كذلك يفعل الجلد الصبور

فلا العزى ادين ولا ابنتيها ... ولا صنمي مني عمرو ازور

ولا هبلا ادين وكان رباً ... لنا في الدهر اذ حلمي صغير[١٠]

ومن امثال هؤلاء الذين توصلوا بفكرهم وتأملهم الى الايمان بالله الواحد كانت الارهاصات بنبوة محمد (ص) وكانوا من ضمن المؤشرات التي تنبئ بان العرب

مقبلون على نقلة عظيمة تمثلت بالدين الاسلامي، ان هؤلاء الأحناف كان لهم دور كبير في اضعاف المثل الدينيه الجاهليه الذي قاد الى ترك الوثنيه والاتجاه الى التوحيد ولا شك ان افكار وتصرفات مثل هذه الجماعه كانت وراء انتشار ظاهره عيب وسب الالهة من الأصنام، وعليه فيمكننا ان نرى فيما اشارت اليه المصادر حول قصه امرئ القيس مع ذي الخلصه، حيث سبه وكسر اقداحه وضربه بها، وقال:

لو كنت ياذا الخلص الموتورا   مثلي وكان شيخك المقتولا

لم تنه عن قتل العداه زورا[١١]

ب. عبدة الاصنام (المشركون):

سبق ان أشرنا الى ان ديانة التوحيد هي الأصل وهي ديانة الفطره، وعليه فان الشرك كان امراً طارئاً، فابن كثير يشير في تفسيره الى ذلك أي تغيير العرب في مرحلة من مراحل تاريخهم لعبادة التوحيد، ورغم ذلك بقي هؤلاء العرب يؤمنون بالله ولكن اشركوا بعبادته الانصاب والاصنام والاوثان وغيرها[١٢]، اي ان شركهم لا يقوم على اساس نفي الاعتقاد بالله والخالق، ولكن هذا شابته شوائب مع مرور الزمن، فعرب الجاهليه لم يكونوا قادرين في الغالب على تصور الذات الالهيه الا من خلال المحسوسات.

وحول تغير العرب من ديانة التوحيد الى عبادة الشرك والأصنام تشير المصادر على ان الذي أحدث هذا التغيير هو عمرو بن لحي حيث جلب اولى الأصنام من بلاد الشام الى منطقه الحجاز[١٣]، واصبح العرب يشركون هذه الاصنام في عبادة الله وقد اشار القرآن الى هذا بقوله تعالى: (ام جعلوا لله شركاء وخلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم، قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار)[١٤].

ويشير ابن الكلبي المتوفى سنه ٢٠٤هـ/٨١٩م في كتابه الأصنام الى احتمال

ان يكون أصل عبادة الأصنام هو ما كان من تقديس للبيت الحرام بحيث كان لايظعن ظاعن عن مكه الا واحتمل معه حجراً من حجارة الحرم تعظيماً له[١٥].

وايا كان الأمر فان عبدة الاصنام والاوثان وغيرها كانوا يرون في هذه المعبودات وسيلة تقربهم الى الله وتشفع لهم، وهذا ما اشار اليه القرآن الكريم، بقوله تعالى: (ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عندالله)[١٦] وقوله تعالى: "ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى)[١٧].

وقد انتشرت هذه العبادة انتشاراً واسعاً بين احياء العرب وتعددت اسماؤها واشكالها، فكان منها الأصنام، والصنم كما يشير ابن الكلبي هو ماكان معمولاً من خشب او ذهب او فضه على صورة انسان، واما الوثن فهو ما كان من الحجاره، وابن منظور لم يفرق بين الصنم والوثن[١٨].

والانصاب حجاره غبر منصوبة يطوفون بها ويعترون عندها يسمونها الانصاب ويعترون عندها، ويسمون الطواف بها الدّوَار[١٩].

ونظراً لتعدد هذه المعبودات عند العرب في مناطق الجزيره المختلفه، فنشير هنا الى أشهرها وخاصة تلك التي وردت عنها اشارات في القرآن الكريم[٢٠] والنقوش وبعض المصادر الادبيه، ومنها ما ذكره القرآن الكريم، في قوله تعالى "ولا تذرن الهتكم ولا تذرن وداً ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا"[٢١]

واولها ود وكان على هيئة رجل، وعبدته قبائل كلب وموقعه بدومة الجندل، واذا أخذنا موقعه من القرآن الكريم فهو ذكر في سورة نوح مما يدلل على أن وداً من الالهه القديمه من ايام نوح عليه السلام، وكان من ضمن خمسة الهه عند هؤلاء القوم. ويبدو ان عبادته استمرت حتى مجيء الاسلام.

ويصفه ابن الكلبي بانه على هيئة رجل يتقلد سيفاً ويحمل قوساً وحربه، وعبدته مجموعة من القبائل مثل طيئ وتميم وهذيل ولخم وجماعات من الأوس والخزرج، وقد ورد اسمه في الشعر العربي الى جانب ذكر اللات والعُزى.

كما ورد اسمه في النقوش الثموديه[٢٢]. وبقي هذا الصنم حتى كسره خالد بن الوليد في غزوة تبوك بدومة الجندل. ومعروف ان اسم ود عند عرب جنوب الجزيره كآله للقمر عند بعض الدول اليمن وان اتخذ في بعضها اسماء اخرى.

اما سواع، فهو الهه انثى بعكس ود، وقدسته قبائل همذان وكان سدنته من بني لحيان، وكان يوجد في منطقه يقال لها رهاط من بطن نخله[٢٣].

وقال فيه احد العرب

تراهم حول قيلهم عكوفا ... كما عكفت هذيل على سواع

تظل جنابَهُ صرعى لديه ... عتائر من ذخائر كل راع[٢٤]

وتم التخلص من هذا الصنم في السنة الثانيه للهجره على يد عمرو بن العاص[٢٥].

يغوث: وكان على هيئه اسد، وقدسته قبائل مذحج وهوازن وتغلب، وقد اشار الشعر الجاهلي لهذا الصنم، بقول احدهم:

وسار بنا يغوث الى مراد ... فناجرناهم قبل الصباح[٢٦]

وقد اشار اليه جورجي زيدان على ان هذا الصنم كان يشبه ما عبده المصريون من آلهه على صورة لبؤه تعرف باسم تغنوت[٢٧].

يعوق: وكان هذا الصنم على هيئة فرس، وقد عبدته وقدسته بطون من همذان حيث يشير ابن الكلبي[٢٨] الى ان هذا الصنم قد اعطاه عمرو بن لحي الخزاعي الى همذان وعبدته حيث كان موضعه في احدى قراهم التي تدعى خيوان التي تبعد عن صنعاء ليلتين، ويرى ابن الكلبي انه لم يسمع ان احداً من همذان تسمى به ويعلل ذلك بان همذان لقربها من صنعاء واختلاطهم بالحميريين قد تحولوا من عبادة هذا الصنم الى الديانه اليهوديه وذلك في الفترة التي تهود بها احد حكام حمير وهو ذو نواس[٢٩]، وربما كانت عبادة هذا الصنم الذي هو على شكل فرس مرتبط ببقايا العبادة الطوطميه عند العرب فعبدوا الفرس ضمن المجموعات التي عرفت بالاسبذيين (الذين

قدسوا الخيل).

نسـر: وهو على صـورة طائر النسـر ووجـدت عـبـادته في جنوب الجـزيره العـربيـه وشمـالها، ويشير ابن الكلبي على انه عبد عند قوم ذي رعين من حمير، وعبدته حمير حتى كان أمر تحولها -او اجزاء منهـا- الى اليهوديه، وعثرت التنقيبات الأثاريه على قطع نقديه حـميريه تحمل صورة للنسر، كمـا وجدت اصنام منحوته في الصـخر في مناطق الحجاز وكانت على هيئة النسر[٣٠].

ومن المعـبودات التي احـتلت مكانة في الشـهرة في تـاريخ العرب قـبل الاسلام ايضـاً تلك التي اشار اليهـا القرآن الكريم، بقوله تعـالى: "افرايتم اللات والعزى ومناة الثالثه الأخرى، الكم الذكر وله الأنثى تلك اذاً قسمة ضـيزى"[٣١]

اللات: اعـتـبرت الـلات من الالهه القـديمه ليس عند العرب وحـدهـم وانمـا عند شـعـوب أخرى ولكن بمسـمـيـات مـخـتلفـه، والمهم مـعـرفـة ان اللات عـبدت في جنوب الجـزيره. العربيه وشمـالها فهي عبدت في مناطق الحـجاز وكذلك عند التدمريين والانباط[٣٢] وهي آلهة مؤنثه وكذا ورد اسمها في النقوش العربيه الشماليه والنبطيه والتدمريه[٣٣] ومن دراسـة النقـوش الصـفـويه نجـد انهـا احـتلت مكانه هـامـة عندهم وتكرر ذكـرهـا في نقـوشـهم في مـنـاطق مـخـتلفـه، السـعـوديه، الاردن، سـوريا والـعـراق[٣٤]، وعـرفـهـا اهل الحضـر في العراق وصـورت عندهـم على شكل امرأه تعتمر خـوذه على راسـهـا وتحمل رمحـاً في يدهـا. ولهـا اشارات في النقوش الثموديه بل وهناك اشارات مؤكده لبنائهم معبداً لها في منطقه روافه[٣٥]. وكذلك وكمـا راينا عند الحديث عن تدمر بانها كانت من معبوداتهم حتى ان احد حكام تدمر وهو ابن زنوبيا كان يسمى وهب اللات، ومن احد النقـوش التدمـريه يفـهم انهـا عندهـم تمثل الالهـه الطيـبـه والهـه الحكمـه ويتـرافق مع صـورهـا صـوره للاسد احيانا[٣٦].

ونظراً لـهـذا الاتسـاع الجـغـرافي الذي عـرفت فـيـه اللات، فـلذلك تنوعت النظره اليها والى زمانها، واختلف في جنسها.

والمصادر العربية تشير الى اللات وخاصة في منطقه الحجاز، ويفسر اسمها أنه مشتق من اللت والتي تعني الدق او الخلط[٣٧]. وتروي المصادر العربيه قصه حول ذلك تعود الى فتره عمروبن لحي حيث كان رجلاً من ثقيف يلت السويق في موسم الحج لعمرو بن لحي وصادف ان توفي الرجل فأخبرهم عمروبن لحي انه لم يمت وانما دخل الصخره وامرهم بعبادتها وبنوا عليها بنيانا يسمى اللات، وموقعها بارض نخله، وقد قدسها بشكل خاص اهل الطائف وخاصه ثقيف وكذلك اهل مكه[٣٨]. في حين يرى بعض الدارسين الى ان اللات هي آلهة الشمس زوج الا له ود (اله القمر) وان من زواج اللات (الشمس) وود (القمر) كان الاله عشتر او العُزى[٣٩]، ويرى احمد كمال باشا ان اللات هي الطاغيه عند المصريين وكانت ترمز الى الحصاد والنمو، كما انها يمكن ان تكون رمزاً للنجم "للت" اي النسر الواقع[٤٠].

وقد وردت اشارات في الشعر العربي تشير الى اللات بدلالات مختلفه فها هو عمروبن الجعيد يشير الى ترك عبادة اللات بقوله

فاني وتركي وصل كأس لكالذي تبـــرأ من لات كـــان يدينـهـــا[٤١]

ويشير ابو سفيان بن الحرث اليها بقوله.

لعــمـــرك اني احــمل راية لتـغلب خـيل اللات خـيل مـحـمـد[٤٢]

ويشير أوس بن حجر اليها والى غيرها وعلى اعتبار أن الله اكبر من كل هذه المعبودات، اذ يقول:

وباللات والعزى ومن دان دينها وبالله، ان الله منهن اكـــبـــر[٤٣]

وقد بقيت عبادة اللات منتشره في منطقه الحجاز الى ان بدأت دولة الاسلام تحقق الانتصارات بدخول العرب في دين الاسلام، فبعد ان اسلمت ثقيف ارسل محمد (ص) المغيره بن شعبة الى اللات فهدمها واحرقها[٤٤]، ويشير ابن حزم على ان نهايه اللات كانت على يد خالد بن الوليد ومعه المغيره بن شعبه[٤٥]. ويشير ابن الكلبي

الى هذه النهايه حيث يورد شعراً قاله شداد بن عارض الجشمي ينهى ثقيفاً عن العودة الى عبادتها والغضب لها. اذ يقول

لا تنصروا اللات ان الله مهلكها	وكيف نصركم من ليس ينتصر
ان التي احرقت بالنار فاشتعلت	ولم تقاتل لدى أحجارها هدر
ان الرسول متى ينزل بساحتكم	يظعن وليس بها من اهلها بشر(٤٦)

العُزى: وهي أحدث في عبادتها من اللات ومناه، وكانت من المعبودات التي تحظى باهتمام قريش كاهتمام ثقيف باللات واهتمام الاوس والخزرج بمناه(٤٧) والعُزى في اصلها عند العرب شجره لغسان ومن قبلها لغطفان، وقدستها بني كنانه وباهله وخزاعه وهوزان وجشم وسعد(٤٨)، وهي عبارة عن شجره وفي رواية ثلاث شجرات في وادي نخله بني لها بيت تعبد فيه، وكان لها منحر ينحرون فيه ما كان يهدي اليها وتقسم لحوم هذه الهدايا على من يحضر لعبادتها(٤٩).

ويبدو أن العزى قد عبدت في مناطق أخرى حيث كانت من ضمن معبودات بعض اللخميين في الحيره، وهي التي عبدت عند عرب الجنوب باسم عثتر(٥٠) وكان لها ارتباط في حياه العرب قبل الاسلام بامور الزواج حين نظر إليها انها تمثل نجم الصباح أو الزهره حيث كانت الفتيات الراغبات بالزواج يقمن بأعمال طلباً لذلك من العزى(٥١).

والعزى يرى البعض أنها عبدت باشكال مختلفه وتشبه الهه في مناطق أخرى غير جزيره العرب، فيقول احمد كمال باشا ان العُزى معبودة مصريه ويقال لها أزي ومعناها اوزيت أي القمر الذي يسطع نوره بعد خسوفه(٥٢)، ويرى بر وكلمان ان العُزى تمثل الهه المقدرة الكليه، وهي صورة للكوكب السيار المعروف بالزهره او فينوس عند اليونان(٥٣). وقد استمر تقديس بعض طوائف العرب للعُزى حتى كان عام الفتح الاسلامي لمكه حيث دعا النبي (ص) خالد بن الوليد وعهد اليه بقطع شجر العُزى وهدم بيتها وكسر وثنها وتم ذلك(٥٤)، ويورد ان الكلبي ما قاله خالد بن الوليد عند قيامه بهذا العمل

يا عـز كـفـرانك لا سـبـحـانك   اني رايت الله قـــد اهـانك[٥٥]

مناة: ويبدو أنها اقل اهمية من سابقاتها بدليل ما ورد في القرآن الكريم "ومناة الثالثه الاخرى، والمصادر العربية تشير الى اقدميتها على اللات والعزى[٥٦]. وكان موقعها على ساحل البحر الاحمر من ناحية المشلل بقديد[٥٧]. وكان اكثر من يعظمها اهل يثرب الاوس والخزرج، وعبدت في مكه، ومثلت عند البعض الهه الحظ والهه القدر على اساس ان اسمها مشتق من المنا وهو القدر، ومناة قدره، والمنا بمعنى الموت[٥٨]. وقد ورد لها ذكر ضمن معبودات الانباط حيث عرفت في نقوشهم باسم منوت، منوتن وسماها التدمريون منوت[٥٩].

وعرفها اللحيانيون، وعرفت عند قدماء المصريين كاحدى المعبودات السماوية السبع حيث وجدت مرسومة في هيكل اسنا وكان معناها المرضعه[٦٠]، وراى بروكلمان ان مناة مثلت الهه القضاء والقدر وانها تشبه الهه الحظ عند الاغريق[٦١]. اما في داخل الجزيره حيث عظمت من العديد من القبائل ولكن اهم من عظمها كانت الاوس والخزرج، وهي الهه مؤنثه عندهم لانها عباره عن صخره كان العرب يحجون اليها او يعتبرون ان حجهم لا يكتمل الا بزيارتها[٦٢] ومن مظاهر تقديسها ان العرب لا يولونها ظهورهم تعظيماً لها، وقد ورد في الشعر ما يشير الى ذلك.

وقـــد آلت قـــبـــائل لاتولي   مناة ظهـورها مـتـحـرفـينا[٦٣]

وقد تم هدمها ونهايتها في عام ٨هـ حين توجه الرسول من المدينه الى مكه عام الفتح وان الذي قام بهذا العمل هو علي بن ابي طالب، وفي روايه أخرى تجعل المصادر ان هذا الأمر المتعلق بهدم وتحطيم مناة كان بعد عام من فتح مكه اي في السنة التاسعه للهجره وان الذي قام بهذا الامر هو غير علي بن ابي طالب[٦٤].

والى جانب هذه الأصنام والمعبودات التي ذكرناها وهي ما ورد ذكرها في القرآن كان هناك العديد من الأصنام وخاصه في مكه التي كانت تمثل مركزاً وقاعدة للشرك وتعدد الأصنام ومنها هبل وهو من أصنام بني كنانه بكر ومالك وملكان وعبدته قريش

وكان من اعظم أصنامها وهو من عقيق احمر على صورة انسان، مكسور اليد اليمنى وجعلت له قريش يداً من ذهب، وكانت قريش والمشركون ينتصرون به في حروبهم بقولهم: أعلُ هبل أي علا دينك يا هبل وهذا ما ردده ابو سفيان في معركة أحد وقد رد عليه المسلمون بالقول "الله اعلى واجل"[٦٥]. وهبل لم يرد له ذكر في نقوش الثموديين على انه ذكر في اسمائهم وورد له ذكر في النقوش النبطيه[٦٦].

وعلى اي حال فان موقع هبل كان في جوف الكعبه على بئر يقال له الاخشف ولموقعه هذا ربط البعض ذلك باعتباره يمثل الهه الخصب، وكانت العرب اذا عزمت أمراً كانت تذهب الى عند هبل واستقسموا بالقداح الموجودة امامه وهي سبعة منها ما هو للسفر، والزواج والمواليد وغير ذلك[٦٧] وبلغت مرتبة هبل انه عد رباً، وفي ذلك يقول الشاعر زيد بن عمرو

ولا هبـــــلاً ازور وكـــــان ربـا   لنا في الدهر اذ حلمي صغير[٦٨]

والى جانب هبل عرفت العديد من الاصنام مثل اساف ونائله ويورد ابن الكلبي قصة عبادة اساف ونائله، ويقول ان اساف ونائله هما اساف ابن يعلى من جرهم ونائله بنت زيد من جرهم ايضاً وكان عشيقين قدما لاداء الحج الى الكعبة وهناك بحسب روايه ابن الكلبي اختلى اساف بنائله وفجر بها ونتيجة لهذا الامر تم مسخهما الى حجرين، وتم وضعهما ليتعظ الناس بهما ومع طول الزمن ومع عبادة الاصنام تم عبادتهما من ضمن الاصنام وكان موضعهما واحد لصيق بالكعبه والآخر عند بئر زمزم[٦٩].

وهناك العديد من الأصنام والتي وردت في المصادر الاسلاميه وخاصة ما ورد عند ابن كلبي في كتابه الأصنام.

وما يمكن ملاحظته من الاتيان على ذكر هذا العدد المختصر من الأصنام والمعبودات هو مدى عملية التأثر والتأثير في داخل الجزيره العربيه بين شمالها وجنوبها وكذلك مع محيطها الجغرافي بحيث نجد تشابهاً في المعبودات بين شمال

الجزيره جنوبها وكذلك مع بلاد الشام والعراق وقد كان ذلك من نتيجه التواصل بين هذه المناطق لاسباب مختلفه منها وربما كان اهمها التجاره والهجرات لعوامل مختلفه مما يفهم بنتيجته أن الديانات شكلت وحدة او شبه وحده في الجزيره العربيه وبلاد الشام، وسنجد ان هذا الأمر يزدادا وضوحاً عند البحث في جوانب أخرى من الحياة الدينيه للعرب قبل الاسلام.

جـ. الدهريون.

وهم جماعات من العرب انكر بعضهم البعث والحياة الآخره وبعضهم انكر وجود الخالق، وكان هؤلاء يرتكزون على مقوله الطبع المحيي والدهر المفني(٧٠). وقد وردت في القرآن الكريم اشارات تدل على وجود جماعة الدهريين، حيث يقول تعالى "وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة واترفناهم في الحياة الدنيا ما هذا الا بشر مثلكم ياكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون، ولئن اطعتم بشراً مثلكم انكم اذا لخاسرون، ايعدكم انكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما انكم مخرجون، هيهات هيهات لما توعدون، ان هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين"، وقوله تعالى "بل قالوا مثل ما قال الاولون، قالوا أئذا متنا وكنا ترابا وعظاماً أئنا لمبعوثون، لقد وُعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل إن هذا الا أساطير الاولين"(٧١).

وقوله تعالى في سورة الأنعام "قالوا ان هي الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين"(٧٢).

وقوله تعالى في سورة الجاثيه "ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر"(٧٣).

وقد أشارت المصادر الاسلاميه إلى بعض من معتقدات الدهريين، فالمسعودي يشير الى ذلك بقوله: ان من هؤلاء من أقر بالخالق ولكنه كذب بالرسل، وبعملية البعث(٧٤)، وفريق آخر منهم آمن بالله الخالق وانكر عملية الحساب في الحياة الآخره،

ويعضهم انكر وجود الخالق وانكر يوم الحساب على حد سواء[٧٥].

وعلى هذا فهؤلاء الدهريون يفترقون عن الفريقين السابقين (الحنيفيه) والمشركون (عبدة الأصنام)، ذلك ان هذين الفريقين آمنوا بالاله الواحد ويعضهم اشرك معه الهة أخرى ومعبودات تقربهم الى الله الخالق وتشفع لهم عنده، في حين ان عقيدة الدهريين تركز على خلو العالم من المدبر الحكيم الخالق القادر، ورفضهم لما بعد الحياة الدنيا من حقائق الدار الآخرة. والقرآن الكريم اذ يعرض معتقدهم الخاطئ ويعيب عليهم هذا الاعتقاد لأنه قائم على أساس ظني ولا يعتمد على علم يقيني بالأمور[٧٦].

وقد عرف هؤلاء عند بعض العلماء باسم الزنادقه، وجعل بعض سادة قريش من هؤلاء الدهريين، وقد استشهدوا على ذلك بابيات من الشعر قالها الشاعر شداد بن الاسود الليثي في رثاء قتلى معركة بدر:

ايوعدنا ابن كبشه ان سنحيا   وكيف حياةُ اصداء وهام

اتترك ان ترد الموت عني   وتحييني اذا بليت عظامي[٧٧]

د. اليهودية والنصرانيه

سبق أن أشرنا عند الحديث عن الحجاز عن تواجد جماعات يهوديه متعدده في مناطق الحجاز وناقشنا حينها قدم وجود اليهود في الجزيره، وما نشير اليه هنا أن الآراء تتفق على ان اليهوديه وجدت في مناطق مختلفه من جزيره العرب ويجعلون اليهوديه في شمال الجزيرة اقدم منها في الاجزاء الجنوبيه، ولكن تركيز الدراسات على اليهوديه في جنوب الجزيره جاء انطلاقاً من أن بعض القوى التي تهودت قد وصلت الى الحكم في اليمن.

ان انتشار اليهوديه في اليمن (كما سبق ان أشرنا عند الحديث عن دولة

حمير) تم عن طريق اتصال ملوك حمير بيهود يثرب وان هذا الأمر قد تم في القرن السادس للميلاد، حيث يشار على أن الملك الحميري يوسف أسأريثار، والذي أخذ لنفسه لقب ملك الشعوب هو الذي عرفته مصادر الاخباريين باسم ذي نواس واوردت قصته على أنه كان في بدايه امره نصرانياً ثم تهود وهذا ما اشار اليه ابن حبيب "ثم تهود (ذونواس) ودان باليهوديه ودعا الناس اليها"[٧٨]، وحول هذا التغيير في الديانه ترجح المصادر ان ذلك تم بناء على اسباب سياسة داخلية وأخرى خارجيه وترتبط في الحالتين بقضية الصراع مع قوة الاحباش النصارى وفي سبيل بحثه عن حلفاء مال هذا الحاكم الى التحالف مع اليهود على اعتبار ان اليهود كانوا من القوى المتحالفة مع فارس او كانوا عملاء لفارس ضد بيزنطه واتباع الديانة النصرانيه[٧٩]، على أن ذلك لا يعني أن اليهوديه لم تكن معروفة قبل هذا التاريخ في بلاد اليمن، اذ أن هناك اشارات في المصادر الى وجود عدد من اليهود في نجران كانوا أقليه مقارنة باتباع الديانات الأخرى[٨٠]. المهم في قضيه هذا الحاكم الحميري (ذونواس) وارتداده عن النصرانيه هو ما تعرض له نصارى نجران من مقتلة على يديه، هذه المقتلة التي لا تخرج عن دائرة الصراع بين القوى السياسيه المختلفه في اليمن او الطامعة، وهذه المقتلة التي تعرض لها النصارى في نجران هي التي عرفت بواقعة الأخدود[٨١] والتي اشار اليها القرآن الكريم في سورة البروج، بقوله تعالى "قتل اصحاب الأخدود، النار ذات الوقود. اذ هم عليها قعود. وهم على مايفعلون بالمؤمنين شهود، وما نقموا منهم الا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد"[٨٢].

وعرفنا سابقاً عند دراستنا لتاريخ اليمن بأن سياسة هذا الحاكم المتهود لم تحظ بالقبول على الصعيدين الداخلي والخارجي، وتمت بعدها الغلبة للنصارى على مقدرات اليمن، الا أن ذلك لا يعني انتهاء نفوذ اليهود او تدين البعض بديانه اليهود، ولنا أن نستنتج ذلك من خلال موقف بيزنطه غير الداعم لثورة سيف ابن ذي يزن ضد الاحباش، اذ كان رد بيزنطه وتبريرها لعدم دعمها له بقول الحاكم البيزنطي "الحبشة على ديني ودين اهل مملكتي وانتم على دين اليهود فكيف يمكنني أن اساعدكم على

الاضرار باخوتي في اليمن[٨٣].

وعودة الي اليهوديه وبدايه تواجدها في اليمن وان ذلك جاء بناء علي الاتصال بين سكان جنوب الجزيره وشمالها في يثرب وخيبر وغيرها، واشارة الى ما قيل عن وجود للديانة اليهودية بين بعض القبائل العربيه مثل بني الحارث بن كعب وبعض كنده وحمير[٨٤]، ان ذلك يدفعنا للتاكيد على عدد من الأمور، منها: ان الديانة اليهوديه بقيت محدودة الانتشار لاسباب منها عدم الاهتمام بالتبشير بدينهم اعتقاداً منهم انهم شعب الله المختار واعتبارهم أن الله الهاً قومياً خاصاً باسرائيل وقبائلها وان غيرهم من الشعوب لا يستحق ان يشاركهم في هذا الاله، ومنها أن عقائد وشعائر اليهود بعد تحريفها معقدة ومتناقضه ويصعب على المرء السوي قبولها، كما أن ما اتصف به اليهود وما عرفه العرب عنهم من عادات ذميمه واخلاق لئيمه كانت منفره من ان تتبعها القبائل العربيه، علاوة على نظرة العرب اليهم بانهم عملاء للفرس الطامعين في بلاد العرب، اضف الى ذلك جشع اليهود وخبثهم وانعزاليتهم كل ذلك كان سبباً لعدم توسع وانتشار اليهوديه في جزيره العرب، والدليل على ذلك انهم اقاموا فتره طويله بين ظهراني العرب في الحجاز واليمن ولكن العربي حتى في ظل وثنيته لم يقبل علي اليهوديه.

والأمر الثاني الذي يجب ان نشير اليه حول اليهوديه في اليمن، هو أن دخول اليهوديه الي اليمن اعتماداً على المعلومات النقشية مختلف عن ما ورد في المصادر الادبية المختلفه، اذ أن النقوش التي تحمل الطابع اليهودي محدودة للغاية، وان هذه النقوش دونت في الفتره التي اعتنق فيها ملوك حمير الديانة اليهوديه، وممكن ايضاً ان تكون جماعات من اليهود او الافكار اليهوديه قد وصلت الى اليمن في القرون الميلاديه الاولى نتيجه هجرتهم الاضطراريه امام الضغط الروماني او نتيجه لاقامة بعض الجاليات التجاريه منهم على طرق التجاره، لكن النقوش التي تحمل طابعاً يهودياً لم تظهر في اليمن قبل القرن الرابع للميلاد مثل نقش "بيت الأشول" الذي يعود الى عهد الملك الحميري "ذمر أمر ايمن" والمؤرخ عام ٦١٩ حميري (٥٠٤م)

وصاحب النقش يهودي هو يهودا اكف[٨٥]، مقابل ذلك فان المصادر تحدثنا عن اعتناق الملك الحميري ابو كرب اسعد للديانه اليهودية وتشير الى انه قام بنشرها، او ما تشير اليه المصادر الادبيه عن قصة تُبع وطوافه بالبيت (الكعبه) وكسوته لها[٨٦]. وايا كان تاريخ دخول اليهوديه لليمن، وشمال الجزيره او الشخصيه التي تهودت الا أن ما هو مجمع عليه في المصادر باختلاف انواعها ان اليهود كانوا منبوذين ومعزولين لانهم ارادوا ذلك وعمقوه لدى الآخرين بسوء تصرفاتهم وعقم افكارهم وعنصريتهم.

أما فيما يتعلق بالديانة النصرانية وانتشارها بين عرب الجزيره، فلابد في بداية الأمر من الاشارة على ان المجتمعات العربية في جزيرتها كانت على اتصال بالمراكز والنظم النصرانيه الثلاث التي كانت تسود في آسيا، فجزيره العرب كانت متأثره في ذلك ببلاد سوريا والعراق والحبشه. وبذلك كان العرب على اتصال مع الحيرة واللخميين حكامها الذين تعود أصولهم الى جزيره العرب، وكان ينتشر بينهم المذهب النسطوري، وكذلك كانوا على اتصال مع القوى الحاكمه في بلاد الشام ومنهم الغساسنة العرب أتباع المذهب المونوفيزي وعلى قدر مساوٍ كان اتصالهم مع الاحباش اليعاقبه\ كما كان العرب على اتصال باتباع المذهب الملكاني في سيناء[٨٧]، ونتيجه هذه الاتصالات مع المناطق التي تسود فيها الديانة النصرانيه اشارت المصادر العربيه الى انتشار المسيحيه عند بعض القبائل العربيه، ويشير الالوسي الى ذلك بقوله "لقد كانت النصرانيه في ربيعة وغسان وبعض قضاعه[٨٨]، الا أن الاشارات الأوضح هي التي اشارت الى اكبر مراكز النصرانيه في جزيرة العرب وذلك في اليمن وتحديداً في منطقه نجران، التي تعرض النصارى فيها كما سبق ان أشرنا الى التعذيب والقتل على يد ذو نواس بعد أن تهود، ويتضح ان هؤلاء النصارى كانوا مؤمنين موحدين بذليل قوله تعالى في سورة البروج "وما نقموا منهم الا أن آمنوا بالله العزيز الحميد"[٨٩]

أما اذا أردنا أن نعود الى كيفية انتشار النصرانية بين العرب في جزيرتهم، فلا بد من الاشاره أولاً على أن الديانة المسيحية قد آمنت بالتبشير وذلك على عكس

الديانة اليهوديه، ولذلك وصل مبشرون الى جزيره العرب وذلك من الحبشه او من بلاد الشام، حيث تشير بعض الروايات الى وصول مبشرين الى اليمن عن طريق الحبشه وان هؤلاء كان قد بعث بهم الامبراطو قسطنطين الثاني ومن اوائل هؤلاء المبشرين ثيوفيلوس والذي تشير اليه المصادر على أنه قام ببناء ثلاث كنائس للتجار الرومان واحدة في عدن والثانية في ظفار والثالثه في هرمز(٩٠). في حين يرى أوليري أن وصول مبشرين الى اليمن في فترة قسطنطين الثاني يعتبر مبكراً اذ لا يعتقدان الامر تم في هذه الفتره الواقعه خلال حكم قسطنطين الثاني ٣٣٤-٣٦١م، ويرى واستناداً لما ورد في المصادر العربيه أن النصرانيه وصلت الى جزيره العرب بعد هذا التاريخ وكان ذلك على يد راهب او مبشر من سوريا وهو الذي عرف باسم فيميون(٩١)، ومن هذه المرحلة وجدت النصرانيه لها موطئ قدم في اليمن منذ عهد الملك معدي كرب حيث شهدت هذه الفتره بناء كنائس في نجران وظفار ومأرب وحضرموت، وكانت نجران أهمها حتى غدت مركزاً اسقفياً للنصارى يضاهي ما كان من تجمع لليهود في يثرب(٩٢).

واذا أخذنا بالرأي القائل باعتناق معدي كرب للنصرانية وقارنا ذلك بالاشارات التي تدل على أنه كان يهودياً، يثور تساؤل يتمحور حول الظروف والاسباب التي جعلته يتحول من ديانته الى النصرانيه؟ ويبدو ان الإجابة على مثل هذا التساؤل نجد تفسيراً لها مرة أخرى ضمن الصراع بين بيزنطه وفارس وحلفاء كل طرف داخل التركيبة السكانيه والسياسية في اليمن، حتى جاء بعد ذلك اعتناق يوسف أسأر (نونواس) للديانة اليهوديه سنه ٥١٧م مجدداً ليؤكد أن الصراع السياسي والعسكري والاقتصادي كان يأخذ بعداً وغطاءاً دينياً في سبيل البحث عن حلفاء اوتحقيق أهداف، وهذا ما جعل نصارى اليمن يستنجدون ببيزنطه والاحباش بعد واقعه الأخدود، أو الذي جعل هاتين القوتين يستغلان الدين لتحقيق مكاسب سياسية واقتصاديه، ومنها الغزو الحبشي لليمن سنه ٥٢٥م حيث اخضعت اليمن لنفوذ الاحباش مما سهل فيما بعد ودعم وجود وانتشار الديانة النصرانية.

وتشير النقوش المكتشفه في اليمن الى اعتناق الحكام في اليمن - وان كانوا من غير الاحباش- للديانة النصرانية على المذهب اليعقوبي مذهب الطبيعة الواحده[٩٣]، الا أن هذا الامر تغير بعد ان حكمت اليمن من قبل ابرهه حيث اتبع المذهب الروماني (الخلقدوني) بما يعنيه ذلك من ميل سياسي ومذهبي لجانب بيزنطه على حساب الاحباش. وقد سبق ان اشرنا لمجهودات أبرهه في نشر المسيحيه وبناء الكنائس واستغلاله للدين لتحقيق مكاسب سياسية واقتصاديه، عند حديثنا عن غزواته الى مناطق وسط وشمال الجزيره العربيه.

كما أن النصرانية لم تقتصر في بلاد العرب على اليمن. فشمال الجزيره كان على اتصال بالمراكز النصرانية في رحلات التجاره، كما وجدت صوامع في وادي القرى في منطقة الحجاز وكثرت الاشارات الى حضور النصارى الى اسواق العرب [٩٤] وكل ذلك يشير الى انتشار المسيحيه عند بعض سكان شمال ووسط الجزيره فهي علاوة على انتشارها بين الغساسنه والمناذره وجدت بين قبائل طيء وكلب وبعض قضاعه، وهناك اشاره على أن عدي بن حاتم الطائي كان على دين النصرانيه حيث انه لما قدم على رسول الله (ص) ليعلن اسلامه كان يعلق في رقبته صليبا[٩٥]، ومما يشار اليه هنا أن بعض من اعتنق النصرانيه من العرب بقي يخلط بها معتقداته الوثنيه، ولنا في بعض شعر عدي بن زيد النصراني دليل على ذلك فهو يقسم بالله رب النصرانيه ورب الكعبة الذي يؤمن به الوثنيون المشركون، اذ يقول.

سعى الاعداء لا يألون شراً   عليّ ورب مكة والصليب[٩٦]

وكذلك الاعشى الذي يقسم بالراهب والكعبة معاً، اذ يقول

فإني وثوبي راهب اللج والتي   بناها قصي والمضاض بن جرهم

لئن جد اسبابُ العداوة بيننا   لترتحلن مني على ظهر شيهم[٩٧]

ونعود لنؤكد ان كلاً من الديانتين اليهودية والنصرانية لم تلاقيا قبولاً وارتياحاً اوانتشاراً واسعاً لدى عرب الجزيره لعدد من الاسباب، من اهمها أن العربي يرى

في اليهودي الخبث والمكر ويرى في النصراني الضعه والضعف وهذا ما يخالف في اتجاهيه طبيعة العربي، فهو يرى القوة والشكيمة في العربي وان كان وثنياً بعكس ما يجده في النصراني، وهذا ما اشار اليه الشعر الجاهلي، حيث يقول الشاعر جابر بن جني التغلبي متهكماً من قبيلة بهراء.

وقـد زعـمت بهـراء أن رمـاحنا رماح نصارى لا تخوض الى الدم(٩٨)

وتأكيداً لمثل هذا المعنى نجد أن العربي في وثنيته كان يرى في معبوده حالة الضعف ان عجر عن نصرته ويطلب من معبودة ان يكون نصرانياً لان ذلك يوافق حال ضعفه، فها هو سادن العزى السلمي، يقول حين اراد خالد بن الوليد تحطيم العزى

أيا عـزُ شـدي شـدة لا شـوى لـهـا على خـالـد القي القناع وشـمـري

أيا عـزُ ان لم تقـتلي المرء خـالداً فـبـوئي باثم عـاجل او تنصـري(٩٩)

ومن الاسباب الأخرى التي حدت من انتشار المسيحية أن العربي كان يرى ان الوثنيه دين قومي له وهذا ما أصاب فيه اوليري حيث قال ان فكرة الغزو حدت من نفوذ النصرانية لأن العربي يكره الاحتلال او اعتناق مذهب الغزاة(١٠٠)، ويشير الباحث محمد عماره الى اسباب أخرى كانت وراء عدم انتشار الديانتين (اليهوديه والنصرانيه)، حيث يشير الى ان العرب لم يجدوا الحل الذي ينشدون في اليهودية على الرغم من اعتناق البعض من قبائلهم وخاصه في يثرب لأن اليهوديه كانت بالنسبة لهم ديناً أجنبياً، كما انها تحولت على يد العبرانيين الى دين خاص بابناء اسحاق، كما أن التوحيد فيها شابته شائبة عند ما استأثر اليهود بالله وجعلوه اله بني اسرائيل، كما ان اليهود مارسوا خيلاءهم وكبريائهم كأهل كتاب ضد العرب مستهدفين اذلالهم وتمزيقهم(١٠١).

وكذلك لم يجد العرب الحل المنشود في المسيحيه على الرغم من معرفتهم بها بوسائل مختلفه، وعلى الرغم من تناثر صوامع للاحبار والرهبان على مشارف مدن لهم وعلى الطرق التجاريه، بقيت بالنسبه لهم ديانة الروم البيزنطيين واحباش يكسوم

أي انها ديانة وفكر الغزاة[١٠٢].

هـ. عبدة الكواكب والنجوم:

لقد عرفت عبادة الكواكب والنجوم لدى شعوب عديده وفي ازمان مختلفه من التاريخ الانساني، فهي عبدت في بلاد مابين النهرين وفارس وبلاد الشام ومصر وغيرها، وكان اشهر هذه الكواكب والنجوم في سلم التقديس الشمس، القمر، ونجمة الصباح (عشتار)[١٠٣] وهذه الالهه عرفت بأسماء مختلفه بحسب المناطق واختلفت النظره اليها والى وظيفتها من شعب الى آخر ومن بيئه الى أخرى، كما عبدت كالهه مذكره في مناطق ومؤنثة في مناطق أخرى.

وفي جزيره العرب وجدت عبادة الأجرام السماويه في الأجزاء المختلفه من شمال الجزيرة الى جنوبها وعند السكان المستقرين وكذلك عند البدو الرحل، واختلفت درجة التقديس لهذه الأجرام السماويه من منطقه الى أخرى واحياناً من دولة الى أخرى او من قبيلة الى أخرى. ورأى البعض ان عبادة الكواكب والنجوم تشكل مرحله متطوره في جزيره العرب، فيقول نلسون: ان ديانة البدو وسط الجزيرة وشمالها كانت في غالبيتها ديانة ساذجه وبدائية لم تصل الى ماعرفه عرب الجنوب من مظاهر فلكيه وما ارتبط بها من طقوس وهياكل[١٠٤].

وبذلك فان عرب الجنوب مثلاً ركزوا في عبادتهم وتقديسهم على اجرام سماوية ثلاثه شكلت عندهم بما عرف بالثالوث المقدس والتي تحوي القمر. الشمس عشتر، الزهره[١٠٥] ومثلت عندهم عائلة مقدسة واحده فالقمر مثل عندها الأب والشمس هي الأم وعشتر هي الابن.

وقبل الحديث عن تفصيل ذلك، لا بد من الإشارة القرآنيه الهامه والتي تصور لنا حيرة الانسان حول هذه الاجرام السماويه، ونجد ذلك ممثلاً خير تمثيل في قصه ابراهيم عليه السلام، بقوله تعالى "فلما جن عليه الليل راى كوكبا، قال هذا ربي، فلما

أفل قال لا أحب الآفلين، فلما رأى القمر بازغاً قال هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لاكونن من القوم الظالمين، فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا اكبر فلما افلت قال يا قوم اني بريء مما تشركون اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفاً وما انا من المشركين(١٠٦).

ومفهوم الآيه هنا ومنطوقها لا يعني ان سيدنا ابراهيم عليه السلام كان من المتشككين بل هي اكثر وصفاً لحال قومه وتخبطهم قبل مرحلة الهدايه.

ومما يشار اليه ان عبادة الشمس والقمر كانت معروفة عند العرب منذ القدم وربما كانوا متأثرين بذلك ببقايا الكدانيين والصابئه(١٠٧)، ويشار ايضاً الى ان عبادة القمر انتشرت بين القبائل الرحل اكثر منها بين سكان الحواضر والمدن وربما كان ذلك لعلاقة القمر بحياتهم وتنقلاتهم ولم يكن ليشكل خطراً عليهم كما هو الحال مع الشمس في حين أن الشمس نظر اليها على انها ذات فائده اكثر عند الجماعات المستقره والمجتمعات الحضريه الزراعيه(١٠٨).

ان عبادة الكواكب والنجوم كما سبق ان اشرنا عرفت في معظم انحاء الجزيره العربيه الا أن تتبعها ووضوحها يبدو اكثر تحديداً عند عرب الجنوب في مراحل مختلفه من تاريخهم وعند الدول التي قامت في هذه المنطقه، ولتوضيح ذلك سنشير الى عبادة القمر والشمس وعشتر عند دول جنوب الجزيره العربيه.

١. **عبادة القمر:** سبق ان اشرنا الى أن القمر اعتبر الهاً مذكراً كزوج لالهه الشمس، فهو عندهم الآله الأب، وحظي في مختلف دول اليمن بتقديس عالي واخذ أسماء عده، فقد عرف عند المعينيين باسم "ود" وسبأ عرف عندها باسم "المقه" وعند القتبانيين باسم "عم" وفي حضرموت عرف باسم "سن" وكذلك في اوسان عرف باسم "ود" واسم "ورخ"، وقد تعددت الرموز الدالة على هذا الاله كما تعددت صفاته فهو الاله المتكلم والقوي والسيد(١٠٩) ورمز له بالوعل والنسر والثور والحيه(١١٠)، كما عرف باسم الاله المنير والمحب. ولأهميته نجد أن الأثار

اليمنيه تكشف عن عدد كبير من المعابد التي بنيت لعبادة هذا الاله، حيث كان بناء المعابد مظهراً من مظاهر التقرب لهذا الاله ووجدت له معابد في صرواح ومأرب، واهم هذه المعابد التي خصصت للاله "المقه" الذي اقامه السبئيون وهو بعل اوام وهو المعبد الذي عرف في المصادر العربيه باسم محرم بلقيس[١١١]، ومعبد آخر في عاصمه الدولة الحضرميه في شبوه وكان يسمى معبد "سين ذي أليم"[١١٢]، ومعبد آخر بني للاله المقه في صراوح ويتبين من بقايا هذا المعبد انه يحمل اشارات ونقوش تمثل رؤوس الوعول والتي سبق الاشارة اليه انه رمز للاله القمر[١١٣]، ومن الدلائل ذات القيمه في تاريخ جنوب الجزيره العربيه أن عبادة الاله القمر وجدت في الجزر اليونانيه مثل جزيره ديلوس[١١٤] مما يؤكد على وجود جاليات تجاريه من جنوب الجزيره العربيه في هذه المناطق والذي بدوره يؤكد أن التجاره كما هو شأنها لا تقتصر على نقل السلع من منطقه الى اخرى وانما تساهم في نقل الافكار والمعتقدات مما قد يفسر لنا تعدد المعبودات في جزيره العرب وتشابهها مع المناطق الاخرى في العالم.

٢. **عبادة الشمس:** لقد عرفت عبادة الشمس في بلاد الرافدين كما عرفت عند عرب الجنوب والشمال، كما عرفت عند السومريين باسم "اوتو" او "ببر" عند الشروق وعند الآراميين والعبرانيين باسم "شمس"[١١٥]. وهي من الالهه المؤنثه عند عرب الجنوب بينما عرفت كاله مذكر عند بعض عرب الشمال[١١٦].

وقد عرفت عند الجنوبيين باسماء مختلفه فهي عند المعينيين باسم نكرح وعند السبئيين ذات حمم، ذات بعدن، ذات جدرن[١١٧]، وعند القتبانيين باسم ذات صنتم، ذات زهران، ذات مشرقتن، واثره، وقد رمز للشمس بالفرس السريع، كما رمز لها بالأسد والنسر[١١٨]، كما رمز لها بقرص او دائره او هاله[١١٩]، وقد بني لالهه الشمس معابد في زمن دوله سبأ في عهد المكرب السبئي يدع الى ذرح في عاصمة الدوله وكانت تقدم في هذه المعابد القرابين لالهه الشمس، كما بني للشمس معابد في دولة

قتبان وذلك في مدينة تمنع العاصمه وكان يسمى معبد ذات رحبن وتم بناء هذا المعبد في عهد حاكم قتبان يدع أب ذبيان، ومما هو جدير بالذكر هنا ان الهه الشمس كانت عند القتبانيين تأتي في المرتبه الثالثه بعد كل من الاله عشتر او الزهره ثم القمر واخيراً الشمس. وبنى المعينيون معابد للاله نكرح (الشمس) وذلك في مدينه براقش التي كانت تعتبر المدينه الدينيه للمعينيين[١٢٠] وكانت سبأ تصلي وتسجد للشمس كما ورد في القرآن الكريم في سورة النمل بقوله تعالى: فمكث غير بعيد فقال احطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ بنبأ يقين، اني وجدت امرأه تملكهم واوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم، وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان اعمالهم وصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون.[١٢١].

وقد عرفت عبادة الشمس علاوة على ذلك عند التدمريين باسم (حمن) وكذلك عند الانباط وعند الفنيقيين من قبل باسم "بعل حمون" كما عرفت عند اللحيانيين وعلى نطاق ضيق عند الصفويين، كما انها كانت من الأصنام التي تعبد عند بعض القبائل مثل بني تميم، وضبه، وثور وغيرها ونجد انها تدخل في اسماء العرب قبل الاسلام في مناطق الحجاز حيث كان اسم عبد شمس من الاسماء المعروفة.

٣. **الاله عشتر:** وقد عبد الاله عشتر في مناطق الجزيره العربية المختلفه ووردت كتابات مختلفه لاسمه فهو يرد على شكل عشتر، عشتار، اثر وعشترون واشتار[١٢٢]. وقد احتل عند بعض دول جنوب الجزيره المرتبة الاولى في سلم ترتيب الالهه كما هو الحال في مرحلة من مراحل التاريخ الحميري، وعبد عند معين ووجد له معبد خارج عاصمتهم قرناو[١٢٣]، ويعتبره البعض انه هو الاله الذي يرمز لنجمة الصباح الذي ورد ذكره في القرآن الكريم في سورة الطارق باسم النجم الثاقب. والاله عشتر كما مر معنا اعتبر ابناً لالهه الشمس واله القمر ولذا يتكرر وروده مع الاله ود (اله القمر) والاله (نكرح) الهه الشمس.

ومن دراسة تاريخ اليمن نجد ان هذا الاله عشتر حظي باهتمام ففي دولة سبأ

كانت تقدم له الاضاحي والقرابين واعتبر الحاكم السبئي يدع الى ذرح ان انتصاراته كانت بسبب رضى الالهه عليه وخاصة عشتر الذي خصه بعدد اكبر من الاضاحي اذ جعلها له ثلاثه مقابل واحده لكل من اله القمر والشمس(١٢٤)، كما انه كان من الالهه المشهوره عند القتبانيين وبنيت له معابد متعدده كان اشهرها الذي بني في وسط مدينة تمنع واعتبر عندهم وعند غيرهم من الالهه المسؤوله عن امور تتعلق بالزراعه والري(١٢٥)، ووجد له معبد خارج اسوار مدينة قرناو وكذلك في مدينة هرم ومعبد آخر في مدينه نشن شمال شرق صنعاء(١٢٦).

وبعد هذا الاستعراض الموجز لهذه المعبودات نجد تشابهاً بين ماعبد في الجزيره والمناطق المحيطه فالهه الشمس وعشتر يشبهان عبادة شماش وعشتروت الهي بابل وهما يشبهان الالهه التي عبدت في كل من دولتي تدمر والانباط(١٢٧) فالشمس رآها البعض تمثل اللات في شمال الجزيره وعشتر (عشتر) هي العُزى وهي الزهره، ولذلك نجد ان الكثير من القبائل عبدت هذه الكواكب والنجوم خارج اطار جنوب الجزيره فقيس عبدت الشعري العبور اي الشعرى اليمانيه، وكذلك عبدت جرهم، جذام ولخم المشترى وقبيلة اسد عبدت عطارد وكنانه عبدت القمر وطيئ عبدت نجم سهيل(١٢٨) مما يعني ان دائرة عبادة الكواكب والنجوم كانت تتسع باختلاف حجم المؤثرات وطبيعة العلاقات بين سكان الجزيره انفسهم، او علاقاتهم مع القوى الخارجيه سواء اكانت هذه العلاقات سلميه تجاريه او عدائية حربيه.

وما يعنينا بشكل رئيسي لفهم التطور الديني المرتبط بعبادة الأجرام السماويه هو أن ذلك شكل نقلة نوعلة في التفكير والنطرة الى الاشياء، وهذا ماقاد بعد ذلك ومنذ القرن الرابع ميلادي الى تحول يظهر ميلاً واضحاً للتخلي عن الالهه الوثنيه لتبدأ عندهم صيغ دينيه جديده في جنوب الجزيره العربيه، هذه الصيغ التي تظهر طابعاً توحيدياً غامضاً يشبه ما كان لدى الحنيفيه، ويمكن ان نلمح ذلك من خلال نقش عثر عليه في اليمن ويعود الى سنه ٣٧٨م حيث يشير هذا النقش الى بناء معبد للاله (ذي سموي) أي اله السماء، وتذكر النقوش الأخرى بعد ذلك اسم الرحمن رب

السماء والأرض[١٢٩]

و. معتقدات دينية اخرى

مما لا شك فيه أن العرب بحكم الطبيعة الجغرافيه لبلادهم وبحكم أنماط الحياة المختلفة التي عاشها العرب ومقدار ما توصلوا اليه من تطور فكري مرتبط ببيئتهم ومن واقعهم او من خلال اتصالهم بالقوى المختلفه فقد طغت عليهم وسادت بينهم الوثنية باشكالها المختلفه التي اشرنا اليها، ان كل ذلك ساهم في ان تتشكل لديهم عادات ومعتقدات نابعة من واقعهم الاجتماعي ومستواهم الفكري، وبذا فان المعتقدات الجاهليه كانت قريبة الصلة بتوجههم الديني غلب عليها طابع الاسطوره والخرافة رغم انها لم تصل لديهم تعقيد الاساطير اليونانيه مثلا.

وبالنظر الى بعض هذه المعتقدات عند العرب قبل الاسلام يبدو أن الباعث لها خوفهم من المجهول، فدار معظمها حول الجن والموت والتفاؤل والتشاؤم وما يمكن أن يأتي به الغيب، وكان مجمل ذلك موروث ومجتلب مكتسب من ديانات اخرى كاليهوديه والنصرانيه والمجوسيه ومنها ما هو وليد التفكير العربي ونابع من طبيعة حياه العربي في بيئته، ومن ذلك اعتقاداتهم حول الجن حيث تصوروه مخلوقات عجيبه، ونسب كل ما هو خارق -في نظرهم- وغير عادي لها، ورتبوا لذلك الجن الى مراتب منها الراقي الذين رأوا أنه يتواجد في اليمن في وادي عبقر، ومن هنا جاءت صفة العبقري على ما هو غير عادي عندهم، واعتقدوا ان لكل شاعر صاحب من الجن[١٣٠] ونسبوا بناء المدن العظيمه للجن، ومنها مدينه تدمر، ويتضح ذلك في شعر النابغة الذبياني

وخيس الجن اني قد اذنت لهم ينبون تدمر بالصفاح والعمد[١٣١]

وبلغ الامر عندهم الى القول مع بداية الدعوة الاسلاميه بأن الرسول (ص) كان ياتيه الوحي من السماء عن طريق الجن[١٣٢]، واعتقدوا أن المرض الذي يصيب الانسان اذا طال كان سببه الجن وان سبب ذلك ان الانسان قد يكون ارتكب جريمه

قتل حيوان من مراكب الجن. وهنا يمكن ملاحظة ارتباط من نوع ما بين الاعتقاد بالجن وبين ظواهر للطوطمية عند العرب، ويبلغ بهم الأمر الى حد عبادة الجن، وقد اشار ابن الكلبي الى ان بني مليح من خزاعه كانوا يتعبدون الى الجن[١٣٣]، وقد اشار القرآن الكريم الى ذلك بقوله تعالى "ويوم يحشرهم جميعاً ثم يقول للملائكة: اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون، قالوا سبحانك انت ولينا دونهم بل كانوا يعبدون الجن اكثرهم بهم مؤمنون[١٣٤].

ومن دراسة تاريخ العرب قبل الاسلام يمكن فهم ان الاعتقاد بالجن كان يسود وينتشر بشكل واضح عند البدو في الصحراء الذين يعتمدون حياة التنقل، وذلك اكثر مما هو معروف عند سكان الحواضر، فالبدوي تخيل الصحراء آهلة باحياء لها طبائع وحشيه سماها الجن، وهي في تصوره لا تختلف عن الالهه او ما يعبد في طبيعتها بل الاختلاف يكمن في طبيعة علاقتها بالانسان فالاله يشفق على الانسان ويرحمه بعكس الجن التي تخاصمه وتعمل على ايذائه، وتصور ذلك الانسان آنذاك بان الالهه تهيمن على الاراضي الآهلة بالسكان في حين يسيطر الجن على البراري والقفار[١٣٥].

كما كان للعرب عهد بالطوطميه حيث ان الطواطم تمثل كائنات حية تحترمها القبائل ويجوز ان يكون الطوطم حيواناً او نباتا يحمي صاحبه ويدافع عنه، وقد ارتبط ذلك بقدسية لهذه الحيوانات والنباتات اتبعت بطقوس معينه وممارسات خاصه، وقد يلاحظ ان الطوطميه تمثلت عند العرب في جوانب مختلفه من حياتهم، حيث ان العرب كانوا يتسمون باسماء حيوانات ونباتات مختلفه مثل بنو اسد، بنوفهد، بنو كلب، او اسماء طيور مثل عقاب ونسر او نباتات مثل بني حنظلة[١٣٦]، وعبد بعضهم هذه الحيوانات او انواع منها فعبد بعضهم الفرس (اسبذ) وسموا بالاسبذيين، ونجد مثالاً على ذلك في شعر طرفة بن العبد:

فاقسمت عند النصب: اني لهالك بملتفه ليست بغيظ ولا خفض

خذو حذركم اهل المشقر والصفا عبيد اسبذ والقرض يجزي من[١٣٧]

وارتبط بالطوطميه ايضاً ما ارتبط من تفاؤل العربي ببعض الحيوانات والطيور والتشاؤم من البعض الآخر وارتبط ذلك عندهم واصبح يضرب بحسن بعض الحيوانات او قبحها او التشاؤم منها الامثال، وكانت بعض القبائل التي تسود بينها الطوطميه يتجنب قتل الحيوان واذا وجد حيوانات من نوع طوطمه الذي يقدس قتل يقوم بدفنه ويحزن عليه[١٣٨]. واذا ربطنا بعض مظاهر الطوطميه عند العرب قبل الاسلام وما عرف عند الشعوب المختلفه نجد أن الطوطميه بابسط صورها لا تخرج عن دائرة تأثير هذه الكائنات الحيه في حياتهم سلباً او ايجاباً فكثير من الحيوانات تقدس لضررها الذي يمكن ان تلحقه بالانسان وبعضها يقدس للنفع الذي يقدمه للانسان واعتماده عليه في جوانب من حياته، اي ان الامر لا يخرج عن دائرة الرغبة في الحصول على الخير والرغبة في تجنب الشر والأذى.

كما وجدت جماعات من العرب في شمال الجزيره وجنوبها عبدت النار وقدستها، متأثرين بذلك بالديانة المجوسية الفارسيه، وقد كانت هذه النار الذي تعبد تسمى عندهم بالمهوله، وارتبط بتقديسهم للنار ان جعلوها من الأشياء التي يتم عندها بيان الصادق من الكاذب بالحلفان عليها، ويظهر ذلك من خلال شعر اوس بن حجر حيث يقول:

اذا استقبلته الشمس صد بوجهه   كما صد عن نار المهول حالف[١٣٩]

وقد وجدت آثار لهذه الديانه في عرب تميم ومن جاورها من القبائل في مناطق البحرين وعمان وكذلك في بعض مناطق اليمن[١٤٠].

وبعد ان استعرضنا في الصفحات السابقة جوانب من التطور الديني لدى العرب قبل الاسلام، لا بد من الإشارة الى ان ما ذكرناه لا يمثل الا جزءاً من معبودات العرب حيث انهم عبدوا وقدسوا اشياء اخرى كالاشجار والقبور وبعض الجبال واكوام حجارة وغير ذلك، لكن ذلك لا يخرج في اطاره العام عن ما ذكرناه، وما يجب الاشارة اليه هنا مجدداً أن هذا التعدد التنوع في مظاهر التقديس والتعبد

عند العرب نابع في اجزاء منه من بيئة العرب وتفكيرهم وفي اجزاء منه مقتبس من المحيط الجغرافي والحضاري الذي تعامل معه العرب، كما انه لا بد من الاشاره على ان الأرض العربيه والشعب العربي بما عاشه من تعدد فيما يعبد وتخبط ديني كانا مؤهلين لتلقي العديد من رسل السماء، وان تكون الارض العربيه الارض الصالحه لديانه التوحيد وخاتمة الرسالات، والنبوات علي يد محمد (ص) حيث كانت الحجاز الموطن لهذه الرساله لتتبوأ الجزيره العربيه مكانتها العالميه ارضاً وسكاناً حيث منها خرجت رايات النور لنشر الاسلام الدين المقبول عند الله وتبلغه الى الناس كافه.

هوامش الفصل التاسع

(١) القرآن الكريم سوره البقره (٣) آيه ١٣٥.

(٢) ولفنسون، اسرائيل: تاريخ اليهود في بلاد العرب، مطبعة الاعتماد، مصر ١٩٧٢، ص٨٠. بول، ف.بر: مادة حنيف، دائرة المعارف الاسلاميه، جـ٨ ص١٢٩.

(٣) ابن هشام: السيره النبويه، جـ١، ص٤٣٨، زيتوني، عبدالغني: الله والانسان في الشعر الجاهلي، مجلة الداره، عدد٣، السنه ١٥، الرياض ١٤١٠هـ ص٩٠.

(٤) ابن كثير: التفسير، مجلد٤، ص٣٦٣

(٥) ابن حبيب، المحبر، ص٣١٩.

(٦) القرآن الكريم، سورة يونس (١٠) أيه ٣١

(٧) علي: المفصل، جـ٦، ص٤٤٩-٥١٠.

(٨) المسعودي: مروج، جـ١، ص٧٨-٨٢، جـ٢، ص٢١٣-٢١٤
عماره، محمد: العرب والتحدي، دار الشروق، بيروت، ١٩٧٤، ص٢٦

(٩) ابن هشام: السيره، جـ١، ص٢٣٢-٢٣٤، عماره: العرب والتحدي، ص٢٦
معروف، ناجي: اصالة الحضارة العربية ط٣، دار الثقافه، بيروت، ١٩٧٥ ص١٣٥، عماره، محمد:: مسلمون ثوار، طبعة بيروت، ١٩٧٤، ص٢١.

(١٠) ابن هشام: السيره، جـ١، ص٢٢٧، زيتوني: مرجع سابق، ص٨٤.

(١١) ابن الكلبي: مصدر سابق، ص٣٢ وما بعدها.

(١٢) ابن كثير: التفسير، جـ٤، ص٣٦٣، العتوم: مرجع سابق، ص٤٢٥-٤٢٦.

(١٣) اليعقوبي: مصدر سابق، جـ١ ص٢٥٤، ابن هشام: مصدر سابق، جـ١، ص٧٦ ابن الكلبي: مصدر سابق، ص٢٨.

(١٤) القرآن الكريم، سورة يونس (١٠)، آيه ١٨.

(١٥) ابن الكلبي: مصدر سابق، ص٦.

(١٦) القرآن الكريم، سورة يونس (١٠)، آيه ١٨.

(١٧) القرآن الكريم، سوره الزمر (٣٩)، آيه ٣٣.

(١٨) ابن الكلبي: مصدر سابق، ص٣٣ وما بعدها.
شامي، يحيى: الشرك الجاهلي والهه العرب المعبودة قبل الاسلام، دار الفكر اللبناني ١٩٨٦، ص١١٤-١١٦.

(١٩) ابن الكلبي: مصدر سابق، ص٣٣

(٢٠) القرآن الكريم: الاعراف (٧) آيه ٣٣، هود (١١) آيه ٦١، الاسراء (١٧) آيه ٥٩، الشعراء (٢٦) آيه (٤)، النحل (١٦) آيه ٤٥، القمر (٥٤) آيه ٢٣، النجم (٥٣) يخ ١٩-٢٠، نوح (٧١) آيه ٢٣.

(٢١) القرآن الكريم: سوره نوح (٧١) آيه ٢٣.

(٢٢) الطبري: تاريخ، جـ٥، ص٣٦٤، شامي: مرجع سابق، ص١٢٧-١٢٩
علي: مرجع سابق، جـ٦، ص٢٩٣-٢٩٤

(٢٣) ابن الكلبي: مصدر سابق ص٩

(٢٤) ابن الكلبي: نفسه، ص٥٧.

(٢٥) ابن الكلبي: مصدر سابق، ص١٠، الطبري: تاريخ، جـ٥، ص٣٦٤
شامي: مرجع سابق ص١٢٧-١٢٨، الازرقي: اخبار مكه، جـ١، ص١٣١

(٢٦) ابن الكلبي: مصدر سابق، ص١٠، شامي: مرجع سابق، ص١٢٩-١٣٠

(٢٧) زيدان، جورجي: التمدن الاسلامي، منشورات مكتبة دارالحياه، بيروت (د.ت)، جـ٣، ص٢٧٧.

(٢٨) ابن الكلبي: مصدر سابق، ص١٠

(٢٩) ابن الكلبي: نفسه، ص١٠

(٣٠) شامي: مرجع سابق، ص١٢٧

(٣١) القرآن الكريم، سورة النجم (٥٣) آيه ١٩-٢٠.

(٣٢) نلسن: التاريخ العربي القديم، ص١٨٦. موسكاتي، سابتينو: الحضارات

السامية القديمه ترجمه وزاد عليه سيد يعقوب بكرسي، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٥٧، ص٣٥٨

(٣٣) المعاني، سلطان: في حياة العرب الدينية قبل الاسلام من خلال النقوش، مجلة دراسات تاريخيه، جامعة دمشق، عدد ٤٧-٤٨، ١٩٩٣، ص٩٨-١٠٦.

(٣٤) الروسان، محمود: القبائل الثموديه والصفويه دراسة مقارنه، جامعة الملك سعود- الرياض ١٩٩٢، ص٤٢٥ وما بعدها.

(٣٥) الروسان: مرجع سابق، ص١٨٢.

(٣٦) سفر، فؤاد، ومصطفى، محمد علي: الحضر مدينه الشمس، بغداد، وزاره الاعلام، ١٩٧٤م ص ص٢٣، ٢٤، ١٨٤، ١٩٣.

(٣٧) مصطفى، ابراهيم (وآخرون)، المعجم الوسيط مجمع اللغه العربيه، القاهره ١٩٦٠، جـ٢، ص١٢١.

(٣٨) ابن الكلبي: مصدر سابق، ص١٦.

(٣٩) ضيف، شوقي، تاريخ الادب العربي، العصر الجاهلي، دار المعارف، القاهره (د.ت)، ص٢٩.

(٤٠) الولي، طه: المساجد في الاسلام، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٨، ص٣٢ مأخوذه منه عن: احمد كمال باشا: الاصنام، المقتطف، عدد ٢٣، ص٥٠٥.

(٤١) ابن الكلبي: مصدر سابق، ص١٧.

(٤٢) الجمحي، محمد بن سلام، طبقات الشعراء، دار الكتب العلميه، بيروت ١٩٨٠. ص٩٦.

(٤٣) زيتوني: مرجع سابق، ص٨٥

(٤٤) ابن الكلبي: مصدر سابق، ص١٦.

(٤٥) ابن الكلبي: مصدر سابق، ص١٧. ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ص٤٩٦.

(٤٦) ابن الكلبي: مصدر سابق، ص١٧.

(٤٧) ابن الكلبي: نفسه، ص٢٧.

(٤٨) الأزرقي: مصدر سابق، جـ١، ص١٢٧، شامي: مرجع سابق، ص١٦٥.

(٤٩) ابن الكلبي: مصدر سابق، ص٢٠.

(٥٠) سالم: تاريخ العرب، ص٤٧٣

(٥١) سالم: تاريخ العرب، ص٤٧٤.

(٥٢) الولي: مرجع سابق، ص٣٢.

(٥٣) بروكلمان، كارل: تاريخ الشعوب الاسلاميه، دار العلم للملايين، بيروت، جـ١، ص٢٦.

(٥٤) ابن الكلبي: مصدر سابق، ص٢٤-٢٥.

(٥٥) ابن الكلبي: نفسه، ص٢٦.

(٥٦) ابن الكلبي: نفسه، ص١٣.

(٥٧) شامي: مرجع سابق، ص١٧٥.

(٥٨) ياقوت: معجم، جـ٥،ص٤٠٠.

(٥٩) موساكاتي: مرجع سابق، ص٣٦٩.

(٦٠) الولي: مرجع سابق، ص٣٢.

(٦١) بروكلمان: مرجع سابق، جـ١ص٢٦.

(٦٢) ابن الكلبي: مصدر سابق، ص١٤.

(٦٣) علي: المفصل، جـ٦،ص٢٩٩.

(٦٤) الطبري: تاريخ، جـ٣،ص١٢٢، الازرقي: مصدر سابق، جـ١، ص١٣١. ابن الكلبي: مصدر سابق، ص١٥، ابن هشام: مصدر سابق، جـ١، ص٤٥٢.

(٦٥) ابن الكلبي: مصدر سابق، ص٢٨

(٦٦) علي: المفصل، جـ٦، ص٢٥٣

(٦٧) ابن الكلبي: مصدر سابق، ص٢٨.

(٦٨) ابن هشام: مصدر سابق، جـ١، ص٢٢٧.

(٦٩) ابن الكلبي: مصدر سابق، ص٨، ٢٩.

(٧٠) نصار، محمد عبد الستار: العقيده الاسلاميه اصولها وتأويلاتها، دار الطباعه المحمديه، ١٤٠٩هـ ص١٠٦.

(٧١) القرآن الكريم: سورة المؤمنون (٢٣)، آيه ٨١-٨٤.

(٧٢) القرآن الكريم: سوره الانعام (٦) آيه ٢٩

(٧٣) القرآن الكريم: سورة الجاثيه (٤٥) آيه ٢٤.

(٧٤) المسعودي: مروج، جـ٢، ص١٠٢.

(٧٥) شامي: مرجع سابق، ص١٧.

(٧٦) السايح، احمد عبد الحميد: بحوث في مقارنة الاديان، دار الثقافه، الدوحه، ١٩٩١-ص١١.

(٧٧) العتوم: مرجع سابق، ص٤١٩-٤٢٠.

(٧٨) ابن حبيب: مصدر سابق، ص٣٦٨

(٧٩) سالم: تاريخ العرب، ص٤٨٥، الجرو: مرجع سابق، ص٢٦٨

(٨٠) ابن حبيب: مصدر سابق، ص٣٦٧.

(٨١) الجرو: مرجع سابق، ص٢٨٣

(٨٢) القرآن الكريم: سورة البروج (٨٥) آيه ٤-٨

(٨٣) الجرو: مرجع سابق، ص٣١٤.

(٨٤) الالوسي: بلوغ الارب، جـ١ ص٢٤٤-٢٤٥، المسعودي: مروج، جـ١، ص٨٠-٨١ جـ٢، ص٥١-٥٢، اوليري: مرجع سابق، ص١٥٦

(٨٥) الجرو: مرجع سابق، ص٢٥٤.

(٨٦) ابن هشام: مصدر سابق، جـ١، ص١٩-٢٠.

(٨٧) الطبري: تاريخ، جـ١، ص٨٢٤، اوليري: مرجع سابق، ص١٥٦.

(٨٨) الالوسي: مصدر سابق، جـ١، ص٣٤٤-٣٤٥.

(٨٩) القرآن الكريم: سورة البروج (٨٥) آيه ٨

(٩٠) الجرو: مرجع سابق، ص٢٥٣

(٩١) اوليري: مرجع سابق، ص١٥٧.

(٩٢) بتروفسكي، م.ن: اليمن قبل الاسلام والقرون الاولى للهجره، دار العودة، بيروت، ١٩٨٧، ص٧٦.

(٩٣) الجرو: مرجع سابق، ص٢٩٦.

(٩٤) اوليري: مرجع سابق، ص١٥٦.

(٩٥) ابن كثير: التفسير جـ٢، ص٣٤٨، العتوم: مرجع سابق، ص٤٢٨.

(٩٦) سالم: تاريخ العرب، ص٤٨٤.

(٩٧) زيتوني: مرجع سابق، ص٨٤.

(٩٨) العتوم: مرجع سابق، ص٤٢٤.

(٩٩) ابن هشام: مصدر سابق، جـ١، ص٤٣٧.

(١٠٠) اوليري: مرجع سابق، ص١٥٦.

(١٠١) عماره: العرب والتحدي، ص٢٥-٢٦.

(١٠٢) عماره: نفس المرجع، ص٢٥-٢٦.

(١٠٣) بارندر، جفري: المعتقدات الدينية لدى الشعوب، ترجمة د. امام عبد الفتاح امام، عالم المعرفه، عدد ١٧٣، سنه ١٩٩٢م، ص١٦-١٨.

(١٠٤) Nielsen, D: Der semitische venuskult, ZDMG, Bd., 66 Leipzg, 1912, p. 59/

(١٠٥) Grohmann, A: Arabien, Muenchen, 1963, p-243

(١٠٦) القرآن الكريم: سوره الانعام (٦) آيه ٧٦-٧٩.

(١٠٧) شامي: مرجع سابق، ص١٠٤.

(١٠٨) حتي : تاريخ العرب، ص١٤٣-١٤٤.

(١٠٩) Grohmann: op. cit.p. 249.

(١١٠) بافقيه: تاريخ اليمن القديم، ص٢١٤.

(١١١) الجرو: مرجع سابق، ص٩١-٩٧.

(١١٢) الجرو: نفسه، ص١١١ . ١٢٠.

(١١٣) فخري: رحله أثريه، ص٦٥-٨٧

(١١٤) الجرو: مرجع سابق، ص١٨٢

(١١٥) الروسان: مرجع سابق، ص١١٧.

(١١٦) نلسن: التاريخ العربي القديم، ص١٩٢. Grohmann: op. cit, p. 87

(١١٧) Grohmann: Ibid, p. 245

(١١٨) سفر: مرجع سابق، ص٢٤٥.

(١١٩) بافقيه: تاريخ اليمن القديم، ص٢١٤.

(١٢٠) الجرو: مرجع سابق، ص١٨٦.

(١٢١) القرآن الكريم: سورة النحل (٢٧) آيه ٢١-٢٤.

(١٢٢) Nielsen: op. cit, p. 469

(١٢٣) الجرو: مرجع سابق، ص١٨٥.

(١٢٤) الجرو: نفسه، ص٩٤.

(١٢٥) الجرو: نفسه، ص١٥ Grohmann, op. cit., p. 244

(١٢٦) الجرو: نفسه. ص١٨٨

(١٢٧) شامي: مرجع سابق، ص١٠٦.

(١٢٨) شامي: نفسه، ص١٠٧.

(١٢٩) الجرو: مرجع سابق، ص٢٥٢.

(١٣٠) العتوم: مرجع سابق، ص٤٣٥.

(١٣١) العتوم: نفسه، ص ص٤٣٥، سالم: تاريخ العرب، ص٢٠٢

(١٣٢) الالوسي: مصدر سابق، جـ٢، ٣٥٩.

(١٣٣) ابن الكلبي: مصدر سابق، ص٤١٩.

(١٣٤) القرآن الكريم: سورة سبا (٣٤) آيه ٤٠-٤١

(١٣٥) حتى: مرجع سابق، ص١٤٤-١٤٥.

(١٣٦) سالم: تاريخ العرب، ص٤٥٨.

(١٣٧) ياقوت: مصدر سابق، جـ١، ص١٧٢، العتوم: مرجع سابق، ص٤١٩.

(١٣٨) سالم: تاريخ العرب، ص٤٥٩.

(١٣٩) العتوم: مرجع سابق، ص٤١٩.

(١٤٠) ابو عزه، عبدالله: قبيلة تميم عند ظهور الاسلام، لجنه تدوين تاريخ قطر، جـ١، الدوحه، ١٩٧٦، ص١٣٣.
عاقل، نبيه: انتشار الاسلام في الخليج زمن الرسول، لجنه تدوين تاريخ قطر جـ١، الدوحه ١٩٧٦، ص١١٠.

خاتمة

وبعد أن انهينا فصول هذا الكتاب واتينا على جوانب هامة من تاريخ الجزيرة العربية قبل الاسلام، لنا أن نقول انه من الجائز ان نحكم على تاريخ هذه الرقعه الجغرافيه وسكانها حكماً فيه تفسير لجوانب من هذا التاريخ لنكتشف فيه تاريخاً انسانياً بما فيه من فضائل وعيوب، فجغرافيه الجزيرة وطبيعة مناخها في مناطقها المختلفه خلقت ورسخت انماطاً مختلفة من الحياة لم تكن بالضرورة متصارعة على الدوام فجمعت بين الصراع والتحالف للصراع أو لمنعه، كما أنبأنا هذا التاريخ عن مظاهر تجزئة وانقسام وطغيان قبلي اجتماعياً وطغيان وثني دينياً ولكن ذلك لم يكن ليمنع من ظهور من دعا للوحدة ومن دعا للثورة على ما هو قائم اقتصادياً اجتماعياً ودينياً. ان هذا التاريخ ابرز لنا ان الجزيرة لم تكن بمعزل عن العالم تأثراً وتأثيراً وقد لاحظنا ذلك في طرق التجارة ومحاولات السيطرة الاجنبية على اجزاء من الجزيرة كما هو في الهجرات داخل الجزيرة ومنها الى محيطها الخارجي باسباب ذلك المختلفة وبنتائجه التي تجاوزت حدود الزمان (قبل الاسلام) وحدود المكان (الجزيرة العربية)، ولذلك لم يكن مستغرباً ان نجد في الإطار الجغرافي (الجزيرة العربية واطرافها) انماطاً من التبعية السياسية لقوى غير عربية بنفس القدر الذي وجدنا فيه مقاومة وباشكال مختلفة لهذه التبعية او مقاومة لاشكال السيطرة الخارجية، فقاوم العرب في جزيرتهم اطماع الرومان والاحباش وفارس وعرفوا سبيلاً لذلك في وحدتهم الداخلية وفي فهم السياسه الدولية فأوجدوا تحالفات

داخلية وسعوا لمثلها خارجياً سعياً للتخلص من حكم الاجنبي فمجدوا البطولة والدفاع عن الاوطان بنفس القدر الذي عابوا فيه التخاذل والتعاون مع الاعداء، وما قصة ابو رغال إلا مثال على ذلك.

كما لاحظنا ان مجتمع العرب قبل الاسلام قد شهد خليطاً من انماط العبادة وسيادة الوثنيه ليتطور الأمر تأسيساً على اسباب داخلية وخارجية من الهه محلية لقبيلة او منطقة الى أفق أرحب واشتراك في المعبودات ورغم ما في ذلك من تناقض بمنظور العصر اللاحق لفتره الجاهلية، الا ان هذه الفتره (الجاهلية) هي التي شهدت بوادر الثورة على ما كان سائداً والعودة الى الأصول وما تيار الحنيفيه التي اشرنا اليه الا تدليلاً على نمو هذا الوعي الذي كان مؤشراً لنقله قادمة حققها الاسلام. واقتصادياً وجدنا ان هذا المجتمع قد تلاقت فيه انماط الحياة الاقتصادية المختلفة بما افرزته من ظلم اجتماعي في بعض الجوانب قاد فيما بعد الى محاولة تنظيم كانت نقلة نوعية في اطار الوعي الاقتصادي الاجتماعي والسياسي ولنا في تاريخ مكة ويثرب والطائف وتنظيماتها التي دمجت بين ما هو اقتصادي واجتماعي وديني وبين ما هو محلي وخارجي قاد فيما بعد إلا أن تكون الحجاز هي المنطلق لمرحلة قادمة وحاسمة في التاريخ العربي بل وفي التاريخ الإنساني، وهكذا كانت النقلة هائلة حيث تعدت بعد ذلك بارادة الله وعلى يد العرب الإطار القبلي والقومي الى الإطار الإنساني ومن الإطار الجغرافي الضيق الى عالمية الاتساع جغرافياً، لكن ذلك لم يكن وليد لحظه انفجار آنية السبب والتأثير بل هي تتويج لمراحل بما حوته دينياً من صراع بين اتباع الديانات الوثنية وكذا اليهودية والمسيحية التي لم تلاق قبولاً واسعا - كما سبق ان اشرنا- وبما حوته من صراع بين حياة البداوة والقبلية ومجتمعات الاستقرار للعرب وبين هذه مجتمعة مع التحديات الخارجية، لنصل بعد ذلك الى ان الاسلام ومفهوم الأمه المرافق له بما يعنيه من

ولاء لعقيده وليس لنسب لم يكن بالأمر المقطوع عن جذوره، لان الاسلام لم يشكل الامه نتيجة الجمع العددي للقبائل بقدر ما كان اسمى فكراً وعملاً، ونعتقد ان هذه الامور لا يمكن ان تفهم برسالتها العالميه الا اذا فهم تاريخ هذه الامه في بداياته بسلبياته وايجابياته لنفهم بعد ذلك كيف دخل العرب بالاسلام التاريخ العالمي والانساني ليبدأ العربي المسلم عصر وحدة مناقضة لتجزئة عاشها قرون وليعرف عهد انطلاق وحرية وتحرر بعد عصور من مظاهر الانغلاق والاستسلام وليتجاوز المجتمع العربي عهد التخلف الذي شهد ومضات حضارية هنا وهناك الى عصر يبدو وكانه نقيض ما كان ولكنه حتى ضمن هذا التصور لم يكن نقيضاً خارجياً بل جاء من صميم الارض العربية وعلى يد الانسان العربي، وعليه فقد كان الاسلام تعبيراً عن نضج أمه ونضج مرحله تاريخية واستعداد بيئة وظرف تاريخي زماناً ومكاناً ليكون بذلك عالمياً انسانياً شاملاً وصالحاً لكل زمان ومكان. وفي هذا السياق وربطاً بين تاريخ العرب قبل الاسلام وبعده كيف لنا ان نفسر سرعة انتشار الاسلام ودخوله عوالم مختلفه في فتره زمنية محدوده ان لم نأخذ بعين الاعتبار ان جزءاً من عالم انتشار الاسلام في الاطار الجغرافي المحيط بجزيرة العرب كان قد عُرب منذ قرون وعبر مراحل التاريخ المختلفه منذ الهجرات الاولى من جزيرة العرب الي محيطها كالاراميين، والكنعانيين، وصولاً الى الانباط والغساسنة والمناذرة.

وهكذا يتضح لنا من الاشارات البسيطة والمحدودة مدى اهمية دراسة تاريخ الجزيرة العربية في عصورها القديمة واهمية دراسة المجتمع العربي قبل الاسلام واثر ذلك على فهم تاريخ الاسلام لاحقاً.

وختاماً لقد إجتهدنا ان نعطي هذا التاريخ بعض ما يستحق وأملنا ان يكون هذا الكتاب باعثاً لمزيد من البحث في تاريخ الجزيرة العربية قبل الاسلام لتوضيح جوانب اخرى هامة من تاريخ هذه المنطقة الهامة موقعاً وسكاناً واحداثاً.

والله الهادي الى سواء السبيل.

المصادر والمراجع

١. المصادر العربيه:

- القرآن الكريم
- ابن الاثير، علي بن محمد الجزري: الكامل في التاريخ، طبعة دار صادر، بيروت
- الازرقي، محمد بن عبدالله بن احمد: أخبار مكه، تحقيق رشدي صالح ملحس، مكه ١٣٠٠هـ
- الاصفهاني، حمزه: تاريخ سني ملوك الأرض والانبياء، طبعة برلين ١٣٤٠هـ وطبعه دار مكتبة الحياة بيروت
- ابن كثير، ابو الفداء اسماعيل بن عمرو: تفسير القرآن العظيم، ٤ مجلدات، بيروت ١٩٦٩.
- الألوسي، محمود شكري البغدادي: بلوغ الأرب في معرفة احوال العرب، تحقيق محمد بهجة الاثري، ط٢، ١٣٤٢هـ.
- الاعلم الشنتمري، يوسف بن سليمان بن عيسي: أشعار الشعراء الستة الجاهليين، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت ١٩٧٩م.
- البغدادي، الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، بغداد ١٩٣١م.
- البكري، ابو عبدالله بن عبد العزيز: معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواقع، تحقيق مصطفى السقا، عالم الكتب، بيروت ١٩٨٤م.
- البلاذري، احمد بن يحيى بن جابر: انساب الاشراف، تحقيق محمد حميدالله، القاهره ١٩٥٩.
- الجاحظ، عمرو بن بحر بن محبوب: الحيوان، تحقيق عبد السلام هارون، الطبعة الثانيه.
- الجمحي، محمد بن سلام الجمحي البصري: طبقات الشعراء، دار الكتب العلميه، بيروت ١٩٨٠م.

- ابن حبيب، محمد بن حبيب بن أميه: المحبر، حيدر اباد، ١٩٤٢م.
- ابن حزم، ابو محمد علي بن احمد بن سعيد الاندلسي: جمهرة أنساب العرب، دار الكتب العلميه، بيروت ١٩٨٣م.
- ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد: كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، طبعة بيروت ١٩٦٦.
- الدينوري، ابو حنيفه احمد بن داود: الأخبار الطوال، تحقيق عبد المنعم عامر، القاهره، ١٩٦٠م.
- ابن رسول، السلطان الملك الاشرف عمر بن يوسف: طرفة الاصحاب في معرفة الأنساب، حققه ك، و. سترستين، منشورات المدينه، بيروت، الطبعه الثانيه ١٩٨٥م.
- ابن رشيق القيراوني: العمده، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، طبعة دار السعاده، مصر ١٩٥٥.
- السمهوري، ابو الحسن بن عبدالله: خلاصة الوفاء باخبار دار المصطفى، المكتبه العلميه، المدينة المنوره، ١٣٩٢هـ.
- السويدي، ابو الفوز محمد امين البغدادي: سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب، مكتبه الرياض الحديثه، الرياض (د-ت)
- الطبري، محمد بن جرير: تاريخ الرسل والملوك، تحقيق، محمد ابو الفضل ابراهيم، دار المعارف القاهره
- عبد المجيد اليماني، تاج الدين عبد الباقي: بهجه الزمن في تاريخ اليمن، تحقيق عبد الله محمد الحبشي، محمد احمد الشيباني، دار الحكمة اليمانيه، ١٩٨٨م.
- الفاسي، ابو الطيب تقي الدين: شفاء الغرام باخبار البلد الحرام، القاهره ١٩٥٦م.
- القالي، ابو علي: الأمالي، مطبعة السعاده، مصر ١٩٥٣م.
- ابن قتيبه الدينوري، عبدالله بن مسلم: الشعر والشعراء أو طبقات الشعراء، حققه وضبط نصه الدكتور مفيد قميحه، دار الكتب العلميه، بيروت ١٩٨١م
- ابن قتيبه الدينوري: المعارف، تحقيق ثروت عكاشه، دار الكتب، القاهره ١٩٦٠

الكلبي، ابو المنذر هشام بن محمد بن السائب: كتاب الأصنام، تحقيق، احمد زكي، الدار القوميه للطباعة والنشر، القاهره ١٩٦٥م.

- ابن المجاور، جمال الدين ابو الفتح يوسف بن يعقوب: صفة بلاد اليمن ومكه وبعض الحجاز، تصحيح اوسكر لوفغرين، منشورات المدنيه، لبنان ١٩٨٦م.
- المسعودي، ابو الحسن علي بن الحسين: مروج الذهب ومعادن الجوهر، طبعة محيي الدين عبد الحميد، القاهره ١٩٥٨م.
- المقدسي، محمد بن احمد: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، منشورات وزارة الثقافه والارشاد القومي، دمشق ١٩٨٠م.
- ابن منظور، جمال الدين محمد بن الكرم الانصاري: لسان العرب، الدار المصريه للتأليف والترجمه
- الميداني، ابو الفضل احمد بن محمد النيسايوري: مجمع الأمثال، حققه وفصله وضبط غرائبه وعلق حواشيه محمد محيي الدين عبدالحميد، منشورات دار النصر، دمشق - بيروت (د.ت)
- ابن هشام، ابو محمد عبدالله: السيرة النبويه، تحقيق مصطفى السقاء، ابراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شلبي، القاهره ١٩٣٦ -١٩٥٥.
- الهمذاني، الحسن بن احمد بن يعقوب: الاكليل، الجزء العاشر، نشر لوفغرن، أبسالا ١٩٥٤، نشر محيي الدين الخطيب، القاهره، ١٣٦٨هـ
- الهمذاني، الحسن بن احمد بن يعقوب: صفة جزيره العرب، تحقيق داڤيومولر، ليدن ١٨٨٤م، منشورات دار اليمامه ١٣٩٤هـ.
- الواسعي اليماني، عبدالواسع بن يحيى: تاريخ اليمن، فرجة الهموم والحزن، منشورات مكتبة اليمن الكبرى، طبعه ثانيه ١٩٩٠م.
- ياقوت الحموي، شهاب الدين ابوعبدالله الحموي: معجم البلدان، طبعة دار صادر- بيروت ١٩٥٦م.
- اليعقوبي، احمد بن ابي يعقوب بن واضح: تاريخ اليعقوبي، طبعة النجف ١٣٨٥هـ وطبعة دار صادر بيروت ١٩٦٠م

٢. المراجع العربيه والمعربه

- احمد، محمود عبدالحميد: الهجرات العربيه القديمه، دار طلاس للدراسات والترجمه والنشر، دمشق ١٩٨٨
- الارياني، مطهر علي: في تاريخ اليمن، نقوش مسنديه وتعليقات، منشورات مركز الدراسات والبحوث اليمني صنعاء، ١٩٩٠م.
- الاسد، ناصر الدين: مصادر الشعر الجاهلي، القاهره ١٩٦٩م.
- امين، احمد: فجر الاسلام، دار الكتاب العربي، لبنان، الطبعه العاشره، ١٩٦٩م.
- الانصاري، عبدالرحمن الطيب: مواقع اثريه وصور من حضارة العرب في المملكه العربيه السعوديه، جامعة الملك سعود، ١٩٨٤م.
- اوليري، دي لاسي: جزيره العرب قبل البعثه، ترجمة موسى علي الغول، منشورات وزارة الثقافه، عمان الاردن ١٩٩٠م.
- بارندر، جفري: المعتقدات الدينيه لدى الشعوب، ترجمة د. امام عبدالفتاح امام، عالم المعرفه عدد ١٧٣ سنه ١٩٨٢.
- باشميل، محمد احمد: العرب في الشام قبل الاسلام، دار الفكر، الطبعة الاولى ١٩٧٣م.
- بافقيه، محمد عبدالقادر: آثار ونقوش العقله، القاهره ١٩٦٧
- بافقيه، محمد عبدالقادر: تاريخ اليمن القديم، المؤسسه العربيه للدراسات والنشر، بيروت ١٩٧٣
- بافقيه، محمد عبدالقادر: موجز تاريخ اليمن قبل الاسلام، في كتاب مختارات من النقوش اليمنيه، تونس ١٩٨٥م
- بافقيه، محمد عبدالقادر: في العربيه السعيده، دراسات تاريخيه قصيره، مركز الدراسات والبحوث اليمني، ١٩٩٣م.
- بتروفسكي، م.ن: اليمن قبل الاسلام والقرون الاولى للهجره، دار العوده بيروت ١٩٨٧

- بدر، عبدالباسط: التاريخ الشامل للمدينة المنوره، المدينة المنوره، ١٩٩٣م.
- بروكلمان، كارل: تاريخ الشعوب الاسلاميه، دار العلم للملايين – بيروت
- جاووك، مصطفى عبد اللطيف: الحياة والموت في الشعر الجاهلي، بغداد ١٩٧٠م.
- الجرو، اسمهان سعيد: موجز التاريخ السياسي القديم لجنوب الجزيرة العربيه (اليمن)، مؤسسة حماده للخدمات والدراسات الجامعيه، اربد – الاردن ١٩٩٦م.
- حتي، فيليب وآخرون: تاريخ العرب، دار غندور للطباعه والنشر والتوزيع، بيروت، طبعه ثامنه، ١٩٩٠
- حسن، حسن ابراهيم: تاريخ الاسلام السياسي، القاهره ١٩٥٩م
- حسن، علي ابراهيم: التاريخ الاسلامي العام، مكتبه النهضه العربيه، القاهره ١٩٧١م
- حمزه، فؤاد، قلب جزيرة العرب، الرياض، طبعه ثانيه ١٩٦٨م
- حمود، هادي حسين: منهج المسعودي في بحث العقائد والفرق الدينيه، مطبعة عصام، بغداد ١٩٨٤م.
- الحوفي، محمد احمد: المرأه في الشعر الجاهلي، القاهرة ١٩٥٢
- الدوري، عبدالعزيز: نشأه علم التاريخ عند العرب، بيروت ١٩٦٠م.
- ديسو، رينيه: العرب في سوريا قبل الاسلام، ترجمة عبد الحميد الدواخلي– القاهره ١٩٥٩م
- الرافعي، مصطفى: حضاره العرب، دار الكتاب اللبناني، بيروت، طبعه ثالثه، ١٩٨١م.
- الروسان، محمود محمد: القبائل الثموديه والصفويه، مطابع جامعة الملك سعود، الرياض ١٤١٢هـ.
- الزركلي، خير الدين: الاعلام، ١٠ أجزاء القاهره ١٩٥٩م.
- زياده، نقولا: التاريخ ضروبه وأبعاده وفلسفته، منشورات قسم التاريخ، جامعة اليرموك ١٩٩٣م.

- زيدان، جورجي: التمدن الاسلامي، منشورات مكتبة دار الحياة، بيروت (د.ت)
- زيدان، جورجي: العرب قبل الاسلام، منشورات مكتبة دار الحياة، بيروت ١٩٧٨م.
- سالم، السيد عبدالعزيز: تاريخ الدولة العربيه، دار النهضه، بيروت ١٩٧١م.
- سالم، السيد عبدالعزيز: تاريخ العرب في عصر الجاهليه، مؤسسة شباب الجامعه - الاسكندريه (د.ت)
- السايح، احمد عبدالحميد: بحوث في مقارنة الأديان، دار الثقافه، الدوحه ١٩٩١م.
- السباعي، احمد: تاريخ مكه، دار مكه للطباعه ١٣٩٩هـ.
- سفر، فؤاد ومصطفى محمد علي: الحضر مدينة الشمس، بغداد، وزارة الاعلام، ١٩٧٤م
- سليمان، حسين محمد: المدخل الى دراسة علم التاريخ، دار الاصلاح، الدمام ١٩٨٢م
- سوسه، احمد: العرب واليهود في التاريخ، الطبعة الرابعه ١٩٧٥م.
- سيديو، ل.أ: تاريخ العرب العام، ترجمة عادل زعيتر، الطبعة الثانيه (الحلبي) ١٩٦٩.
- الشامي، احمد عبدالحميد: في تاريخ العرب والاسلام، مطابع سجل العرب، ١٩٧٨م.
- شامي، يحيى: الشرك الجاهلي والهة العرب المعبودة قبل الاسلام، دار الفكر، لبنان ١٩٨٦م.
- شيتوي، محمد شلبي: التوراه دراسة وتحليل، مكتبة الفلاح، الكويت ١٩٨٦م.
- الشريف، احمد ابراهيم: مكة والمدينه في الجاهليه وعصر الرسول، دار الفكر العربي، القاهره ١٩٦٧م.
- الشريف، احمد ابراهيم: دور الحجاز في الحياة السياسيه العامه في القرن الاول والثاني للهجره، دار الفكر العربي، القاهره ١٩٧٧م.
- الصباغ، ليلى: دراسة في منهجية البحث التاريخي، منشورات جامعة دمشق ١٩٩٣م.

- ضيف، شوقي: تاريخ الادب العربي، العصر الجاهلي، دار المعارف، القاهره (د.ت)
- ظاظا، حسن: الساميون ولغاتهم، القاهره ١٩٧١م.
- عاقل، نبيه: تاريخ العرب القديم وعصر الرسول، دار الفكر ١٩٧٥م.
- عبدالله، يوسف محمد: أوراق في تاريخ اليمن وآثاره، منشورات وزارة الثقافة والاعلام، اليمن، صنعاء طبعة شركة التنوير للطباعه والنشر، بيروت ١٩٨٥م.
- عبدالحميد: سعد زغلول: في تاريخ العرب قبل الاسلام، بيروت ١٩٧٥م
- العتوم، علي: قضايا الشعر الجاهلي، مكتبة الرساله، عمان ١٩٨٤م.
- عصفور، محمد ابو المحاسن: معالم تاريخ الشرق الادنى القديم من أقدم العصور الى مجيء الاسكندر، دار النهضه العربيه، بيروت (د.ت).
- العظم، نزيه مؤيد: رحلة في بلاد العرب السعيده، سبأ ومأرب، ٢ جزء في مجلد، مؤسسة فادي برس، لندن، الطبعة الثانيه ١٩٨٥م.
- ابو العلا، محمود طه: جغرافية المملكة العربية السعوديه، القاهره، ١٩٧٢م.
- علي، جواد: المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، بيروت ١٩٧٦م وطبعة بغداد ١٩٥٤
- العلي، صالح احمد: محاضرات في تاريخ العرب، بغداد ١٩٥٥.
- علي، مولانا محمد: حياة محمد ورسالته، بيروت ١٩٦٧م.
- عماره، محمد: العرب والتحدي، دار الشروق بيروت، ١٩٧٤
- عماره، محمد: مسلمون ثوار، بيروت ١٩٧٤م.
- العمري، حسين عبدالله وآخرون: في صفة بلاد اليمن عبرالعصور، دار الفكر المعاصر، بيروت ١٩٩٠م.
- الغنيم، عبدالله يوسف: جزيرة العرب من كتاب المسالك والممالك لابي عبيد البكري، ذات السلاسل، الطبعة الاولى ١٩٧٧م.
- فخري، احمد: اليمن ماضيها وحاضرها، القاهره، ١٩٥٧م
- فخري، احمد: دراسات في تاريخ الشرق القديم، القاهره ١٩٦٣م

- فخري، احمد: رحلة اثريه الى اليمن، ترجمة هنري رياض ويوسف محمد عبدالله مراجعه عبدالحليم نور الدين، وزارة الثقافه والاعلام، اليمن ١٩٨٨م.
- فهمي، نعيم زكي: طرق التجاره الدوليه ومحطاتها بين الشرق والغرب أواخر القرون الوسطى، القاهره ١٩٧٣م.
- القسوس، نايف والطراونه، خلف: مسكوكات العالمين القديم والاسلامي، البنك العربي، عمان ١٩٩١م.
- كحاله، عمر رضا: أعلام النساء في عالمي العرب والاسلام، دمشق ١٩٥٩.
- كونل، ارنست: الفن الاسلامي، ترجمة احمد موسى القاهره، ١٩٦١م.
- مصطفى، شاكر: التاريخ العربي والمؤرخون، بيروت ١٩٧٩م
- مصطفى ابراهيم وآخرون: المعجم الوسيط. مجمع اللغه العربيه، القاهره ١٩٦٠م.
- معروف، ناجي: أصالة الحضاره العربيه، دار الثقافه بيروت، طبعه ثالثه ١٩٧٥م
- موسكاتي، سابيتنو: الحضارات السامية القديمة، ترجمه وزاد عليه سيد يعقوب بكرسي، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٥٧م.
- موسل، الويس: شمال الحجاز، ترجمة عبد المحسن الحسيني، الاسكندريه ١٩٥٢م.
- المولى، محمد احمد جاد: أيام العرب في الجاهليه، القاهره ١٩٥٣م
- مهران، محمد بيومي: دراسات في تاريخ العرب القديم، الرياض ١٩٧٧م.
- نصار، محمد عبدالستار: العقيده الاسلامية أصولها وتأويلاتها، دار الطباعة المحمديه ١٤٠٩هـ.
- نلسون، ديتلف وآخرون: تاريخ العرب القديم، ترجمه واستكمله فؤاد حسنين علي، القاهره ١٩٩٣م.
- نولدكه، ثيودور: أمراء غسان، ترجمة بندلي جوزي وقسطنطين زريق، بيروت ١٩٣٠م.
- هاردنج، لانكستر: آثار الاردن، تعريب سليمان موسى ١٩٦٥م.
- هومل، فرتز: التاريخ العام لبلاد العرب الجنوبيه، الفصل الثاني من كتاب تاريخ

العرب القديم لديتلف نلسون وأخرون القاهره ١٩٩٣م
- ولفنسون، اسرائيل: تاريخ اليهود في بلاد العرب، مطبعة الاتحاد، مصر ١٩٧٢م
- الولي، طه: المساجد في الاسلام، دار العلم للملايين بيروت ١٩٨٠م.
- وهبه، حافظ: جزيره العرب في القرن العشرين، مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر، القاهره ١٩٣٥م.
- يحيى، لطفي عبدالوهاب: العرب في العصور القديمه، دار المعرفه، الاسكندريه ١٩٨٦م.

٣. المقالات والدوريات:

- احمد، جعفر ميرغني: مباحث في تاريخ المدينة على ايام النبي والخلفاء الراشدين، في: دراسات تاريخ الجزيره العربيه الكتاب الثالث - الجزء الثاني، مطابع جامعة الملك سعود ١٩٨٩م.
- الاسد، ناصر الدين: مقدمه لدراسة القبائل العربية في الخليج قبل الاسلام مؤتمر دراسات تاريخ شرق الجزيره، الدوحه ١٩٧٦
- الانصاري، عبدالرحمن الطيب: لمحات عن القبائل البائده، جمعيه التاريخ والآثار جامعة الرياض مجله كلية الآداب عدد ١/١٩٧٠م
- بشير، ابراهيم بشير: الطعام في الحياة الاقتصاديه والدينيه والاجتماعيه في العصر النبوي وعصر الخلفاء الراشدين، في:
- دراسات تاريخ الجزيره العربيه، الكتاب الثالث، الجزء الثاني مطابع جامعة الملك سعود، ١٩٨٩م.
- بول، ف: مادة حنيف، دائرة المعارف الاسلاميه.
- الجبوري، يحيى: الزينه في الشعر الجاهلي، حولية كلية الانسانيات والعلوم الاجتماعيه - جامعة قطر العدد الخامس ١٩٨٢
- الجبوري، يحيى: تجربة موته بين التاريخ والشعر، المؤتمر الدولي لتاريخ بلاد الشام، عمان، م٣ ١٩٨٧.

- حاطوم، نور الدين: قصر جبل اسيس الأموي، مجلة الحوليات الاثريه السوريه، عدد ١٣ لسنه ١٩٦٣م
- الحسيني، محمد باقر: نساء عربيات من الأنباط وتدمر نقشت صورتهن واسمائهن على النقود المتداوله، بحوث الندوة القُطريه الخامسه لتاريخ العلوم عند العرب، مركز احياء التراث العلمي، بغداد ١٩٨٩م.
- الراشد، عبد العزيز: الآثار الاسلاميه في الجزيره العربيه في عهد الرسول والخلفاء الراشدين، في: دراسات تاريخ الجزيره العربيه، الكتاب الثالث، الجزء الثاني، مطابع جامعة الملك سعود ١٩٨٩.
- زيتوني، عبد الغني: الله والانسان في الشعر الجاهلي، مجلة الدارة، عدد ٣، سنة ١٤١٠هـ.
- عاقل، نبيه: انتشار الاسلام في الخليج زمن الرسول، مؤتمر دراسات تاريخ شرق الجزيرة، لجنة تدوين تاريخ قطر، جـ١ الدوحة ١٩٧٦.
- عاقل، نبيه: موقف سكان بلاد الشام من الفتح، المؤتمر الدولي لتاريخ بلاد الشام، عمان ١٩٨٧م.
- العبادي، مصطفى عبد الحميد: موقع نصتان في ضوء الوثائق البردية قبل الإسلام وخلال نصف القرن الأول من الحكم العربي، في دراسات تاريخ الجزيرة العربية الكتاب الثالث، الجزء الثاني، مطابع جامعة الملك سعود ١٩٨٩.
- عبد القادر، عبد الشافي غنيم: شرق الجزيرة العربية كواحد من المنابت الاصلية للشعوب السامية، في: مؤتمر دراسات تاريخ شرق الجزيرة العربي، لجنة تدوين تاريخ، قطر، الدوحة، ١٩٧٦م.
- عبد الكريم، منذر: دراسة في الميثولوجيا العربية، الحياة الدينية في بلاد جنوب الجزيرة العربية قبل الإسلام، المجلة العربية للعلوم الانسانية، جامعة الكويت، عدد ٣٠، مجلد ٨ لسنة ١٩٨٨م.
- عبد الله، يوسف محمد: نقش القصيدة الحميرية اوترنيمة الشمس من الادب اليمني القديم، مجلة ريدان، عدن، عدد ٥ سنة ١٩٨٨م.

- أبو عزه، عبد الله: قبيلة تميم عند ظهور الاسلام، مؤتمر دراسات تاريخ شرق الجزيرة العربية، لجنة تدوين تاريخ قطر، جـ١ ١٩٧٦.
- العلي، صالح أحمد: خطط المدينة، مجلة العرب الرياض، ١٣٨٧هـ.
- العلي، صالح احمد: تحديد الحجاز عند المتقدمين، مجلة العرب، الرياض ١٣٨٨هـ.
- الغول، محمود: غزه في نقوش جنوب جزيرة العرب، المؤتمر الدولي لتاريخ بلاد الشام، عمان، ١٩٨١م.
- فريحات، عادل: جديمة الابرش الازدي في المصادر العربية، مجلة دراسات تاريخية، جامعة دمشق، عدد ٤٧-٤٨/١٩٩٣م.
- فهد، توفيق: قطر ونواحيها في الجغرافية القديمة، مؤتمر دراسات تاريخ شرق الجزيرة العربية، لجنة تدوين تاريخ قطر، الدوحة ١٩٧٦م.
- محمدين، محمد محمود: الزراعة والري في الحجاز في العصر النبوي وعصر الخلفاء الراشدين، دراسات تاريخ الجزيرة العربية الكتاب الثالث، الجزء الثاني، مطابع جامعة الملك سعود ١٩٨٩.
- المعاني، سلطان: في حياة العرب الدينية قبل الاسلام من خلال النقوش، جامعة دمشق، مجلة دراسات تاريخية، عدد ٤٧-٤٨/١٩٩٣.
- نامي، خليل: نقوش عربية جنوبية، جامعة القاهرة مجلة كلية الآداب، مجلد مجلد١٦، جزء ٢السنه ١٩٥٤م
- نامي، خليل: نقوش خربة براقش،، جامعة القاهرة مجلة كلية الآداب، مجلد مجلد١٨، جزء ٢السنه ١٩٥٩م
- الوهيبي، عبد الله: الحجاز كما حدده الجغرافيون العرب، جامعة الرياض، مجلة كلية الآداب، مجلد١، سنه١٣٩٠هـ
- يحيى، لطفي عبد الوهاب: استقبال بلاد الشام للفتح العربي، المؤتمر الدولي الثالث لتاريخ بلاد الشام، عمان ١٩٨٧م.
- يحيى، لطفي عبد الوهاب : الحقيقة التاريخية، عالم الفكر، مجلد ١٧، عدد

٤. المراجع والدراسات الاجنبية

Albright, W. F.,: The chronology of the minean kings of Arabia, in: Bulletin of the American school of oriental Research, 129, 1953.

Burchardt, H.,: ost Arabian Von Basra bis Maskat aufGrund eigener Reisen, in: Zeitschrift der Gesellschaft fur Erdkunde zu Berlin, 1906.

Clay, A. T.,: The Empire of the Amorites, NewHaven, 1949.

Grohmann, A.,: Arabien, Muencen 1963.

Nicholoson, R. A.,: Aliterrary History of the Arabs, Cambridge, 1953.

Nielsen, D.,: Der semitische venuskult, in: Zeitschrift der Deutschen Morgenlandischen Gesellschaft, Bd, 66 Leipzig 1912.

Ropert, t, playfair: A History of Arabia Felix of Yemen, Amesterdam, 1970.

Sprenger, A.,: Die Geographie Arabien, Amesterdam, 1875.

Winnet, F. V.,: Astudy of the lihyanic and Thamudic inscriptions, Toronto, 1937.

Wissmann, H: Himyar Ancient History, 1964



مؤسسة حمادة للخدمات والدراسات الجامعية
اربد ـ الأردن ـ تلفاكس ٢٧٠١٠٠ ص. ب ١٤٨٤